ينشر لأول مرة

نَظَرُ الأَكْيَاسِ

فِي الرَّدِّ عَلَى جَهْمِيَّةِ البَيْضَاءِ وَفَاسٍ

للشيخ

أبي زيد عبد الرحمن النتيفي المغربي

رحمه الله

(تـ: 1385)

تحقيق

أبي عبد الله يوسف الزاكوري

نَظَرُ الأَكْيَاسِ
فِي الرَّدِّ عَلى جَهْمِيَّةِ
البَيْضَاءِ وَ فَاسٍ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله، نحمده و نستعينه و نستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، و من سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، و من يضلل فلا هادي له . و أشهد ألا إله إلا الله، و أشهد أن محمدا عبده، و رسوله صلى الله عليه و على آله و أصحابه، و سلم تسليما كثيرا.

أما بعدُ؛ فقد كان الأوائلُ من علماء المالكية السلفيين- شأن غيرهم من علماء الإسلام - أشدّاءَ على الجهمية المنكرين لاستواء الرّب تعالى على عرشه، و يكفي أن نذكر قولة إمام المذهب رحمه الله تعالى:" الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ "([1])، للدلالة على ذلك. ثم تتابع تلاميذه من بعده على نفس المنوال؛ كابن القاسم و ابن وهب وابن الماجشون، ثم تلامذة هؤلاء؛ كأصبغ و سحنون و غيرهما.([2])

ثم أئمة المذهب المحققون المنصفون سائرون على هذا النهج؛ كابن عبد البر "حافظ أهل المغرب"، و ابن أبي زيد القيرواني "مالك الصغير"، و الطلمنكي، و ابن أبي زمنين، و غيرهم كثير .

و بحمد الله لم تقف هذه المنافحة عن عقيدة السلف عند أولئك ، بل واصل الموفّقون من المتأخرين على نفس الدرب ، فكتبوا و بيّنوا ؛ منهم السلطان العالم سيدي محمد بن عبد الله

---

[1] – الأثر مشهور و صحيح؛ صححه الذهبي و ابن تيمية و ابن حجر. انظر:[الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء "دراسة تحليلية "] للشيخ عبد الرزاق البدر.

[2] – انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم، لتقف على بعض نقولهم. و سيأتي كثير منها في هذا السفر.



العلوي، و ابنه سيدي سليمان، و الشيخ عبد الله السنوسي، و الشيخ عبد الحفيظ الفاسي، و الشيخ محمد تقي الدين الهلالي و غيرهم.

و اليوم نقف و إياكم مع كتابٍ جليلٍ لعالمٍ صفت له السلفيةُ، و لولا مهابة الشيخ الهلالي لقلت إنه إمام السلفية في المغرب المعاصر، ذلكم هو الشيخ أبو زيد عبد الرحمن النتيفي رحمه الله؛ غصة الصوفية و القبورية و الجهمية و متعصبة الفقهاء، و سائر المبتدعة.

و كتابه " نظر الأكياس" الذي فرغ منه عام 1364، يُنبئ عن مضمونه، فهو في الرد على رسالة لبعض الجهمية، و سيأتي ذكر ظروف الكتاب من كلام المصنف نفسه.

و للشيخ ردود أخرى على الجهمية منها كتابه " الإرشاد و التبيين في البحث مع شرّاح المرشد المعين " يسر الله الوقوف عليه .

أبو عبد الله يوسف الزاگوري

22 صفر 1432

abouabdellah1@gmail.com

عملي في الكتاب

حاولت قدر المستطاع إخراج الكتاب كما تركه مؤلفه، سهلا ميسّراً بين يدي القرّاء، و مجتنبا طريقة كثير من المعاصرين الذين يتوسعون في تخريج الأحاديث و ذكر المعلومات الزائدة، فيصنعون للكتاب مقدمةً بنحو الثلث ومؤخرة مثلها، و الثلث الأخير نصفُه في الحواشي!

فلذلك لا أعلق إلا نادرا، وأعزو الأحاديث إلى أشهر المصادر؛ فإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بهما، وإن كان خارجهما ذكرت مصدره و لا أستقصي. ثم أنقل حكمه صحةً أو ضعفًا عمن ذكره من أهل هذا الفن، إن وجدت لذلك سبيلا.

و قد وقعت على نسختين مخطوطتين لهذا الكتاب في موقع دار القرآن على الشبكة العنكبوتية، و كلتاهما في الغالب مقروءتان، فانكببت عليهما ففرغتهما بعد أن أدركت قيمة الكتاب العلمية، واستغربت بقاءه في عالم المخطوطات، لاسيما وهو بين يدي بعض من يشتغل بتحقيق هذا النوع من الكتب لسنين عديدة.

وللتنبيه فإن الشيخ ينقل كلامَ المردود عليه المدعو الصقلي ناقصا في الغالب ، بحيث ينقل منه الكلمتين الأوليين أو الثلاث فقط ، ثم يشرع في الرد. و قد لا يستوعب القارئ الرد إلا بالاطلاع على كلام المردود عليه تاما. و لهذا فإني أُتم كلام المردود عليه عند كل نقل، حيث أن الرسالة المردود عليها مثبتة تامَّةً في النسخة الأولى الآتي ذكرُها، من الصفحة الأولى إلى الصفحة الثامنة. كما أنها مثبتة بهامشها أيضا. و قد صرح بذلك الشيخ في المقدمة بقوله:(راسمين في حاشية الرسالة و هامشها ذلك)؛ فلهذا السبب لا ينقل الشيخ في صلب الكتاب كلام المردود عليه تاما.

وصف النسخة الأولى

تقع ضمن مجموع يضم ثلاث رسائل، هي : " نظر الأكياس" ، و بأوله و هامشه " الرسالة المردود عليها المرسلة إلى سلطان الوقت "، و "حكم السنة و الكتاب في وجوب هدم الزوايا و الكتاب" للمؤلف. و قد رمزت لهذه النسخة بـ (أ). و يقع المجموع في169 صفحة ، شغلت رسالة نظر الأكياس منه 121 صفحة ؛ من الصفحة 10 إلى الصفحة 130 ، فرغ منها ناسخها الشيخ محمد أُوعْلِي الرُّوداني (3)، يوم الأربعاء السادس و العشرين من ربيع الأول عام 1384هـ .

و هذه النسخة أصلٌ للنسخة الثانية الآتية كما ذكر ناسخها.

وصف النسخة الثانية

نسخت بخط مغربيّ جميل، و تقع في ثلاث و ستين صفحة. فرغ منها ناسخها بعد عصر يوم الثلاثاء السادس من جمادى الأولى عام 1402 هـ . رمزتُ لها بـ(ب) .

تنبيه: اعتمدت في ترقيم الصفحات على النسخة (ب) لكونها مفردة. و إلا فالعادة قد جرت على اعتماد النسخ الأصلية في الترقيم.

---

3 – تلميذ المؤلف، وقد عمل خطيبا بالمسجد الأعظم بتارودانت، توفي عام 1425 ، كما ذكر زكرياء الساطع مصورُ المخطوط ورافعُه إلى الشبكة العنكبوتية، نقلا عن الشيخ الحسن وجاج.

صورة من النسخة (أ)

14

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
الحمد لله الذي استوى على عرشه كما شاء، واتصف بصفات الكمال
وانفرد بها دون سائر خلقه، نحمده تعالى ونشكره ونستعينه سبحانه
وتعالى ونستغفره استغفار خائف من ذنبه، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة [illegible]، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله وخاتم أنبيائه ورسله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وكرام صحبه
أما بعد [illegible]
[illegible]
[illegible] في رجب سنة
ثلاثة وست وثلاثمائة وألف هجرية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وحشو الكبد من كل مبتدع وحسود [illegible]
[illegible]
[illegible] للسنة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
العلم [illegible]
وذلك أننا ذكرنا مذاهب السلف في استواء الله على عرشه وأيدنا [illegible]
[illegible]

صورة من النسخة (ب)

نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء وفاس
تأليف العالم العلامة والبحر الفهامة والأستاذ الأكبر والمفتي
الأشهر أبي زيد سيدي الحاج عبد الرحمن ابن محمد النتيفي
الجعفري أصلا البيضاوي
مسكنا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
الحمد لله الذي استوى على عرشه بلا كيف واتصف بصفات الكمال
وانفرد بها دون سائر خلقه نحمده تعالى ونشكره
ونستعينه سبحانه وتعالى ونستغفره استغفارا خائف من
قهره. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته ولا في
فعله ووصفه ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله وخاتم
أنبيائه ورسله صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وكرام صحبه
أما بعد فإن مما اشمأزت منه الأقدار ونفرت منه الأسماع والأذهان
والأعصار ما دهمنا من الوقائع في هذه الديار من كيد جماعة
من الأشرار ليسوا من الأتقياء الخيار ولا من الأتقياء الأبرار
التي هي واقعة رجب سنة 1363. فقد قام فيها بعض من أولئك
المشار إليهم هنالك بعد أن أجمعوا أمرهم وأتوا صفا وقاموا
قومة رجل واحد واختنقوا غيظا وحنقا وانكشفت صدورهم
عما فيها من الضغائن والحقود وحشروا إليهم كل مبتدع وحسود
ومحسود واستغاثوا لنصرتهم بكل معاد للسنة وكل كائد في نصبها
لها وتصلبا عن سمعها وتسلحوا لذلك بكل دافع ومعاند وكانوا
ممن ما هجموا السنة أشرا ومرحا على إثر إدعائهم ذكر من يؤيدها
لما خيبوا اختلقوا لذلك واجتمعوا وتحيلوا في كيدها وناقضوها
وحفظوا في ذلك ووعوا ثم لم يزالوا في هذا الحال والحال ما
حالا يبقى تخوض الغمار وتبغي عون الغصص إلى أن بدت لهم

ترجمة مختصرة للشيخ أبي زيد النتيفي

هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي الجعفري أصلا ، ثم البيضاوي مسكنا.

ينتهي نسبه إلى محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعليٌّ الزينبي، هو ابن زينب بنت فاطمة رضي الله عنها.

ولد -رحمه الله- عام 1303 بقرية المقاديد بقبيلة هنتيفة. حفظ القرآن في صغره، ثم تتلمذ على عدة مشايخ منهم : الشيخ أحمد بن الخياط الفاسي، و الشيخ محمد بن جعفر الكتاني، و الشيخ الفاطمي الشرادي، و الشيخ محمد بن التهامي كنون.

أثنى عليه ثلة من العلماء كالشيخ أبي شعيب الدكالي الملقب بالحافظ ، والشيخ محمد بن العربي العلوي الملقب بشيخ الإسلام و الشيخ عبد السلام السرغيني صاحب كتاب " مسامرة في الانتصار للسنة وقمع البدعة "، و غيرهم .

قال الدكالي: (فقد استجازني أخونا في الله الألمعي الذكي الحافظ اللوذعي الفقيه السيد عبد الرحمن بن محمد النتيفي في كل ما يجوز عني روايته من معقول و منقول و فروع و أصول).

للشيخ رحمه الله باع طويل في العلم، حافظ لحديث رسول الله ﷺ، أُصيب بفقد البصر، فعوض الله عماه بنور البصيرة، و الذكاء الخارق، وقوة الحفظ ، فتُسرد عليه المئات من الأحاديث بأسانيدها فيحفظها عن ظهر قلب، و يسردها عليك. و في الفقه مجتهدٌ غير متقيد بمذهب إلا ما رجّحه الدليل. و في التفسير يعرض آراء المفسرين؛ يصوب الصوابَ و يردُّ غيره. و أما الجدال و المناظرة فهو من أربابها، ناقش و جادل علماء و فقهاء فأذعنوا لرأيه.

ترك خزانة حافلة زادت على السبعين مؤلفا، و جلها في الرد على أهل الأهواء و البدع، ما

طبع منها إلا نزر يسير جدا.[4]

و من تلك النفائس :

1- « جواز الخروج من مذهب إلى مذهب » .

2- « القول المؤيد في أن التيمم يرفع الحدث الرفع المقيد »، بذيله أسباب التيمم، و قد أوصلها إلى تسعين سببا [5].

3- « شفاء الصدور في أن الشمس سائرة و الأرض ساكنة لا تدور ». فرغ منه عام 1374 .

4- « الفضل و المنة في أن السلام عليكم و رحمة الله هو السنة ».[6] فرغ منه عام 1374 .

موضوعه: الرد على من أنكر التسليم بزيادة الرحمة و البركة.

5- « القول الصائب في طلب الجماعة بعد الراتب » فرغ منه عام 1374 أجاز فيه الصلاة جماعةً بعد صلاة الإمام الراتب.

6- « الإعلام في الرد على من حقر بعض شعائر الإسلام » فرغ منه عام 1370، رد فيه على مقالٍ نُشر بجريدة العَلَم عاب فيه كاتبُه شعيرة الأضحية و وصفها بالهمجية.

7- « المستغنَم في رفع الجُناح على المستخدَم » فرغ منه عام 1368 ، موضوعه: جواز جمع العصر مع الظهر للمستخدَم الذي لا يتمكن من إقامة صلاة العصر بسبب ظروف عمله.

---

[4] - طبع له مؤخرا ثلاثة كتب و هي : "حكم السنة و الكتاب في وجوب هدم الزوايا و القباب"، و" القول الفائز في عدم التهليل وراء الجنائز"، و " أوثق العرى في الأحكام المتعلقة بالشورى".

[5] - اعتنيت بها و نشرتها على الشبكة العنكبوتية .

[6] - في ترجمة ولده الشيخ الحسن، وقع تسمية الكتاب بـ(مدلول السنة في السلام عليكم ورحمة الله).

8- « حكم السنة و الكتاب في وجوب هدم الزوايا و القباب ». فرغ منه عام1370، مطبوع.

9- « الذكر الملحوظ في نفي رؤية اللوح المحفوظ » كتبه عام1350 ، موضوعه : الرد على دعوى بعض فقهاء مكناس أن عبد الرحمن المجذوب دفين المدينة كان يرى اللوح المحفوظ .

10- « الإرشاد والسداد في فضل ليلة القدر على ليلة الميلاد »، كتبه عام1354 .

11- « توشيح تزيين الأرائك في إرسال النبي للملائك » كتبه عام1350 ، رد فيه على السيوطي، في زعمه أن النبيﷺ، مرسل إلى الملائكة و إلى الرسل قبله، و إلى أممهم، و إلى الحيوان و الجماد.

12- « القول الفائز في عدم التهليل وراء الجنائز ». كتبه عام1350، موضوعه: صواب تشييع الجنائز بالسكوت و عدم التهليل وراءها، و هو مطبوع.

13- « القول المعلوم في إباحة النظر في النجوم » كتبه عام1361، وهو تفسير الآية الكريمة:{ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } [النحل : 16].

14- « كشف الخِدر فيما وقع من الهرج في زكاة الفطر» كتبه عام 1364 أفتى فيه بجواز دفع القيمة مع الكراهة .

15- « التهاني في أجوبة الفقيه العثماني » كتبه عام1365، رد فيه على رسالة الفقيه العثماني من أجِلة فقهاء سوس، و تتعلق الإجابة بالزكاة و الفتوحات الصوفية.

16- « السيف المسلول في الرد على من حكم بتضليل من ترك السيادة في الصلاة على الرسول » كتبه عام 1370، وردّ فيه على فقيهين أوجبا ذكر السيادة في الصلاة على الرسول ﷺ.



17- « المستغنَم في بقاء الجنة و فناء جهنم » [7] كتبه عام 1370 .

18- « اللُّمعة في أن كل مكان تصح فيه الجمعة » كتبه عام 1352 ، موضوعه : الفتوى بجواز الصلاة بجنبات المسجد، و الحوانيت المحيطة به، إذا امتلأت رحابه، فقام بعض فقهاء الرباط و فاس وأفتوا بالبطلان، فرد عليهم الشيخ بهذا المؤلَّف.

19- « لطف الله مع هبته في الرد على قاضي امْزَاب و شيعته » كتبه عام 1348 موضوعه : حول اتهام قاضي امزاب آنذاك الشيخَ بإنكار الأولياء الصالحين فرد عليه الشيخ و بين أن إنكاره يتعلق بأولياء الشيطان .

20- « المختار عند الأعلام، في الحكم على السيكرو بالحرام» فرغ منه عام 1375، رد فيه على الوزير الحجوي الثعالبي الذي أجاز السيكرو المعلوم للسلع وغيرها مطلقا اختيارا ، فأثبت الشيخ حرمته إلا للضرورة .

21- « الأجوبة الشافية على أسئلة العباسية » فرغ منه عام 1371 .

22- « تنبيه الرجال في نفي القطب و الغوث و الأبدال » و هو رد على الصوفية لانتحالهم أسماءً لشيوخهم كالقطب و الغوث و الكبريت الأحمر .

23- « القول الجليّ في الرد على من قال بتطور الوليّ » رد فيه على بعض الصوفية الذين زعموا أن من كرامات الأولياء التطورَّ في أشكال شتى .

24- « المسائل البديعة في البحث مع أهل الهيئة و الطبيعة » رد فيه على طنطاوي جوهري في تفسيره «الجواهر»، حيث قال فيه إن المواد كلها متحركة لا ساكن فيها.

---

[7] – وقع تسميتها في ترجمة الشيخ الحسن بـ(المستغفر في بقاء الجنة و فناء جهنم) .

25- « الأبحاث البيضاء مع الشيخين عبده و رشيد رضا ».

26- « الإلمام في رد ما ألحقته مبتدعة زايّان من العار بالإمام » كتبه عام 1350، موضوعه: الرد على التيجانيين الذين أفتوا بعدم صحة الصلاة وراء القاضي العلامة الطيب العلوي مما دفع به إلى مكاتبة الشيخ فألف هذا الكتاب في الرد عليهم و أعلن أن عدم الانتساب إليهم هو السنة.

27- « الحكم المشهور في طهارة العطور و طهورية الماء المخلوط بالملح المسمى بالكافور » فرغ منه عام 1945 نصراني.

28- « الدُّرة الوهّاجة في نفي صُحبة بني ادغوغ و رجراجة وصنهاجة ». فرغ منه عام 1367 و موضوعه : الرد على من ادّعى نسبة هذه القبائل إلى الصحابة.

29- « الفائدة المسموعة في لزوم الواحدة في الثلاث المجموعة » فرغ منه عام 1369، موضوعه : مسألة الطلاق الثلاث في الكلمة الواحدة .

30- « حلّ إبرام النقض في الرّد على من طعن بالمحلول أو سُنة القبض »، فرغ منه عام 1349، وهو في الرد على محمد الخضر الشنقيطي الذي كتب كتابا في نصر السدل، فأعلن الشيخ بنصرة وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة .

31- « الإرشاد و السداد في رخصة الإفطار للدارس والحصّاد » فرغ منه عام 1370 .

32- « العَوَر و القَذى في عين من رخّص الإفطار و لو بقليل من الأذى ».

33- « إظهار الحق و الانتصار في البحث مع صاحب توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم و الإفطار » وهو رد على محمد بن الصديق الغماري في كتابه " توجيه الأنظار " الذي

أوجب فيه توحيد الصوم و الإفطار على كافة المسلمين .

34- « الاستفاضة في أن النبي ﷺ لا يُرى بعد وفاته يقظة » كتبه عام 1348، و هو رد على السيوطي .

35- « الميزان العزيز في البحث مع أهل الديوان المذكور في كتاب الإبريز للشيخ الدباغ عبد العزيز » . فرغ منه عام 1372، و هو رد على عبد العزيز الدباغ في زعمه إثبات التصرف للأولياء و أن لهم ديوانا يجتمعون فيه.

36- « النصر و التمكين في وجوب الدفاع عن فلسطين » . فرغ منه عام 1367، رد فيه على فقيه فاسيّ زعم أن فلسطين لليهود و أنهم مظلومون.

37- « الفضل و المنة بالبحث في حديث لن يدخل أحدكم عمله الجنة » فرغ منه عام 1372 .

38- « التقاليد المحتملة في بيان الدلائل المجملة » فرغ منه عام 1372 . موضوعه: تفسير الأحاديث المجملة.

39- « خير المتاع في بيان أخطاء فقيه بني السباع » رد فيه على عبد الله السباعي في غلوه في الأولياء و إيراده أشياء على المؤرخ محمد العبدي الكانوني .

40- « كشف النقاب، في الرد على من خصص أزواج النبي بآية الحجاب » فرغ منه عام 1360، رد فيه على أدعياء تحرير المرأة.

41- « سيف النكال و الزجر، في الرد على من قال "لكيلا تحرثوا في البحر"» فرغ منه عام 1375، كتاب كبير رد فيه على كتاب لخالد محمد خالد أسماه " لكيلا تحرثوا في البحر" نزع فيه منزعا إلحاديا.

42- « إرشاد الحيارى، في تحريم زي النصارى » فرغ منه عام 1365.

43- « الإرشاد و التبيين في البحث مع شُرّاح المرشد المعين » فرغ منه عام 1376، موضوعه الرد على شراح المرشد المعين، في التوحيد و ما قرروه من أنّ كلام الله ليس بحرف و لا صوت تبعا لمذهب المعتزلة.

44- « الأبحاث البيِّنات فيما قاله عبده و رشيد رضا في تعدد الزوجات » فرغ منه عام 1377، و هو في الرد على آراء المذكورَين في تعدد الزوجات.

45- « رد طعن الطاعنين في سحر اليهود لسيد المرسلين » فرغ منه عام 1375.

46- « العارفون و الأبرار يعبدون الله طمعا في الجنة و خوفا من النار » فرغ منه عام 1378.

47- « بحْثُ الحق و أهله مع صاحب الحِكَم و شيعته » موضوعه نقد كتاب "الحِكم" لابن عطاء الله السكندري.

48- « مناهج الرجال في الرد على الشيخ رحّال » ردّ فيه على الشيخ الرحالي الفاروق في تفسير للآية الكريمة: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل:44] جانب فيه الصواب.

49- « التبشير بالجنة لا يختص بالعشرة ».

50- « المثاني و المثالث في مناقشة صاحب الخُطبة و ما فيها من مباحث ».

51- « فهرسته التي تشتمل على أسانيده و مروياته، و إجازة العلماء له ».

52- « تحفة الرسائل في أنواع من المسائل ».

53 - « أوثق العُرى في الأحكام المتعلقة بالشورى » فرغ منه عام 1375. مطبوع

54- « تحفة الأصحاب ».

55- « كتاب التذكير في جواب النكرة».

56- « الرسالة الشاقّة في قمع شنقيط آيت واقة »

57- « تحفة الأماني في الرد على أصحاب التجاني » .

و قد ضاعت المؤلفات الثلاثة أعلاه بالأطلس المتوسط .

58- « الاقتصار في جواز الشكوى و الانتصار » كتبه عام 1348 . موضوعه الرد على قوم زعموا أن شكوى العبد لله و للناس حين تمسه الضراء ليست من سمات الصالحين.

59- « إيقاظ الهمم في أن عهود المشايخ لا تلزم » .

60- « تكملة كشف الصدور » .

61- « البراهين البيّنات في أن الأنساب ظنّيات لا قطعيات ».

62- « حكم الحق و الكتاب في طعام أهل الكتاب » .

63- « البراهين العلمية فيما في الصلاة المَشيشيّة ».

64- « القول الفائز في التحليل الجائز ».

65- « أصفى الموارد في الرد على غلو المطربين المادحين لرسول الله وأهل الموالد ».

66- « الزُّهرة في الرد على غلوّ البُردة ».

67- « الحجج العلمية في رد غلوّ الهَمزية ».

68- « أحسن ما تنظر إليه الأبصار، و تصغى إليه الأسماع في نقد ما اشتمل عليه مُمتع الأسماع في الجزولي و أصحابه و التباع ».

69- « الدلائل البيّنات في البحث في دلائل الخيرات و شرحه مطالع المسرات ».

70- « الحياة و الغوث فيما هو الحق في تمني الموت ».

71- « نظر الأكياس في الرد على جهمية البيضاء و فاس » [8] وهو كتابنا هذا .

وكانت للشيخ مساهمة كبيرة في التصدي للمستعمر الفرنسي و باشر الجهادَ بنفسه في مناطق مختلفة، و من الوقائع التي حضرها: واقعة تدّارْت، وأرَغُوس، و أَفُودْ أَحْمْرِي، وهذه الأخيرة كاد أن يهلك فيها بعد أن جاوز الرصاص ثيابه.

و كانت له صلة حميمة بالسلطان محمد الخامس، حيث كان يحضر مجالسه العلمية، وولاه الخطابة و التدريس بالمسجد المحمدي بالدار البيضاء.

توفي بعد مرض عُضال ليلة الثلاثاء 23 ذي القعدة سنة 1385 . رحمه الله رحمة واسعة. [9]

---

[8] - وقع - خطأً- تسميةُ الكتاب في ترجمة الشيخ الحسن بـ(نظر الأكياس في الرد على جمعية البيضاء و فاس) انظر الصفحة 30 .

[9] - جل ما في هذه الترجمة مأخوذ من كتاب " مختصر ترجمة شيخ الإسلام رحمه الله أبي زيد الحاج عبد الرحمن بن محمد النتيفي الجعفري " تأليف ابنه : الحسن بن عبد الرحمن النتيفي . الطبعة الأولى سنة 1400 .

نص الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم .

وصلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا .

الحمد لله الذي استوى على عرشه بلا كيف ، واتّصف بصفات الكمالِ ، وانفرد بها دون سائرِ خلقه ، نحمدُه تعالى ونشكره ، ونستعينه سبحانه وتعالى ونستغفره استغفار خائفٍ من قهره . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ذاته ولا في فعله ووَصْفِه ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبدُه ورسوله ، وخاتمُ أنبيائه ورسله ﷺ، وعلى آله وكرام صحبه .

أما بعد؛ فإن مما أبرزته الأقدارُ، ونَفَسَت به الأيامُ والأعصارُ، ما دهمنا من الوقائع في هذه الدِّيار، من كيد جماعةٍ من الأشرار، ليسوا من الأقوياء الفجّار، ولا من الأتقياء الأبرار، التي هي واقعة رجب سنة 1363 هـ . فقد قام بها بعضٌ من أولئك المشار إليهم هنالك ، بعد أن أجمعوا أمرهم وأتوا صفًّا، وقاموا قوْمَة رجل واحد. واختنقوا غَيظًا وحَيفاً ، وانكشفت صدورُهم عمّا فيها من الضغائن والحقود، وحشروا لكيدهم كلَّ مبتدع وحسودٍ ، واستغاثوا لنصرتهم بكل مُعادٍ للسنة وكائد، دفعا لها، وتصمُّما عن سمعها ، وتسلّحوا لذلك بكل دافعٍ ومعاند ؛ وكانوا مهما سمعوا للسُّنة أثرًا، ومرّ على آذانهم ذِكرُ من يؤيد لها خبرا، تحلَّقوا لذلك واجتمعوا وتحيّلوا في كيدها وناصرها ، وحفظوا في ذلك ووعوا ثم لم يزالوا في هذا الحال ، والحال ما حال ، يتربَّصون الفرص ، ويتجرّعون الغُصص إلى أن بدت لهم– ص1 – فرصةً غصوا بريقهم فيها أزالوا غصتهم فيها بالدعاوى والصّياح ، والفتنة واللعن والشتم، وغيرِ المباح، وأفعالٍ لو كانت من الصبيان والمجانين لحُقَّ لها أن لا توضَع في مجالس العلم وبيوت

أذن الله أن تُرفع .

وذلك أننا ذكرنا مذاهب الناس في استواء الله على عرشه ، وأيّدنا منه ما أيّده الله في كتابه ورسولُه في حديثه ، وسلف أمته ومحققو خلفها بصريح نصه ؛ قامت قيامةُ قيامتهم تلك ، وانتظموا لنصر خلاف ما لله ولرسوله وسلف أمته في صفّ وسِلْك ، ولعنوا وشنّعوا وطيّروا الخبر إلى كل من باديةِ المغرب ومُدنه . وشكوا إلى أمراء الوقت وقضاته وسلطانه. وآل الأمر بيننا وبينهم إلى إيقاف دروسنا ودروس قبيحٍ جاهلٍ منهم، وهو الذي تولّى كِبر هذه الفتنة ، نحو أربعين يوما على يد قاضي الوقت. وعَقْدِ مجلسٍ للمناظرة على يده أخرص الله فيها ألسنة القوم ، وعجزوا عن تأييد مذهبهم إلا بأفكارهم التي ينبذونها عند الدليل ويرجعون إليها ولا بد للتعصب والميل . وكان في خلال هذه الأيام أن رجلا من هؤلاء فاسيا تذكّر ذاخرة تركها له أبوه ، فيا لها من ذخيرة ! وياله من أب لله دره ! وهي ما حدثني بعض الفضلاء عنه أن السلطان أبا علي المولى الحسن العلوي [10] نور الله ضريحه وأسكنه من روض الجنان فسيحه ، بينما صحيح البخاري يُقرأ بين يديه على العادة بفاس إذْ وقع في مجلسه خلافٌ في استواء الله على عرشه بين علماء فاس وعالم من أهل طنجة ، فاستدعاه السلطان للحضور معهم، وهو الشيخ عبد الله السنوسي [11]. فأمهلهم الإمام إلى أن يأتوا غدا بأدلتهم. فجاءوا

---

[10] – هو السلطان الحسن الأول .

[11] – توفي سنة 1350 . قال فيه الشيخ تقي الدين الهلالي في "أئمة الدولة العلوية وتمسكهم بكتاب الله وبيان رسوله الكريم ":(الإمام المحدث المجتهد، ناصر السنة، وقامع البدعة، عبد الله السنوسي نزيل طنجة).

و قال أيضا:(ومن أخبار عبد الله السنوسي الطريفة ما حدثني به أخي في الله العالم السلفي الورع الرباني

غدا بأوراق في أيديهم، فلما صفحت ورقات أبيه أعجبت السلطان وأمر بسردها وأن ينتهى إلى معناها وقولها، بعد أن عجز خصمه عن رد ما فيها إلى آخر ما قال. ودفع السلطان ذلك العالم عن مجلسه، فبقيت من هذه الرسالة بيد ولد صاحبها المذكور. فأسرع بها إلى أبي المكارم السلطان المولى محمد [12] بن الإمام المولى يوسف إمام وقتنا أعلى [13] الله علاه وأعز كلمته، ورفع شأنه. وزعم أنه أخذها منه ثمانية أيام وينسخها، أو يطالعها، فردها بعد الأجل. وقصد الرجل بذلك أن يغيظنا به ويغير قلب الملك ويدخل في علمه أن لأسلافه الفاسيين حجةً علمية، ومستنَدا للانتقام منا، ولا علم لنا بذلك. ولكن أبى الملك الكبير واللطيف الخبير - ص2 - إلا أن يحق الحق ويبطل الباطل. فأيد سلطاننا ونوّر ذهنه وفكره حتى ميّز بين الحق فأيده وأحبه ، وبين الباطل فأدمغه وأرداه، فكان جزاء أعمال أولئك المبطلين من مالك العوالم ثم من مالك المغرب الحرمانَ، وانعكست عليهم القضية [14]، فكانت مقاصدهم السيئات في جانبنا حسنات حيث تسببوا لنا بذلك في قربٍ من السلطان وصِلاتِه وسماعِ الدروس منَّا المرةَ

الأستاذ محمد أبو طالب الإدريسي الحسني، رحمة الله عليه قال:" كان عند الفقهاء بفاس احتفال بدعي في بعض الأضرحة، فأنكر عليهم عبد الله السنوسي واعتزلهم فجاءه أحد الفقهاء وأراد أن يداعبه بكلام يغضبه ليستخرج من عنده من الدرر التي تجيء عفوا في حال غضبه فقال له القولة الجاهلية المشهورة عند المقلدين (نحن خليليون، إن دخل خليل الجنة دخلناها معه، وإن دخل النار دخلناها معه) فأجابه الإمام السنوسي على البديهة بقوله تعالى في سورة الأنبياء(67) { أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ }".

[12] - هو السلطان محمد الخامس .

[13] - في النسختين معًا: أعلا ، بالمد .

[14] - في النسختين معاً : القاضية. و لعل الصواب ما أثبته .

بعد المرّة، وإعجابه بذلك، وذكرِه للخاصة والعامة. وطرد الذي تولى كبر الفتنة من المسجد الأعظم ، فخمدت بذلك نار فتنته، و آضَتْ([15]) تضطرم في أحشائه، ثم بعد هذا جاءنا الفاضل الذي حدثنا عن الفاسي وشأن رسالته بها، فقرأناها وتأملنا ما فيها. فإذا هي من باب تكلموا تُعرَفوا، قد أعربت عن مدارك أصحابها. وقدمنا رِجْلاً وأخرنا أخرى في الكَتْب عليها برهة من الدهر، حتى ألحَّ علينا بعضُ الفضلاء في رقْم كلمات عليها. فأجبناه لذلك، وسألنا الله العون عليه، راسمين في حاشية الرسالة وهامشها ذلك، قائلين قوله:(الحمد لله الذي نوّر قلوب العارفين بمعرفته، و جعل من شعائرهم الاعترافَ بالعجز عن الوصول إلى كنه حقيقته، وأيدهم بأن جعل سبحانه اعتقادهم عدم حصر كمالاته، و تنزيهه عما لا يليق بألوهيته من تجسيم و جهة وجِرحة وغير ذلك مما هو سمة مخلوقاته. سبحانه سبحانه من إلهٍ عظيم مكوِّن الأشياء كلها وخالق العرش العظيم لا يحيط بمعرفته أحد من المخلوقات، ولا يمكن استقراره لا على الأرض ولا فوق العرش والسموات، بل هو العلي الأعلى خالق الأرض و السموات العلى. فهو سبحانه في السموات وفي الأرض إله يتجلى في كل شيء بعلمه وقدرته جل شأنه وعلاه، فكل ما يخطر بالبال مما هو سمات المخلوقين محالٌ في حقه تعالى عند جميع المؤمنين المتقين. والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله و أصحابه أجمعين وأما بعد؛ فإنه لما كان أمير المؤمنين ناصر الشريعة القويمة، وسالك الطريقة المستقيمة، وباسط مهاد العدل والإنصاف، وهادم أساس الجور و الاعتساف، صاحب العدل والإحسان، ومن

---

[15] – في الأصل : واضت ثم تضطرم ...إلخ وفي (ب) : واضات ؛ و لعل الصواب ما أثبته ، و معنى آضت : صارت ، كما في القاموس المحيط .

كل وصف مستحسَن، سيدنا ومولانا الحسن سالك سنن أسلافه الكرام بالمواظبة بالتبرك بقراءة حديث جده عليه السلام).

قد افتتحها ببراعة الاستهلال دلّت على مقصوده، غيرَ أنها لم تسلمْ من مناقشةٍ تتضح بعد ذلك. وقولُه في وصف المولى حسن أنه (سلك سنن سلفه بالمواظبة بالتبرك بقراءة حديث جده عليه السلام ...إلخ).

فيه بحثان :

- الأول:من حيث العربية؛ إذِ (المواظبة) تتعدّى إلى مفعولها بـ(على) لا بالباء والفاء.

- الثاني: من حيث المعنى؛ إذ المفهوم من قوله:(بالتبرك بقراءة حديث...إلخ) أنه لا اكتراث لهم بالأحكام التي لأجلها بعث رسول الله ﷺ، و تكلّم لأجل بيانها وأوصى بالتمسك بها، بقوله:« عليكم بسنتي »،([16]) و قول الله:{ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ } [الحشر 7]. وقد قال رسول الله ﷺ:« ألا هل بلغت »، و التبركُ إنما هو تبعٌ، ولا شرْع إلا ما شرعه الرسول، و إن كان هذا الرجل وأشكالُه يقولون إن الحديثَ قد فَرغ من فهمه المجتهدون فلم يبق لنا فيه إلا التبرك. و هذه مقالة تمجُّها الأسماعُ و تنفُر منها الطِّباع و يردها العقل و السماع.

أما الأول : فإن الرسول لم يُبعث بخصوص المجتهدين .

و أما ثانيا : فإن المجتهدين ليسوا بمقصورين على المشهورين .

و أما ثالثا : فإن كلام الله و الرسول لا تزال معانيه و علومُه تتجدد .

---

[16] - قطعة من حديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجة و غيرهم عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، و هو صحيح ، انظر : " الصحيحة 937 ".



و أما – ص: 3 – رابعا: فإن الجزئيات التي تحتاج إلى أحكامٍ غير منصوصٍ عليها، تستمر استمرار الأزمان.

و أما خامسا: فإن أهل هذه المجالس حيث قدِروا على الخوض في استواء الله على عرشه بالتأويل و غيره، كيف لا يقدرون على التكلُّم في فروعٍ هي أسهل مأخذا و أيسر دليلا و أخف كُلفة من التكلم في أصول الدين !؟

و أما سادسا : فإنا رأيناهم يفرِّعون الفروع على أصول مذاهبهم و استحساناتهم تفريعا أشد استخراجا من استخراج الأحكام من القرآن و السنة، و المَلَكَةُ واحدة! فلم أُرسِلت في جهة و قُيِّدت بقيود المنع في أخرى؟

و أما سابعا: فإنا رأيناهم يستدلون لفتاويهم و أنظارِهم[17] بدلائل السنة والكتاب شأن المجتهدين.

و أما ثامنا: فإنهم عند الحاجة يخرجون عن مذاهبهم إلى مذاهب أخرى، و لو كانت شاذة بالنسبة إلى مذهبهم. و هذا عين النظر و الاجتهاد و نفس القوة و الملَكة و الاقتدارِ على التصرّف، و لا دليل يصح لقطع الاجتهاد بل الصحيح عكسه . لقول الرسول:« لا تزال طائفة من أمتي »،[18] و حينئذ فلا معنى لدعوى التبرّك، و ما رتّب عليه من الأجوبة إلا التنافي و الدعاوي المتناقضة التي لا تقع إلا ممن لا يعقل ما يتفوّه به.

و قوله:(و سنن أسلافه ...إلخ)، غير صحيح؛ لأن أسلافه المشهورين المدوِّنين في العلوم، و

---

[17] – في (ب) : (وانظرهم) .

[18] – قطعة من حديث في صحيح مسلم و سيأتي .



الناظرين فيها حق النظر قد صرحوا بأنهم على مذهب السلف في العقائد و أشهدوا الناس على ذلك، و حملوهم عليه حسبما دلّ على ذلك التاريخ، و كفى بكتاب الاستقصا[19] شاهدا عليه، و هذا نصه، قال في ترجمة سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل العلوي بعد كلام:(كان يحضر عنده جماعة من أعلم الوقت و أئمة منهم؛ الفقيه العلامة المشارك أبو عبد الله محمد بن الإمام سيدي عبد الله الغربي الرباطي، و الفقيه العلامة المحقق أبو عبد الله سيدي محمد المير السلاوي، و الفقيه الدرّاكة أبو عبد الله محمد الكامل الرشيدي، و الفقيه السيد أبو زيد عبد الرحمن المدعو بأبي اخْريص، هؤلاء أهلُ مجالسه الذين كانوا يسرُدون له كتب الحديث و يخوضون في معانيها، و يؤلفون له ما يستخرجوه منها على مقتضى إشارته، و كانت له عناية كبيرة بذلك، وجلب من المشرق كتبا نفيسة من كتب الحديث لم تكن بالمغرب ، مثل مسند الإمام –ص4– أحمد و مسند أبي حنيفة و غيرهما. وألّف رحمه الله في الحديث تأليفا بإعانة الفقهاء الذين ذكرناهم آنفا، منها كتاب مسانيد الأئمة الأربعة[20] ...إلى أن قال: و كان

[19] – "الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى" مطبوع و متداول. للمؤرخ المشهور أبي العباس أحمد بن خالد الناصري المتوفى سنة 1315هـ.

[20] – للسلطان كتب كثيرة أغلبها لا يزال مخطوطا، و منها :

01 – مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان ، طبع سنة 1414هـ

02 – الفتوحات الإلهية فيما اجتمع من الأحاديث النبوية الشافية من للقلوب الصدية مخطوط

03 – الفتوحات الإلهية الكبرى . مطبوع سنة 1364

04 – الجامع الصحيح الأسانيد المستخرج من ستة مسانيد مخطوط

05– فتح الباري في اقتطاف أزهار المسانيد لتخريج أحاديث البخاري" مخطوط

السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله ينهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الأشعرية رضي الله عنهم، و كان يحضُّ الناس على مذهب السلف من الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب و السنة بلا تأويل و كان يقول عن نفسه حسبما صرح في آخر كتابه الموضوع في الأحاديث المخرجة عن الأئمة الأربعة أنه مالكيٌّ [مذهبا][21] حنبليٌّ اعتقادًا، يعني أنه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتأخرين وله في ذلك أخبار و مجريات[22])اهـ.

و قال أيضا في ترجمة ابنه أبي الربيع السلطان مولاي سليمان:(و يجمع أعيانَ العلماء لسرد الحديث الشريف و تفهمه و المذاكرة فيه على مرِّ الليالي و الأيام، و يتأكد ذلك عنده في رمضان، و يشاركهم في غزارة علمه و حسن ملكته ، ويتناول راية السبق في فهم المسائل التي يعجز عنها غيره فيصيب).

و قال في توجيه السلطان مولاي سليمان ابنه المولى إبراهيم إلى الحجاز[23] و معه من جملة

06- الفتح الرباني فيما اقتطفناه من مسانيد الأئمة وفقه الإمام الحطاب والشيخ ابن أبي زيد القيرواني " طبع سنة 1360 هـ.

07 – طبق الأرطاب فيما اقتطفناه من مسانيد الأئمة وكتب مشاهير المالكية وفقه الإمام الحطاب. مخطوط

08- الجواهر واللآلىء في التنبيه على ما اشتمل عليه الإحياء للغزالي

09- بغية الطلاب المعينة قارئها على عبادة العزيز الوهاب. شرح لعقيدة ابن أبي زيد القيرواني. مخطوط .

[21] – سقطت كلمة (مذهبا) من النسخة (ب)، و هي مثبتة في الأصل و الاستقصا .

[22] – انظر الاستقصا الجزء الثامن ، صفحة 68 .

[23] – كان قد بعث السلطان ابن سعود رحمه الله برسائل لكثير من البلدان و منها المغرب ، (يدعو الناس إلى اتباع مذهبه و التمسك بدعوته ، و لما وصل الكتاب إلى تونس بعث مفتيها نسخة منه إلى علماء فاس فتصدى

الفقهاء القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزداغي [24] فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم: إن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأي شيء رأيتمونا خالفنا فيه السنة؟ و أي شيء سمعتموه عنا قبل رؤيتكم لنا؟

فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء المستلزم لجسمية المستوي.

قال لهم : معاذ الله، إننا نقول كما قال مالك: الاستواء معلوم و الكيف مجهول و السؤال عنه بدعة، فهل في هذا من مخالفة ؟

قالوا له: لا، و بمثل هذا نقول نحن أيضا).[25]

فانظر هل يُفهم من هذا أنهم كانوا يقرءون الأحاديث لمجرد التبرك أو لأخذ الأحكام منها و التفقه فيها؟

كما أنك تعلم بهذا أن ما كان عليه سلف السلطان أبي المولى حسن توحيدُ السلف، وأن الله مستوٍ على عرشه بذاته، كما يدلّ عليه حملُه للصفة على ظاهرها، بغير تشبيه و لا تأويل. و قوله: (حنبليٌّ اعتقادا) إذْ ما ذكرنا [هو][26] اعتقاد الحنابلة و ستأتيك نصوصهم. و كذا

للجواب عنه الشيخ العلامة الأديب أبو الفيض حمدون بن الحاج) الاستقصا 8/ 120 . والرسالة بتمامها في الترجمانة الكبرى للزياني وغيرها من .

و لما حرر الشيخ حمدون جوابه عليها بأمرٍ من السلطان المولى سليمان ، أرسله في وفد ضم نجله إبراهيم وجماعة من أهل العلم ، و ذلك في حج عام 1226 .

[24] – قاضي مراكش في زمنه ، و هو من تولى الكلام بلسان الوفد المغربي مع السلطان ابن سعود.

[25] – انظر تفاصيل الحوار بين علماء المغرب و السلطان ابن سعود في الجيش العرمرم الخماسي 1 / 291–292

[26] – في (ب) : (هذا) مكان (هو).



علماؤهم على مذهبهم كما يُنبئ عنه ما تقدم.

و قول قاضيهم الزداغي لابن سعود و من معه من علماء المغرب:(و بمثل هذا نقول نحن أيضا)- ص5-. و المنفيُّ عندهم الاستواء الذاتي المستلزم للجسمية و هو منتفٍ بنفي الكَيف. و أبناء هذين السلطانين لا يخرجون عن سيرتهما إلا بالصراحة، و أين هي؟ والمولى الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله المذكور و لو كانوا يقرءون الكتب لمجرّد التبرّك ما أعطوا النظر حقه، و التأمُّل حظّه، حتى انكشفت لهم الحقائقُ، فرفضوا مذهب التأويل، و عانقوا مذهب السلف، فليت شعري بأي كتابٍ أمْ بأي سنةٍ رأى[27] أهل هذه الرسالة بطلانَ مذهب سلف الإمام المولى الحسن الذي تمسك به خصمهم، و زعموا أن الإمام معهم على فكرتهم. و لعل الدليل على ذلك ما وسَّخوا به ورقاتِ الرسالة، و ستُحيط بما فيه خُبرا.

و قوله:(وأظهر بعضُ الحاضرين بمجلسه الشريف ما كان كلامنا فيه من المخالفة و التحريف، وأفصح بما انطوى عليه باطنُه من الاعتقاد الفاسد، وتكلم بما يدل على أنه مبتدع وفاسق، ولأوصاف الربوبية جاحد، حتى صرح في جانب الألوهية بما تمجه الأسماع و تنفر عنه الطباع من حمل المتشابه على الحقيقة، فسوى لطمس بصيرته بين الخالق والخليقة، فتحركت الهمة عند ذلك لرد كلامه الشنيع، بتقييد النزر اليسير من القول الرفيع، تاركا للتطويل، مقتصرا لما يجب عليه التعويل، خوفا من انتشار كلام هذا الضلول، فتزل به قدم كل مبتدع وجهول، فأقول).

[27] – في (ب) : رءا .



يعني ببعض الحاضرين العلامةَ الشيخَ عبدَ الله السنوسي ساكن طنجة، وقت المدعو من قِبَل السلطان لحضور مجلس الحديث المذكور آنفا بالمقدمة، وكان رحمه الله سلفيَّ المذهب، فلم يتفق له القولُ مع الجهمية، و قد ذكره صاحب الرسالة بأوصاف ذميمةٍ من فساد الاعتقاد والابتداع و الفسق والضلال مما يغني بعضه عن بعض، ولا فائدة لتكراره إلا الحشو، إذْ فساد الاعتقادِ يُغني عنها كلَّها. على أن ما جعله غايةً عنده هو نفس المغير، و لم يذكر سبب فساد اعتقاده و ابتداعه و تضليله هنا، و ذكره بعدُ بقوله:(وغيرُ خافٍ على سيادة سيدنا أن هذا المبتدع الضال الذي يريد إثبات الجهة و يقول: من لم يعتقد أن الله فوق السموات فهو كافر).

وكان حقه أن يُذكَر هنا، ولكن الرجل لا يدري كيف يكتب كما لا يدري ما يقول. و عند ذكر السبب إن شاء الله يظهر بذكر الجواب، يُعلم راكب الفرس من راكب الحمار، و مطموس البصيرة من مفتوحها.

و قوله:(مقتصرا لما يجب) فيه ما في (المواظبة) المتقدمة من أنه لا يتعدى باللام و إنما بـ(على).

و قوله:(فتزل به قدم كل مبتدع ...إلخ). يقال عليه: إذا كان مبتدعا جاهلا فزلة قدمه من تحصيل الحاصل.

و قوله:(قال في الرسالة عطفا على ما هو من أمور الديانات من قوله : و أن الله واحدٌ و أنه تعالى فوق عرشه المجيد).

يعني بالرسالة رسالة ابن أبي زيد وقوله:(عطفا). أصل العبارة وأحسنها (عاطفا) باسم الفاعل، ودعوى المجاز في المصدر نادر[28] ولا ضرورة لارتكابه -ص6-.

---

[28] - في كلا النسختين : (ناذر) بالمعجمة .



وقوله:(وقال شُرّاحها؛ وفوقيته تعالى على عرشه فوقية استيلاء وملك وقهر وغلبة، كقولك: السيد فوق عبده، لأن المالك فوق المملوك، و الخالق فوق المخلوق، فهي راجعة إلى معنى القهر).

يقال عليه :

أولا: هذا خلافٌ للمصنف لا شرحٌ له، وردٌّ من أبي الحسن لكلام الشيخ إلى ما اعتقده ونشأ عليه من مذهب الجهمية، و إلا فالشيخ سابقٌ عليه في الزمان وفي الفضل و العلم، و في معرفة لسان العرب، وفي الفرق بين المجاز و الحقيقة، و في معرفة مذاهب أهل الكلام وفي ما جاء عن السلف فيه، ويعرف أن يعبِّر بالفوقية المعنية، ولا يجهل حكم التصريح بالذات. فإما أن يُسلّم هذا فيثبت ما قلناه من الخلاف لكلام المصنف، وإما ألا يُسَلم ويُجهّل الشيخ فيما قلناه، ولا أجهل ممن جهّل أقرانه. ويؤيد ظاهر كلام الشيخ الكتابُ و السنة وقول سلف الأئمة.

و ثانيا: إن شُرّاح الرسالة لم يتفقوا على ما حكيتم عن أبي الحسن بل قال أبو بكر محمد بن مَوهَب المالكي[29] في شرح رسالة ابن أبي زيد: " قوله (إنه فوق عرشه المجيد بذاته)، معنى (فوق) و (على) عند جميع العرب واحد، و في كتاب الله تعالى و سنة رسول الله ﷺ تصديقُ ذلك ". ثم ذكر النصوص من الكتاب و السنة و احتج بحديث الجارية [30] و قول النبي ﷺ

---

[29] – محمد بن مَوهَب المقبري أبو بكر المالكي، توفي عام 406، و يعتبر شرحه للرسالة أقدم شرح على الإطلاق.

[30] – رواه مسلم في صحيحه برقم 836 عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه .

لها: أين الله؟ و قولها: في السماء، و حكمه بإيمانها. و ذكر حديث الإسراء [31] ثم قال: " وهذا قول مالك فيما فهمه عن جماعة ممن أدرك من التابعين، فيما فهموا من الصحابة، فيما فهموا عن نبيهم ﷺ، أن الله في السماء بمعنى فوقها و عليها. قال الشيخ أبو محمد: إنه بذاته فوق عرشه المجيد. فبين أن علوه على عرش و فوقه إنما هو بذاته، إذ لا تحويه الأماكنُ، إلا أنه بائنٌ من جميع خلقه بلا كيف، و هو في كل مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، إذ لا تحويه الأماكن لأنه أعظم منها... إلى أن قال: و قوله على العرش استوى، إنما معناه عند أهل السنة على غير معنى الاستيلاء و القهر والغلبة والملك الذي ظنت المعتزلة و من قال بقولهم، إنه معنى الاستواء. و بعضهم يقول إنه على المجاز لا على الحقيقة. قال: و يبين سوء تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأولوه من الاستيلاء و غيره، ما قد علِمه أهلُ المعقول أنه لم يزل مستولياً على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها، و كان العرش وغيره في ذلك سواء. و لا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء -ص7- الذي هو في تأويلهم الفاسد؛ استيلاءٌ و ملكٌ وقهرٌ وغلبةٌ. قال: و ذلك يبين أيضا أنه على الحقيقة بقوله: و من أصدق من الله قيلا. فلما رأى المصنفون [32] إفراد ذكره بالاستواء على العرش بعد خلق السموات والأرض، و تخصيصه بصفة الاستواء علموا أن الاستواء غير الاستيلاء، فأقروا بوصفه بالاستواء على عرشه و أنه على الحقيقة لا على المجاز، لأنه الصادق في قيله، ووقفوا عن تكييف ذلك و

---

[31] – في حدث الإسراء و المعراج أحاديث كثيرة بعضها في الصحيحين ، انظر مثلا رقم 3394 عند البخاري و 278 عند مسلم . و الشاهد منها جميعا ، ذكر عروج النبي ﷺ إلى ربه في السماء و دلالته على علو الله تعالى .

[32] – في (ب) : المصبقون .

تمثيله، إذ:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى11] ".

و هذا الشرحُ المؤيَّد بالكتاب و السنة أولى بالتقديم من شرح أبي الحسن المعقّد الخالي عن الدليل، إلا دليل الفِكْر و الوهم.

و ثالثا: يقال؛ لِمَ[33] قدّمتم ما دل عليه كلام أبي الحسن على ما دل عليه كلام الشيخ و ابن مَوهب، وقد صرح ابن أبي زيد في "الرسالة" و "النوادر" و "الأدب" [34] بأن الله مستو على عرشه بذاته ؟ و الله يقول:{ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِّ وَالرَّسُولِ} [النساء 59]. و كلام الشيخ يشهد له الكتاب و السنة كما سيأتي.

رابعا: قولكم (فوقية استيلاء وملك و قهر و غلبة ...إلخ)، لا يُدرى مستندكم في هذا التفسير، إذ لم يُنقل عن الله ولا عن رسوله ولا عن سلف الأئمة، و إنما نُقل عن الجهمية و المعطلة. و كأني بكم تقولون: قد تلقاه العلماء عنهم بالقبول! فيقال لكم: إذا قبله تلامذة[35] الجهمية لم يقبله علماء السلف، ولا محققو علماء الخلف. قال الإمام ابن القيم:(مِمَّا ادَّعَى الْمُعَطِّلَةُ مجَازَهُ الْفَوْقِيَّةُ، وَقَدْ وَرَدَ بِهِ الْقُرْآنُ مُطْلَقًا بِدُونِ حَرْفٍ وَمُقْتَرِنًا بِحَرْفٍ؛ فَالْأَوَّلُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } [الأنعام18و61] فِي مَوْضِعَيْنِ. وَالثَّانِي كَقَوْلِهِ:{ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [النحل: 50]، وَفِي حَدِيثِ الْأَوعالِ لَمَّا ذَكَرَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَذَكَرَ الْبَحْرَ الَّذِي فَوْقَهَا، وَالْعَرْشَ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ، وَاللهَّ فَوْقَ ذَلِكَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُمْ. وَحَقِيقَةُ

---

[33] – في النسختين معا ؛ لما ، و الصواب ما أثبته .

[34] – ثلاثتها مطبوعة متداولة بحمد الله.

[35] – في (ب) : تلاميذة .

الْفَوْقِيَّةِ؛ عُلُوُّ ذَاتِ الشَّيْءِ عَلَى غَيْرِه، فَادَّعَى الْجَهْمِيُّ أَنَّهَا مَجَازٌ فِي فَوْقِيَّةِ الرُّتْبَةِ وَالْقَهْرِ، كَمَا يُقَالُ الذَّهَبُ فَوْقَ الْفِضَّةِ، وَالْأَمِيرُ فَوْقَ نَائِبِهِ، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ ثَابِتًا لِلرَّبِّ تَعَالَى، لَكِنَّ إِنْكَارَ حَقِيقَةِ فَوْقِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ، وَحَمْلَهَا عَلَى الْمَجَازِ بَاطِلٌ مِنْ وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ:

أَحَدُهَا : الْأَصْل الْحَقِيقَةُ، وَالْمَجَاز عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ.

الثَّانِي : أَنَّ الظَّاهِرَ خِلَافُ ذَلِكَ .

الثَّالِثُ: أَنَّ هَذَا الِاسْتِعْمَالَ الْمَجَازِيَّ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ قَرِينَةٍ تُخْرِجُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ، فَأَيْنَ الْقَرِينَةُ فِي فَوْقِيَّةِ الرَّبِّ تَعَالَى؟

الرَّابِعُ: أَنَّ الْقَائِلَ إِذَا قَالَ: الذَّهَبُ فَوْقَ الْفِضَّةِ قَدْ أَحَالَ -ص8- الْمُخَاطَبَ عَلَى مَا يَفْهَمُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ وَالْمُعْتَادِ بِأَمْرَيْنِ عُهِدَ تَسَاوِيهِمَا فِي الْمَكَانِ، وَتَفَاوُتُهَا فِي الْمَكَانَةِ. فَانْصَرَفَ الْخِطَابُ إِلَى مَا يَعْرِفُهُ السَّامِعُ، وَلَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ، فَهَلْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَغَيْرِهِمْ عَهْدٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي فَوْقِيَّةِ الرَّبِّ تَعَالَى حَتَّى يَنْصَرِفَ فَهْمُ السَّامِعِ إِلَيْهَا؟

الْخَامِسُ: أَنَّ الْعُهودَ [36] وَالْفِطَرَ وَالْعُقُولَ وَالشَّرَائِعَ وَجَمِيعَ كُتُبِ اللهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ. وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَالَمِ بِذَاتِهِ، فَالْخِطَابُ بِفَوْقِيَّتِهِ يَنْصَرِفُ إِلَى مَا اسْتَقَرَّ فِي الْفِطَرِ وَالْعُقُولِ وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ.

السَّادِسُ: أَنَّ هَذَا الْمَجَازَ لَوْ صُرِّحَ بِهِ فِي حَقِّ اللهِ كَانَ قَبِيحًا، فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمُتَقَارِبِينَ فِي الْمَنْزِلَةِ وَأَحَدُهُمَا أَفْضَلُ مِنَ الْآخَرِ. وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَتَقَارَبَا بِوَجْهٍ فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ فِيهِمَا ذَلِكَ، وَإِذَا[37]

---

[36] – فِي (أ) : الْعُهودَ بالجمع . و التصويب من (ب) و مختصر الصواعق .

[37] – فِي (ب) : (و إن كان يقبح...).



كَانَ يَقْبُحُ كُلَّ الْقُبْحِ أَنْ تَقُولَ: الْجَوْهَرُ[38] فَوْقَ قِشْرِ الْبَصَلِ، وَإِذَا قُلْتَ ذَلِكَ ضَحِكَتْ مِنْكَ الْعُقَلَاءُ لِلتَّفَاوُتِ الْعَظِيمِ الَّذِي بَيْنَهُمَا، فَالتَّفَاوُتُ الَّذِي بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ وَفِي مِثْلِ هَذَا قِيلَ شِعْرًا: أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ ... إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

السَّابِعُ : أَنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ لَمْ يُمْتَدَحْ فِي كِتَابِهِ وَلَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ، وَأَنَّ رُتْبَتَهُ فَوْقَ رُتْبَةِ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَحَيْثُ وَرَدَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ فَإِنَّمَا هُوَ فِي سِيَاقِ الرَّدِّ عَلَى مَنْ عَبَدَ مَعَهُ غَيْرَهُ وَأَشْرَكَ فِي إِلَهِيَّتِهِ[39]، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ تِلْكَ الْآلِهَةِ كَقَوْلِهِ:{ آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ } [40]، وَقَوْلِهِ: { أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [يوسف: 39] وَقَوْلِ السَّحَرَةِ: { وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [طه: 73] وَلَكِنْ أَيْنَ فِي الْقُرْآنِ مَدْحُهُ نَفْسَهُ وَثَنَاؤُهُ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ ابْتِدَاءً ؟ وَلَا يَصِحُّ إِلْحَاقُ هَذَا بِذَلِكَ؛ إِذْ يَحْسُنُ فِي الِاحْتِجَاجِ عَلَى الْمُنْكِرِ وَإِلْزَامِهِ مِنَ الْخِطَابِ الدَّاحِضِ لِحُجَّتِهِ مَا لَا يَحْسُنُ فِي سِيَاقِ غَيْرِهِ ، وَلَا يُنْكِرُ هَذَا إِلَّا غَبِيٌّ .

الثَّامِنُ: أَنَّ هَذَا الْمَجَازَ وَإِنِ احْتُمِلَ فِي قَوْلِهِ: { وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } [الأعراف: 127] فَذَلِكَ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ جَمِيعًا مُسْتَقِرُّونَ عَلَى الْأَرْضِ، فَهِيَ فَوْقِيَّةُ قَهْرٍ وَغَلَبَةٍ، لَمْ يَلْزَمْ مِثْلُهُ فِي قَوْلِهِ: {

---

38 – في (ب) : الجهر .

39 – في الأصل : (و الشرك في الألوهية) و المثبت ما في مختصر الصواعق .

40 – النمل:59. و أنبه إلى أن المؤلف يورد الآيات برواية ورش رحمه الله ، فالآية هنا مثلا قرأها ورش: (آَللَّهُ خَيْرٌ اَمَّا تُشْرِكُونَ). وإنما اعتمدت رواية حفص في كل الاستشهادات لشهرتها فحسب.

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } [الأنعام: 18] إِذْ قَدْ عُلِمَ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ وَعِبَادُهُ لَيْسُوا مُسْتَوِينَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ حَتَّى تَكُونَ فَوْقِيَّةَ قَهْرٍ وَغَلَبَةٍ .

التَّاسِعُ: هَبْ أَنَّ هَذَا يُحْتَمَلُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } [يوسف: 76] لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ وَالْقَرَائِنِ الْمُقْتَرِنَةِ بِاللَّفْظِ عَلَى فَوْقِيَّةِ الرُّتْبَةِ، وَلَكِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَأْتِي مُجَرَّدًا عَنْ (مِنْ) وَلَا يُسْتَعْمَلُ مَقْرُونًا بِـ(مِنْ) فَلَا يُعْرَفُ فِي اللُّغَةِ الْبَتَّةَ أَنْ يُقَالَ:(الذَّهَبُ مِنْ فَوْقِ الْفِضَّةِ) وَلَا (الْعَالِمُ مِنْ فَوْقِ الْجَاهِلِ)، وَقَدْ جَاءَتْ فَوْقِيَّةُ الرَّبِّ مَقْرُونَةً بِـ(مِنْ) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [النحل: 50] فَهَذَا صَرِيحٌ فِي فَوْقِيَّةِ الذَّاتِ، وَلَا يَصِحُّ حَمْلُهُ عَلَى فَوْقِيَّةِ الرُّتْبَةِ لِعَدَمِ اسْتِعْمَالِ أَهْلِ اللُّغَةِ لَهُ).[41] و قد يزيده بيانا ما سيأتي بعدُ إن شاء الله.

على أنه يقال لكم؛ لِمَ أُهمِل هذا التفسير من الله ورسوله وأصحابه و التابعين، ورُدَّ الأمر فيه إلى جهمٍ و أصحابه؟ وما وكّل الله البيانَ لأحدٍ إلا الرسول. -ص 9-.

و تُسألون عن تأويلاتكم هذه، آلله و رسوله قادران على التكلم بها، والإفصاح عنها، والتصريح بألفاظها أم عاجزان !؟

إن قلتم بالثاني؛ كفرتم، و لا تقولون به أبدا. و إن أقررتم بالأول؛ سُئلتم عن ترك الله و رسولِه لذلك البيان الذي هو الحقُّ عندكم وسواه باطلٌ و ضلال. الذي هو لفظ الكتاب و السنة كما قال مشارككم في هذا المذهب: " إن كثيرا من ظواهر الكتاب و السنة كفرٌ"، و قد قلتم إن ما يدلّ عليه ظاهرهُما مستحيلٌ و اعتقاد محال ضلال أيضا، و هو من نمط ما قبله .

فإما أن يكون جوابكم: إنهما قادران وفَعَلا ذلك قصْدًا، فيلزم عليه التعمية على الخلق و الغشّ

---

41 - مختصر الصواعق للموصلي ص : 431- 432 طبعة دار الحديث القاهرة .



لهم من الشارع ، حيث أمرهم بالحق و لبّس عليهم بألفاظ دالة على ما سواه من الباطل، و دعاهم إلى ذلك في كتابه و على لسان رسوله، و قال: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ } [الأنعام 153]، و قال: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر 7]. وقال رسول الله ﷺ:(عليكم بسنتي)، وقال:(هل بلغت!)[42]. وشهد الله له بالتبليغ، وبإكمال الدين، وقال: { فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ }[الذاريات 54]. وقال: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }[المائدة 3]. فأيُّ تبليغٍ وأيُّ إكمالٍ وأيُّ معنىً لدينٍ ودعاءٍ يكفُر القائلُ به ويجهل المتمسك به؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون من هذه الطوام التي سلطت على أذهان الخلف وهم لا يشعرون.

و إن كان جوابكم: البيان تُرك لأمثال الجهم و أصحابِه لكان ذلك كذبا[43] وعناداً للكتاب و السنة و إجماع الأمة في أن المبيِّن لما عساه يخفى هو الرسولﷺ لا غير، بشهادة: { لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل 44]، { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [النحل 89]. و لو وكّل البيان لأحد لكان الصحابة أولى بذلك.

و تُسألون عن سبب فراركم عن حمل الاستواء على حقيقته مع نفي الكيف و لوازم الجسمية إلى تأويلكم بالقهر و الغلبة، فيكون جوابكم: تنزيه الله عن صفة الأجسام. فيُجاب جوابكم بأن نفي الكيف و التشبيه يَدفع ما خِفتم و توهّمتم. و ما فررتم منه وقعتم فيه؛ إذ الاستيلاء والقهر والغلبة من أوصاف الأجسام، و بأن الاستيلاء و ما معه لا يوصَف به إلا من كان

---

[42] – حديث العرباض بن سارية ، وقد تقدم .

[43] – في النسختين : كاذبا ، و لعل الصواب ما أثبته .



يحارب و يغالب غيره فغلبه و استولى عليه.

قال في الصواعق:(مزايلا و مفارقا، لأَنَّ الِاسْتِيلَاءَ يَكُونُ مَعَ مُزَايَلَةِ الْمُسْتَوِلي لِلْمُسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَمُفَارَقَتِهِ، كَمَا يُقَالُ: اسْتَوْلَى عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ عَلَى خُرَاسَانَ، وَاسْتَوْلَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ عَلَى بِلَادِ الْمَغْرِبِ، وَاسْتَوْلَى الْجَوَادُ عَلَى الْأَمَدِ، قَالَ الشَّاعِرُ:

أَلَا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ ... سَبْقُ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْأَمَدِ

فَجَعَلَهُ مُسْتَوْلِيًا عَلَيْهِ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِ لَهُ وَقَطْعِ مَسَافَتِهِ، وَالِاسْتِوَاءُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ مُجَاوَرَةِ الشَّيْءِ الَّذِي يَسْتَوِي عَلَيْهِ كَمَا{اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}[هود 44]{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ}[الزخرف 13] { فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ } [المؤمنون 28] وَهَكَذَا فِي جَمِيعِ مَوَارِدِهِ فِي اللُّغَةِ الَّتِي خُوطِبْنَا بِهَا، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ:اسْتَوَى عَلَى الدَّابَّةِ وَالسَّطْحِ إِذا نَزَلَ عَنْهَا وَفَارَقَهَا، كَمَا يُقَالُ: اسْتَوْلَى عَلَيْهَا، هَذَا عَكْسُ اللُّغَةِ وَقَلْبُ الْحَقَائِقِ، وَهَذَا قَطْعِيٌّ بِحَمْدِ اللَّهِ)[44].

و نقول: بل يلزمكم أن تنفوا كل صفات الله تعالى إذ ما مِن صفةٍ له مشهورة عند الخلق إلا و فيها اشتراك في التسمية من الوجود إلى غيره. و بأن العرش لم يكن مغلوبا لله تعالى بعد خلق السموات و الأرض، بدليل:{ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } [الأعراف 54]. وقد جاء في الخبر الصحيح ما يدل على أن العرشَ مخلوقٌ –ص 10– قبل السموات و الأرض.

قال في الصواعق:(قال رسول الله ﷺ:« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ

[44] – مختصر الصواعق ص : 385



السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»،[45] وَقَالَ تَعَالَى: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: 7]، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ قَادِرٍ وَلَا مُسْتَوْلٍ عَلَى الْعَرْشِ إِلَى أَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟

فَإِنْ قِيلَ : نَحْمِلُ "ثُمَّ" عَلَى مَعْنَى الْوَاوِ وَنُجَرِّدُهَا عَن مَعْنَى التَّرْتِيبِ .

قِيلَ : هَذَا خِلَافُ الْأَصْلِ وَالْحَقِيقَةِ، فَأَخْرَجْتُمْ "ثُمَّ" عَنْ حَقِيقَتِهَا، وَالِاسْتِوَاءَ عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَلَفْظَ "الرَّحْمَنِ"عَنْ حَقِيقَتِهِ، وَرَكَّبْتُمْ مَجَازَاتٍ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ تَأْتِي "ثُمَّ" لِتَرْتِيبِ الْخَبَرِ لَا لِتَرْتِيبِ الْمُخْبَرِ، فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَهَا سَابِقًا عَلَى مَا قَبْلَهَا فِي الْوُجُودِ وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ فِي الْإِخْبَارِ.

قِيلَ: هَذَا لَا يَثْبُتْ أَوَّلًا وَلَا يَصِحُّ بِهِ نَقْلٌ، وَلَمْ يَأْتِ فِي كَلَامٍ فَصِيحٍ، وَلَوْ قُدِّرَ وُرُودُهُ فَهُوَ نَادِرٌ لَا يَكُونُ قِيَاسًا مُطَّرِدًا تُتْرَكُ الْحَقِيقَةُ لِأَجْلِهِ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ أَفْصَحُ الْكَلَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } [الأعراف: 11] وَالْأَمْرُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ كَانَ قَبْلَ خَلْقِنَا وَتَصْوِيرِنَا، قَالَ تَعَالَى: { وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ} [يونس: 46] وَشَهَادَتُهُ تَعَالَى عَلَى أَفْعَالِهِمْ سَابِقَةٌ عَلَى رُجُوعِهِمْ .

قِيلَ : لَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى تَقَدُّمِ مَا بَعْدَ (ثمَّ) عَلَى مَا قَبْلَهَا. أَمَّا قَوْلُهُ:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ } [الأعراف: 11] فَهُوَ خَلْقُ أَصْلِ الْبَشَرِ وَأَبِيهِمْ، وَجَعَلَهُ سُبْحَانَهُ خَلْقًا لَهُمْ

---

[45] – صحيح مسلم رقم 4797



وَتَصْوِيرًا إِذْ هُوَ أَصْلُهُمْ وَهُمْ فَرْعُهُ، وَبِهَذَا فَسَّرَهَا السَّلَفُ، قَالُوا خَلَقْنَا أَبَاكُمْ ، وَخَلْقُ أَبِي [46] الْبَشَرِ خَلْقٌ لَهُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تعالى: { فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ } [يونس: 46] فَلَيْسَ تَرْتِيبًا لِاطِّلَاعِهِ عَلَى أَفْعَالِهِمْ، وَإِنَّمَا هو تَرْتِيبٌ لِمُجَازَاتِهِمْ عَلَيْهَا، [وَذَكَرَ الشَّهَادَةَ الَّتِي هِيَ عِلْمُهُ ولاطلَاعِهِ تَقْرِيرًا لِلْجَزَاءِ عَلَى طَرِيقَةِ الْقُرْآنِ فِي وَضْعِ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ مَوْضِعَ الْجَزَاءِ لِأَنَّهُ يَكُونُ بِهِمَا كَمَا قَالَ تَعَالَى: { إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [لقمان: 23] وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران: 165] وَقَوْلِهِ: { فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا } [فاطر: 45] وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَهُوَ كَمَا يَقُولُ السَّيِّدُ لِعَبْدِهِ: اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنِّي أَعْلَمُ مَا تَفْعَلُهُ، وَأَنَا قَادِرٌ عَلَيْكَ، وَهَذَا أَبْلَغُ مِنْ ذِكْرِ الْعِقَابِ وَأَعَمُّ فَائِدَةً][47].

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثمَّ سَادَ أَبُوهُ ... ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ

قُلْنَا: أَيُّ شَاعِرٍ هَذَا حَتَّى يُحْتَجَّ بِقَوْلِهِ؟ وَأَيْنَ صِحَّةُ الْإِسْنَادِ إِلَيْهِ لَوْ كَانَ مِمَّنْ يُحْتَجُّ بِشِعْرِهِ؟ وَأَنْتُمْ لَا تَقْبَلُونَ الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَيْفَ تَقْبَلُونَ شِعْرًا لَا تَعْلَمُونَ قَائِلَهُ وَلَا تُسْنِدُونَ إِلَيْهِ الْبَتَّةَ !؟

---

[46] – سقطت (أبي) من (ب) .

[47] – ما بين المعقوفتين سقط من الأصل . و قد أثبته من مختصر الصواعق .



إنَّ فَاضِلَكُمُ الْمُتَأَخِّرَ لَمَّا تَفَطَّنَ لِهَذَا، ادَّعَى الْإِجْمَاعَ [48] أَنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَهَذَا لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَصْلًا ، وَهُوَ مُنَاقِضٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ أَظْهَرَ مُنَاقَضَة ، فَإِنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَعَرْشُهُ حِينَئِذٍ عَلَى الْمَاءِ، وَهَذِهِ وَاوُ الْحَالِ؛ أَيْ خَلَقَهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ ، فَدَلَّ عَلَى سَبْقِ الْعَرْشِ وَالْمَاءِ لِلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ: « قَدَّرَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ »،[49] وَأَصَحُّ الْقَوْلَيْنِ أَنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ قَبْلَ الْقَلَمِ، لِمَا فِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو [50] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، قَالَ اكْتُبْ، قَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ اكْتُبِ الْقَدَرَ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ قَدَّرَ الْمَقَادِيرَ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَأَخْبَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَدَّرَهَا فِي أَوَّلِ أَوْقَاتِ خَلْقِ الْقَلَمِ، [51] [فَعُلِمَ أَنَّ الْعَرْشَ سَابِقٌ عَلَى الْقَلَمِ]،[52] وَالْقَلَمَ سَابِقٌ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، فَادَّعَى هَذَا الْجَهْمِيُّ أَنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَمْ يَكْفِهِ هَذَا

---

[48] – في الأصل:(هذا و إن فاضلكم من المتأخرين لما تفطّن لهذا الرد على الإجماع على أن العرش مخلوق بعد السموات ...إلخ).

[49] – تقدم قريبا .

[50] – في الأصل : (عبد الله بن عمر) ، و الحديث إنما هو عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، و هو حديث صحيح . انظر "السلسلة الصحيحة" 1 / 207

[51] – سقطت (خلق) من (ب) .

[52] – ما بين المعكوفتين سقط من (أ) و (ب) ، و أثبته من مختصر الصواعق .

الْكَذِبُ حَتَّى ادَّعَى الْإِجْمَاعَ عَلَيْهِ، لِيَتَأَتَّى لَهُ إِخْرَاجُ الِاسْتِوَاءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ -ص11-.

و قولكم:(ويحتمل أن تكون فوقيته تعالى بمعنى الشرف و الجلال و الكمال، فهي بمعنى المخالفة و عدم المماثلة فتكون راجعة إلى معنى التنزيه).

كلامٌ لا يكاد يُفهم، إذ كيف يطابق أن يقال [53] في تفسير قوله تعالى:{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه 5] تشرّف على العرش وكان مخالفا له و لم يماثله. و في قوله : { يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ } [النحل50]، و:{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } [الأنعام18]، { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } [الأعراف54] أي تشرّفٍ و تنزّهٍ أن يكون مماثلا لخلقه، إذْ هذه الألفاظُ لم توضع في لسان العرب لهذا المعنى ولا في لسان الشرع و لا عُرفت فيهما مجازيتُها فيه، ولا يقال هذا الشرف من هذا إلا إذا كان مشاركا له في الشرف. وأيُّ جامعٍ بين شرف الله تعالى و شرف العرش؟ و لا يقال: السيف أفضل من العصا.

قال ابن القيم رحمه الله و رضي عنه :" أَنَّ تَفْضِيلَ الرَّبِّ تَعَالَى عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ لَا يُذْكَرُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَدًّا عَلَى مَنِ اتَّخَذَ ذَلِكَ الشَّيْءَ نِدًّا لِلَّهِ تَعَالَى ، فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ النِّدِّ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ} [النمل: 59] وَقَوْلِهِ تَعَالَى حَاكِيًا عَنِ السَّحَرَةِ:{ لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [طه: 72 - 73] وَقَوْلِهِ تَعَالَى:{ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [النحل: 17]. فَأَمَّا أَنْ يُفَضِّلَ نَفْسَهُ عَلَى شَيْءٍ مُعَيَّنٍ مِنْ خَلْقِهِ ابْتِدَاءً

53 - سقطت عبارة (أن يقال) من (ب)



فَهَذَا لَمْ يَقَعْ فِي كَلَامِ اللهِ وَلَا هُوَ مِمَّا يُقْصَدُ بِالْإِخْبَارِ، لِأَنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ ابْتِدَاءً، اللهُ خَيْرٌ مِنِ ابْنِ آدَمَ وَخَيْرٌ مِنَ السَّمَاءِ وَخَيْرٌ مِنَ الْعَرْشِ، مِنْ جِنْسِ قَوْلِ: السَّمَاءُ فَوْقَ الْأَرْضِ وَالثَّلْجُ بَارِدٌ وَالنَّارُ حَارَّةٌ، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ تَمْجِيدٌ وَلَا تَعْظِيمٌ وَلَا مَدْحٌ، وَلِهَذَا لَمْ يَجِئْ هَذَا اللَّفْظُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَا فِي كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَا مِمَّا جَرَتْ عَادَةُ النَّاسِ بِمَدْحِ الرَّبِّ تَعَالَى بِهِ، مَعَ تَفَنُّنِ مَدْحِهِمْ وَمَحَامِدِهِمْ، بَلْ هُوَ أَرَكُّ كَلَامٍ وَأَسْمَجُهُ، وَأَهْجَنُهُ. فَكَيْفَ يَلِيقُ بِهَذَا الْكَلَامِ الَّذِي يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ عَظَمَةً وَجَلَالَةً، وَمَعَانِيهِ أَشْرَفُ الْمَعَانِي وَأَعْظَمُهَا فَائِدَةً أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ وَالسَّمَاءِ، وَمِنَ الْمَثَلِ السَّائِرِ نَظْمًا:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرُهُ ... إِذَا قِيلَ إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا

وَهَذَا بِخِلَافِ مَا إِذَا كَانَ الْمَقَامُ يَقْتَضِي ذَلِكَ احْتِجَاجًا عَلَى مُبْطِلٍ ، وَإِبْطَالًا لِقَوْلِ مُشْرِكٍ ، كَمَا إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَعْبُدُ حَجَرًا فَقُلْتَ لَهُ : اللهُ خَيْرٌ أَمِ الْحَجَرُ، فَيَحْسُنُ هَذَا الْكَلَامُ فِي هَذَا الْمَقَامِ مَا لَا يَحْسُنُ فِي قَوْلِ الْخَطِيبِ ابْتِدَاءً : الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَلِهَذَا قَالَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِي احْتِجَاجِهِ عَلَى الْكُفَّارِ : { يَاصَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [يوسف: 39] وَقَالَ تَعَالَى: { آللهُ خَيْرٌ أَمْ مَا يُشْرِكُونَ } [النمل: 59] . يُوَضِّحُهُ: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَكَلَّمَ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ لَكَانَ مُسْتَهْجَنًا جدًا، فَلَوْ قَالَ: الشَّمْسُ أَضْوَأُ مِنَ السِّرَاجِ، وَالسَّمَاءُ أَكْبَرُ مِنَ الرَّغِيفِ وَأَعْلَى مِنْ سَقْفِ الدَّارِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ لَكَانَ مُسْتَهْجَنًا مُسْتَقْبَحًا مَعَ قُرْبِ النِّسْبَةِ بَيْنَ الْمَخْلُوقِ وَالْمَخْلُوقِ، فَكَيْفَ إِذَا قِيلَ ذَلِكَ بَيْنَ الْخَالِقِ تَعَالَى وَالْمَخْلُوقِ، مَعَ تَفَاوُتِ الَّذِي بَيْنَ اللهِ وَخَلْقِهِ ".اهـ[54]

---

[54] – مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة ص :383 – 384 .



و قد كفانا عن أن نحرِّف الكلم عن مواضعه إلى معنى قد أغنانا عنه صريح العقل و النقل ، قوله تعالى:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى11] .

و قولكم : (لا يصح هذا ..إلخ) (55).

لا يصح هذا السؤال و جوابه إلا إذا صح السؤال و أصلُه، وهو لا يُسلَّم لكم كما تقدّم ويأتي.

على أننا نقول: لو صح لكان أحرى أن يُقال: الله مستوٍ على الأرض وعلى السماء و على الحشوش و فَسِّر على هذا مما يزيل فائدة الآية و يوقع فيما لا ينبغي إطلاقه في جانب الله تعالى .

كما أن خصمكم يقول إن دعواكم المجاز في الآية وغيرها مردود عليكم ، إذ العرب لا يعبِّرون بمجاز و لا يعرفونه ، و لا جاءت الشريعة بالفرق بين المجاز و الحقيقة ، و إنما أُحدث هذا القول بعد القرون الثلاثة مثل ابن جني و أشياخه .

قال ابن القيم:(وَالشَّرْعُ لَمْ يَرِدْ بِهَذَا التَّقْسِيمِ وَلَا دَلَّ عَلَيْهِ، وَلَا أَشَارَ إِلَيْهِ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ لَمْ يُصَرِّحْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَنَّ –ص 12– الْعَرَبَ قَسَّمَتْ لُغَاتَهَا إِلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ وَلَا قَالَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ: هَذَا اللَّفْظُ حَقِيقَةٌ وَهَذَا مَجَازٌ، وَلَا وُجِدَ فِي كَلَامِ مَنْ نَقَلَ لُغَتَهُمْ عَنْهُمْ مُشَافَهَةً وَلَا بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ وَالْفَرَّاءِ وَأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَالْأَصْمَعِيِّ وَأَمْثَالِهِمْ، كَمَا لَمْ يُوجَدْ ذَلِكَ فِي كَلَامِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ وَلَا تَابِعِ التَّابِعِينَ، وَلَا فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ.

وَهَذَا الشَّافِعِيُّ وَكَثْرَةُ مُصَنَّفَاتِهِ وَمَبَاحِثِهِ مَعَ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ لَا يُوجَدُ فِيهَا ذِكْرُ الْمَجَازِ

55 – في الأصل المردود عليه العبارة هكذا: (و لا يقال إذا كان ما ذكرتَ هو المراد بالفوقية فلم خص العرش بالذكر مع أن العالم بأسره من عرشه إلى فرشه كذلك ؟).



الْبَتَّةَ، وَهَذِهِ رِسَالَتُهُ الَّتِي هِيَ كَأُصُولِ الْفِقْهِ لَمْ يَنْطِقْ فِيهَا بِالْمَجَازِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، وَكَلَامُ الْأَئِمَّةِ مُدَوَّنٌ بِحُرُوفِهِ لَمْ يُحْفَظْ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ تَقْسِيمُ اللُّغَةِ إِلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ، بَلْ أَوَّلُ مَنْ عُرِفَ عَنْهُ فِي الْإِسْلَامِ أَنَّهُ نَطَقَ بِلَفْظِ الْمَجَازِ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى، فَإِنَّهُ صَنَّفَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ كِتَابًا مُخْتَصَرًا سَمَّاهُ مَجَازَ الْقُرْآنِ، وَلَيْسَ مُرَادُهُ بِهِ تَقْسِيمَ الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّهُ تَفْسِيرٌ لِأَلْفَاظِهِ بِمَا هِيَ مَوْضُوعَةٌ لَهُ، وَإِنَّمَا عَنَى بِالْمَجَازِ مَا يُعَبَّرُ بِهِ مِنَ اللَّفْظِ وَيُفَسَّرُ بِهِ، كَمَا سَمَّى غَيْرُهُ كِتَابَهُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ، أَيْ: مَا يُعْنَى بِأَلْفَاظِهِ وَيُرَادُ بِهَا، كَمَا يُسَمِّي ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ ذَلِكَ تَأْوِيلًا...إلى أن قال : وَقَدْ صَرَّحَ بِنَفْيِ الْمَجَازِ فِي الْقُرْآنِ مُحَمَّدُ بْنُ خُوَازِ مَنْدَادَ الْبَصْرِيُّ الْمَالِكِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَصَرَّحَ بِنَفْيِهِ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيُّ وَابْنُهُ أَبُو بَكْرٍ، وَمُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ الْبَلُّوطِيُّ، وَصَنَّفَ فِي نَفْيِهِ مُصَنَّفًا، وَبَعْضُ النَّاسِ يَحْكِي فِي ذَلِكَ عَنْ أَحْمَدَ رِوَايَتَيْنِ. وَقَدْ أَنْكَرَتْ طَائِفَةٌ أَنْ يَكُونَ فِي اللُّغَةِ مَجَازٌ بِالْكُلِّيَّةِ، كَأَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَائِينِيِّ وَغَيْرِهِ.)[56] إلى آخر ما بيّن و حقّق من أنّ[57] أسعد الناسِ بالصواب من أنكر المجازَ و ردّ دعوى[58] المجاز بوجوه كثيرة تُعلم بالوقوف عليه في الصواعق.

و على تسليم صحته فأين القرائن الدالة عليه من الآيات؟ فإن قلتم: قرينة العقل، إذ العقل يحيل الحقيقة. قلنا: ولم ؟ فإن قلتم لمشابهة الأجسام، قلنا: مدفوع بجهل الكيف، و تلزمكم المشابهة بمجازكم أيضا فيما تدفعون، و أعظم منه ما يلزمكم على مجازكم من تعطيل صفة الله

[56] – مختصر الصواعق ص : 285 – 286 .

[57] – سقطت (أنّ) من (ب) .

[58] – في (ب) دعوة !



تعالى بل تعطيل وجوده . وقد صرح بذلك علماؤكم حيث قالوا : لا خارج العالم و لا داخله. و هذا لا يقع إلا على العدم. و يلزم قائله أن وجود الإله ذهنيٌّ فقط، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

و قولكم: (إنه لا محذور في إطلاق الفوقية ...إلخ). [59]

يقال عليه: أيُّ محذورٍ أعظم من أن يُطلَق على الله تعالى ما لا يصح أن يوصف بصريحه ولا ظاهره !

و قولكم:(إذ هو الغني عن كل شيء)، كلام يدل منكم على أن إثبات الفوقية الحسية لله يلزم منه افتقار الله تعالى إلى ما عداه. مع أن هذا الافتقار من صفة المخلوقين، إذ:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }، والقوم قاسوا صفة الخالق على صفة المخلوق مرةً فعطلوه عنها، و طوراً غفلوا عن هذا القياس فأثبتوا له بعض الصفات كالسمع و البصر و القدرة و العلم مع أن الباب واحد !

و قولكم:(قال جعفر الصادق: من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، لو كان على شيء لكان محمولا، و لو كان في شيء لكان محصورا، و لو كان من شيء لكان حادثا).

أما كونه ليس في شيء و لا من شيء فقد دلت الدلائل العقلية والنقلية على ذلك؛ فالعقلية

---

[59] – في الأصل المردود عليه:(إنا نقول: إذا كان العرش الذي هو أعظم المخلوقات و أكملها في طي قبضته و تحت قهره و لا مناسبة بينه و بين خالقه ، فغيرُه من باب أولى ثم أولى أنه لا يجوز في إطلاق الفوقية في جانبه تعالى مع ما فيها من الإيهام لورود السمع بها ، قال تعالى: { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ }، { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } أي فالفوقية في جانبه تعالى فوقية معنوية لا حسية لاستحالتها عليه تعالى إذ هو الغني عن كل شيء).

منها ما قال من الحصر و الحدوث، والنقلية ما دل عليه القرآن و السنة و الإجماع. و بهذه الدلائل نفسها ثبت أن الله فوق عرشه. وزادوا هذه الدلائل، ومؤوِّلها يدفع دلالتها على أنه ليس في شيء و لا من شيء. و كون الفوقية و العلو يستلزمان الحمل من الأجسام المخلوقة المفتقرة إلى مكانٍ و حملٍ لا من الخالق سبحانه. و إن قال هذا جعفر الصادق فقد قال من هو أصدق من جعفر الصادق وغيره و هو الله: { وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِّ قِيلاً } [النساء122]، والصادق المصدوق ﷺ ما يدل على أن الله فوق عرشه مما يأتيك بعدُ فانتظر.

و قولكم : (هو سبحانه مكوّن المكان فقد كان قبل المكان و هو الآن كما كان) .

هذا المعنى صحيحٌ مسلَّمٌ و لكن احتجاجكم به لا يتم إلا لو كان فوق العرش .

و زعم القائلُ بالفوقية أنه فيه مع أن فوق العرش لا يوصف بمكان و لا يدخل في دورة الزمان – ص 13 – ، إذ الزمان هو دورة الفَلَك الأعظم و ما في حوزته من الأفلاك ، و لا فلك و لا دور فوق العرش .

و المكان محصورٌ بالعرش فلا مكان فوق العرش . و كأني بكم لا إلمام لكم بهذا العلم ، و لا طالعتم ما كتب في ذلك أهلُه .

قال ابن رشد : (والشبهة التي قادت نفاة الجهة إلى نفيها هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، و إثبات المكان يوجب إثبات الجسمية .

ونحن نقول: إن هذا كله غير لازم ، فإن الجهة غير المكان .

وذلك أن الجهة هي : إما سُطوح الجسم نفسه المحيطة به، وهي ستة، وبهذا نقول : إن للحيوان فوقاً وسفلاً، ويميناً وشمالاً، وأماماً وخلفاً، وإما سطوح جسم آخر تحيط بالجسم

من الجهات الست .

فأما الجهات التي هي سطوح الجسم نفسه فليست بمكان للجسم نفسه أصلاً . وأما سطوح الجسم المحيطة به فهي له مكان ، مثل سطوح الهواء المحيطة بالإنسان ، وسطوح الفلك المحيطة بسطوح الهواء هي أيضاً مكان للهواء.

وهذه الأفلاك بعضها محيط ببعض ومكانٌ له ، وأما سطح الفلك الخارج فقد تبرهن أنه ليس خارجه جسم ، لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون خارج ذلك الجسم أيضاً جسم آخر ، ويمر الأمر إلى غير نهاية .

فإذاً سطحُ آخرِ أجسام العالم ليس مكاناً أصلاً ، إذ ليس يمكن أن يوجد فيه جسم ، فإذاً إن قام البرهان على وجود موجودٍ في هذه الجهة فواجب أن يكون غير الجسم ، فالذي يمتنع وجوده هنالك هو عكس ما ظنه القوم، وهو موجود هو جسم، لا موجود ليس بجسم .

وليس لهم أن يقولوا : إن خارج العالم خلاء.

وذلك أن الخلاء قد تبين في العلوم النظرية امتناعُه ، لأن ما يدلّ عليه اسم الخلاء ليس هو شيئاً أكثر من أبعاد ليس فيها جسم ، أعني طولاً وعرضاً وعمقاً ، لأنه إن وقعت الأبعاد عنه عاد عدماً ، وإن أنزل الخلاء موجوداً لزم أن تكون أعراض موجودة في غير جسم.

وذلك لأن الأبعاد هي أعراض من باب الكمية ولا بد، ولكنه قد قيل في الآراء السالفة القديمة والشرائع الغابرة إن ذلك الموضع هو مسكن الروحانيين، يريدون الله والملائكة .

وذلك أن ذلك الموضع ليس بمكان ولا يحويه زمان، وكذلك إن كان كل ما يحويه الزمان والمكان فاسداً ، فقد يلزم أن يكون ما هنالك غير فاسد ولا كائن، وقد تبين هذا المعنى فيما

أقوله ، وذلك أنه لما لم يكن ههنا شيء يدرك إلا هذا الموجود المحسوس أو العدم، وكان من المعروف بنفسه أن الموجود إنما ينسب إلى الوجود، أعني أنه يقال: إنه موجود في الوجود، إذ لا يمكن أن يقال : إنه موجود في العدم، فإن كان ههنا موجود هو أشرف الموجودات ، فواجب أن ينسب من الوجود المحسوس إلى الجزء الأشرف ، وهي السماوات.

ولشرف هذا الجزء، قال الله تعالى:{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }[غافر: 57]. فهذا كله يظهر على التمام للعلماء الراسخين في العلم) اهـ [60] .

و قولكم : (قال في الحِكم [61]: الحقُّ تعالى ليس بمحجوب و إنما المحجوب أنت عن النظر إليه ، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، و لو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر ، و كل حاصر لشيء فهو له قاهر { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ }) .

هذا الكلام يُنظر إليه من وجوه :

- الأول : ما وجه الدلالة به على نفي استواء الله على عرشه و أن الفوقية مجاز ؟ و لعلكم تقولون : استدلاله بالآيات.

فنقول : استدلاله قاصر على قهرية الله لعباده ، و لا يُفهم منه غير هذا المعنى ، و لا تعرض لغيره ، و لا ساقه لأجل مجازِكم و قصدكم .

الثاني : هبه ضمّن هذه الجملة مقاصدكم و دعواكم ، و الاستدلالَ بتلك الآيات و حمْلَها على

[60] – كتاب "مناهج الأدلة في الرد على الأصوليين" لابن رشد الحفيد .

[61] – حكم ابن عطاء الله السكندري.



المجاز، ([62]) لأنه لم يكن في قوله حجة ، بل الحجة في كلام الله و رسولهﷺ و إجماع الأمة .

الثالث :لا يلزم أنّ الحاجبَ للشيء حاصرٌ له وقاهرٌ ، فقد يكون لذلك وقد لا يكون فيما بين الخلائق، أما في حقّ ذي القهر والسلطان سبحانه، و الغالبِ الذي لا يُغلب، والقاهرِ الذي لا يُقهر، فإنه لا يقهره حجاب ولا يستره، و كيف لا، وبقدرته وقهره كان، فالحجاب هو المقهور على الحجابة والمغلوب للعزة والعظمة. - ص 14-

الرابع : لم يرد ما يدلّ على أنّ الله محجوبٌ عن خلقه، و إنما الخلق هو المحجوب عنه.([63]) لكان محجوبا عنا، فالحجاب إلخ حجابه، إذ المحجوبيةُ تُنسب إلى الأمرين اللذين بينهما الحجاب و السويّة .على أنه ورد ما يدل على نسبة الحجاب إلى الله تعالى كما روينا من حديث مسلم عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ).([64])

و روى عثمان بن سعيد الدارمي قال: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن عبيد المكتب عن مجاهد عن ابن ابن عمر قال :« احتجب اللهُ عن خلقه بأربعٍ ؛ بنار وظلمة و بنور و ظلمة ».

---

[62] - كذا في النسختين معا، و المعنى يتم لو أضيف قبل (لأنه)عبارة نحو: فهذا لا ينهض لكم دليلا.

[63] - سقط في (ب) عبارة : (لكان محجوبا عنا ، فالحجاب إلخ حجابه) و أثبت على هامشها عبارة : (تأمل هنا بإمعان !) و أما في (أ) فعلى هامشها عبارة : (تأمل هنا و للأسف سقطت منه بعض الكلمات) ، و لعل هذه العبارة ممن علق على المخطوطة لا من الناسخ لاختلاف الخط .

[64] - صحيح مسلم برقم 263



([65])

وقال : حدثنا موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة عن ابن عمران الجوني عن زرارة بن أوفى أن النبيﷺ سأل جبريل:« هل رأيت ربك ؟ فانتفض جبريل و قال: يا محمد إن بيني و بينه سبعين حجابا من نور، و لو دنوت من أدناها لاحترقتُ ». ([66])

فليتأمل المنصف و لينظر هل في هذا أن الله حجب نفسه عنه أم لا ؟ و في أن جبريل إذا حُجب عنه فكيف بغيره ؟

الخامس : ما تقولون و يقول صاحب الحِكم في هذه الكائنات التي جعلها الله حجابا بيننا و بينه، أهي حجاب بين الله و بين الخلق أم لا ؟ فإن كانت حجابا فقد رجعتم عما قلتم، و إن لم تكن حجابا فإن كان لكل الخلائق فهي مكابرة للحس، و إن كان للبعض دون البعض فمن هو هذا البعض ؟ فإن كان العارفين فلا أعرَفُ من الأنبياء و المرسلين عليهم الصلاة و السلام. فلِمَ لم يُمنحوا رؤية الله تعالى على الدوام ؟ و لا يحتاجون هم و لا الراسخون في العلم إلى الاستدلال على الله بل يكفيهم العميان. و لا أن يسأل موسى عليه السلام الرؤية فمُنع منها، ولا أن يُختلَف في رؤية النبيﷺ ربه، و لخُصِّص:{ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ } [الأنعام103] بإبصار غير العارفين. نعم؛ يعكر على هذا دعوى طائفة من عارفيكم رؤية الله عيانا في الدنيا و

[65] –" نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد " ص 172 طبعة الفقي . ورواه الحاكم في المستدرك ح3244 وصححه، ووافقه الذهبي .

[66] – نفس المصدر السابق و نفس الصفحة. و الحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع برقم 3219

ما تقدم يرده. قوله ﷺ:(لن تروا ربكم حتى تموتوا)[67]. و لا يقال إن الموت معنوي، لأننا نقول إن رسول الله ﷺ يخاطب كل الناس بما يفهمون. و أكثر الناس لا يفهمون للموت إلا معناه المتداول. و أرفع الناس درجة من الموت المعنوي الأنبياء و الرسل و قد تقدم ما لهم في هذا الباب.

و قولكم :(وما ورد في صفة العرش وعظمته و حمَلَته مقرّرٌ واضح معلوم، فلا نطيل به، و يكفي في ذلك ما ذكره أبو نعيم في الحلية عن جابر و ابن عباس رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال:" أُذِن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السابعة السفلى، و إن أول من سبح الله تعالى ملك له مئة ألف جناح، من جناح إلى جناح مئة خمسمئة سنة ، خطر على باله هل فوق العرش ربنا شيء؟ فعلم الله منه ذلك فزاده مثل أجنحته مئة ألف أخرى، فطار مئة ألف سنة ، فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، فأوحى الله تعالى إليه: لو طرت إلى يوم النفخ في الصور لم تبلغ ساق العرش، فخرّ راكعا و قال: سبحان ربي العظيم، فأَخذ التسبيح في الركوع من ذلك الملك "[68]. و مثله في التحيُّر للإمام القشيري. وروي أن ملكا استأذن ربه أن يطير إلى سماء العظمة العلوية فطار ألف ثلاثين سنة فقال: يا رب أين أنت؟

---

[67] – متفق عليه .

[68] – الحديث رواه أبو نعيم بهذا اللفظ و هذا القدر:(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ خَالِدٍ الْفَقِيهُ الْمُكِّيُّ بْنُ عَبْدَانَ، ثَنَا سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَجْلَانَ، عَنْ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَابِرٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :« أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ رِجْلَاهُ فِي الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، عَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَمِنْ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ بِخَفَقَانِ الطَّيْرِ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ » قال أبو نعيم:غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، لَمْ نَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ جَعْفَرٍ عَنِ ابْنِ عَجْلَانَ، وَحَدِيثُ جَابِرٍ قَدْ رَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدٍ غَيْرُهُ).

فقال له الحق تعالى : أنا معك. ثم طار ألف ثلاثين سنة أخرى فقال : يا رب أين أنت ؟ فقال له: أنا معك. فقال: سبحانك ما أعظم شأنك ! فطلب من ربه أن يرده إلى موضعه فرجع إلى عبوديته).

لا فائدة لذكره إلا تكثير الجُمل وتكبير جِرم الرسالة. وأما الاستدلال على الموضوع فقد ذهب مشرِّقًا وذهب كلامكم هذا مغرِّباً، وشتان ما بين مشرّق ومغرب [69]. ويتضح ذلك بما يُكتب وهو أن وصف العرش وعظمته التي دل عليها كلامكم هذا لا مدخل لها في النزاع وليست حرفه، وإنما النزاع في نفس استواء الله على عرشه.

و ما حكيتم عن أبي نعيم في صفة المَلَك الأول لا تعرض فيه و لو بكلمة لذلك. و ما ذكرتم عن المَلَك الثاني أنه خطر بباله هل فوق عرش ربِّنا شيءٌ، لا يدل أيضا على نفي علو الله على عرشه إلا لو أجابه الله تعالى بنفي علوه عليه، أو طار فوق العرش و لم يجد شيئا، و لا شيءٌ من ذلك بإقراركم.

و ما ذكرتم من الروايات المجهولة أن ملكا طار ثلاثين ألف سنة فقال: يا رب أين أنت ؟ قال: أنا معك ...إلخ. كذلك لا يدل لما أنتم بصدده. إلا لو أجابه الله تعالى بنفي علوه على عرشه و سماواته. و أما (أنا معك) فإنه صحيح؛ لأن معيته بقدرته و علمه مع الكل و ليست بالذات، و إلا فما فررتم منه من وصفه من علو وقعتم في أقبح منه بزعمكم قبح العلو من مذهب الحلولية. و هذه مسايرة لكلامكم، و إلا فمن ذا يرضى لكم بالاستدلال بأحاديث أبي نعيم، بل و بالرواية – ص15 – عن مجهولٍ التي لم تصح روايتها عن حفاظ المحدثين و

---

[69] – في (أ) : شتان مشرّق و مغرب .



الجهابذة منهم، و لاسيما من أصول الدين، و بالأحرى من رد نصوص الكتاب و السنة و نصوص السلف. و معلوم ما لأبي نعيم في "حليته" مما لا يصح الاحتجاج به مع ما في قولكم:(ألف ثلاثين سنة) من تقديم التمييز على المميَّز.

و قولكم :(قال في المواهب اللدنية [75]عن بعض أرباب الإشارات يخاطب المصطفى ﷺ على لسان العرش لما مرّ ﷺ به حين رجع من الإسراء، يا محمد خلقني و كنت أرعد لهيبته ارتعاشا وارتعادا، فكتب محمد ﷺ فسكن لذلك قلقي وهدأ روعي، فكان اسمك لقاحا لروحي و طمأنينة لسري. يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين، ولابد لي من نصيب من هذه الرحمة، ونصيبي أن تشهد لي بالبراءة مما نسبه أهل الزور إليّ، و تقوله أهل الغرور عليّ ؛ زعموا أني أسع من لا مثل له و أحيط بمن لا كيف له، ممن لا حد لذاته ، ولا عد لصفاته ، كيف يكون مفتقرا إليّ أو محمولا عليّ. إذا كان الرحمن اسمه، و الاستواء صفته، و صفته متصلة بذاته، فكيف يتصل بي أو ينفصل عني؟ يا محمد و عزته لست بالقريب منه وصلا و لا بالبعيد عنه فصلا و لا بالمطيق له حملا، أوجدني رحمة منه و فضلا و لو محقني لكان منه عدلا، يا محمد أنا محمول قدرته و معمول حكمته) .

هذا تفنّنٌ منكم في الاستدلالات الحمقى، و لونٌ آخر من الدلائل الكذِبة ، يبينها ما يُسمَع؛ و هو أن هذا الدليل واضح الخطإ من وجوه كثيرة .

الأول: أن صاحب المواهب لا يُحتجّ بقوله بل هو المحتَجّ له ، إذ لا حجة بقول أحد غير الله و رسوله. و لله در الشافعي إذ يقول :

---

[75] - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لأحمد بن محمد القسطلاني (ت:923هـ)

العلم قال الله قال رسوله ❊❊❊ و ما سوى ذلك وسواس الشيطان [71]

الثاني : هذه المواهب نِسبتُها إلى لدن، إن كانت لرسول الله فقد أخطأ صاحبُها في كثيرٍ مما نسبه إلى رسول الله ﷺ مما لم يصح ثبوته عنه أو له مما يُعلم بالوقوف على مواهبه. و إن كانت لمؤلفها فالأليق باللدنية أن تنسب إلى الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لا إلى مثل المؤلف. و إن ارتكب فيها المجاز على حسب استعداد الفكر والملكة بقبول ما يطرأ عليها ، فبعد بُعْد هذه النسبة نسلمها ولكن مواهبها ليست باللدنية حقا لما قدمناه، ولذلك كانت معروضة للخطأ، ومتعرضة للقبول والرد، و محتاجةً للتحرير والتمييز بين الصحيح والسقيم. و يوضَّح ذلك [72] بالوجوه الآتية، والتي أولها :

الثالث : قوله عن بعض أرباب الإشارات ..إلخ .

الرواية عن البعض المجهول لو كانت من أسانيد أهل الكتاب و السنة إلى من لا ينطق عن الهوى ما صح سندُها و لا مَسندُها . فكيف بها سنادا مجهولا إلى مجهول ، ليس بمعصوم من الخطإ ، بل واضح الخطإ . إذ العبارة الصريحة لا تكفي في هذا الباب إلا أن تكون مقطوعا بها كتاباً أو سنةً أو إجماعاً ، فكيف بالإشارات ؟! هذا إذا كانت الإشارة مدلولا عليها بكتاب و سنة دلالة صحيحة . أما إن كانت من كلامٍ صريحُه لا يخلو غالبا من الخطإ أو كانت مجرد تخيّل و وهمٍ كما هو شأن مَن عبّر عنهم بأرباب الإشارات .

إذا علمت هذا فمحطُّ الإشارة كلها مرتبةٌ عما تخيله و موَّه به هذا المموِّه ، حيث قال إنه

---

71 – في (أ) : الشياطين .

72 – في (ب) : و يتضح ذلك .

يخاطب النبي ﷺ على لسان العرش ! لأنه يُسأل ما الطريق التي توصّل بها إلى علم ذلك من العرش ؟ و لا دلالة على ذلك ، بل غاية ما يدل عليه لسان الحال من الجمادات أنها مصنوعة لله ، مملوكة له ، واهية بحكمه ، فيها طائفة مسبحة كذلك . و أما دلالتها على شيء لا يُنكَر إلا باللفظ الصريح فأين هو ؟ و إنما هو تقوُّلٌ عليها و كذبٌ ، و الله يقول : { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } [الإسراء 36] .

الرابع : ما السبب في تخصيص بعض أهل الإشارات بهذا السر والعلم من العرش حتى صاروا من الخطاب بينه وبين الرسول ولم يكن هذا العلم لرسول الله ﷺ ، ولا يحتاج الخطاب إلى واسطة. ولكن التمويهات والأغلوطات الباطلة حاشا أن تقع من رسول الله ﷺ، وإذا نُسبت إليه ردها حفُّاظ الملة .

الخامس: إذا كان الأمر كما قال ذلك البعض فلِم أغفل رسول الله ﷺ الخبر عن ذلك، ولم يقل خطبني العرش بلسان حاله ليلة أُسري بي ، كما أخبر عن كل ما صح مما رأى و قيل له تلك الليلة . فتركُ رسول الله ﷺ ذلك دليلٌ على عدمه . و قد قال رسول الله ﷺ :« من كذب عليّ كذبة فليتبوأ مقعده من النار ».[73] ولا مستنّد للرجل في درءِ الكذب على العرش و على رسول الله ﷺ .

السادس: من العجب استدلالكم بهذه الإشارات التي لا مفهوم لها إلا الكذب المحض على ما زعمتم، وردكم لنصوص الكتاب والسنة، وتأويلكم لها تأويلا لا يَذَرُ لها حقيقة.

---

[73] – صحيح ، رواه البخاري و غيره ، لكن دون لفظة (كذبةً) .



السابع : قولكم [74] : (لما مرّ به حين رجع من الإسراء).

هذه المقالة نسألكم بالله العليم الخبير عن قائلها دون هذا الرجل ممن يُعتمد على خَبره، وعن دليلها من القرآن العظيم، أو – ص16 – السُّنة، أو أقوال الصحابة والتابعين. و إنما الذي ثبت الإسراءُ إلى سدرة المنتهى، و ما حول ذلك مما يعلمه الله لم نقف على دليل صحيح ولا سقيم ينبئ عن جواز رسول الله ﷺ عرشَ الرحمن إلى ما فوقه ، ثم رجوعه على العرش مارًّا به، الذي أخبر به معتمَدُكم هذا، و أن المخاطبة كانت وقتئذ ، فاللهَ الله من الكذب عليه و على رسوله [75]!

الثامن: كيف وقع من رسول الله ﷺ هذا العروج إلى فوق العرش و النزول بعده ، و لم يخبر به في صحيح خبره ولا بتلك المخاطبة. ولعلكم تقولون: تُرك البيان لبعض أهل الإشارات فتزيدون تمويها على تمويه .

التاسع: قولكم : حين رجع من الإسراء يقتضي أن الإسراء كان لما فوق العرش، مع أن الثابت أن الإسراء كان لما تحت العرش ، فكيف تستدلون بما لم يثبت ، و تظهرون الباطل في صورة الحق.

العاشر : و نسألكم عن إسراء رسول الله ﷺ إلى من ؟ سواء قلنا منتهاه فوق العرش أو تحته . فإن قلتم : إلى الله تعالى ، فقد نقضتم مذهبكم القائل بأن الله لا داخل العالم و لا خارجه . و إن قلتم إلى فضاء ، أو إلى مشاهدة تلك الكائنات خالفتم صريح النصوص كما سيأتي ، و

---

[74] – سقطت (قولكم) من (ب) .

[75] – في (ب) : فاللهَ الله من الكذب على العرش و على رسول الله ﷺ .



طولبتم بمرجِّح الإسراء إلى العلو دون السفل !

الحادي عشر : هذه الشكوى من العرش من أهل الزور و الغرور ، لم يكن لها مصداق يومئذ ، إذ العراك بين أهل التأويل و المسلمين صفات الله [76] بلا كيف لم يَحْمَ وطيسُه إلا بعد ظهور جهمٍ و تلامذته [77]، و لم يكونوا في زمان الصحابة فضلا عن زمان رسول الله ﷺ، فضلا عن وقت الإسراء، فضلا عن تقرر ذلك قبله حتى يعلمه العرش، و يتقرر من دعاويهم، إلا أن يكون المراد بهم السابقين من أصحاب رسول الله ﷺ، أهل ذلك الوقت أو من كان قبل الإسلام من الأنبياء و المرسلين و من تبعهم على خلاف عقيدة الجهمية، و حينئذ يعلم الله و رسوله و المؤمنون و كل عالم و عاقل يستضيئان بنور العلم و العقل : مَن أهل الزور و مَن أهلُ البهتان و الفجور. و لا يشك شاكٌّ في أن من نسب هذا إليهم هو الخاسر المغبون و الملعون الكفور .

الثاني عشر : قولكم على العرش بكتب محمد رسول الله فسكن قلقه [78] ، هذا لم يفعله العرش بلسان المقال ، نعم جاء في بعض الأحاديث رواها الحاكم و أشكالُه [79]، و قد قال فيه الحافظ

---

[76] – في (ب) : صفات الرب .

[77] – في النسختين معا : تلاميذته . و الجملة من قوله : إذ العراك.. كأن فيها خللا .

[78] – فسكن قلقه لم تثبت في (أ) .

[79] – يشير إلى ما رواه الحاكم في المستدرك من طريق عمرو بن أوس الأنصاري موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد و أمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به ، فلولا محمد ما خلقت آدم ، و لولا محمد ما خلقت الجنة و لا النار، ولقد خلقت العرش على الماء

الذهبي : لم يستح هذا الرجل من الله و رسوله أن يروي مثل هذه الأحاديث ، بهذا اللفظ أو مثله مما يدل على هذا المعنى . و بالجملة فتلك الأحاديث لا يحتج بها في فرع و لا أصل .

الثالث عشر : قولكم عنه : (ولابد لي من نصيبٍ من هذه الرحمة ..إلخ) .

يقال عليه : ألم تكفه رحمة الله العامة الشاملة لجميع المخلوقين التي كان بها رسول الله ﷺ رحمةً ؟ و لولاها لم يوجد في الكون رحيمٌ و لا مرحومٌ . و قد أرسل الله رسوله رحمة للعالمين و هم الإنس و الجن . فالزيادة على هذا لا حُجة عليها ، حسبما بيّناه في ما كتبناه على تنوير الحلك للسيوطي .

الرابع عشر : قولكم عنه : (أن تشهد لي بالبراءة) .

يقال عليه : ألم تكفه أيضا شهادة الله؛ { وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } [النساء 166] وشهادة الملائكة؛ { وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ } [النساء:166].

الخامس عشر:أيُّ مَلامٍ على العرش وعتابٍ عليه إذا لم يرضَ على ما تقوله عليه أهل الزور حتى يحتاج إلى هذه الاستغاثة، وهذا التضرع الذي لا يقع إلا من مُذنب.

السادس عشر : أهل الزور إن كانوا هم المتمسكين بنصوص الكتاب و السنة ، فالتمسك بهما عندكم زورٌ و غرورٌ ، نسأل الله السلامة و العافية من هذه البلية . بل النافون للنصوص المتمسكون بالخيالات والأوهام هم أحق بالزور و الغرور.

فاضطرب فكتبت عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فسكن ". قال الألباني في الضعيفة (1 / 448):" لا أصل له مرفوعا ". وأما الموقوف فموضوع.



السابع عشر: قولكم عنه:(و زعموا أني أسع من لا مثل له ..إلخ) [80]

فيه أنهم لم يزعموا أن العرش يسعه ولا أنه يحيط به. بل يقولون إن الله محيط بالعرش وغيره، ويستدلون لذلك بنصوص الكتاب والسنة، كقوله تعالى:{وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ } [البروج20] { وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [البقرة247]. فالكذب عارٌ ولو على العدو.-ص 17 -

الثامن عشر: قولكم عنه: (من لا حد لذاته و لا عد لصفاته ..إلخ) .

يلزمكم على هذا القول بالحلول، فإنه إذا لم يكن مباينا لخلقه، و لا بينه و بينهم حدٌّ، كانت ذاتُه داخلةً في الكون لا محالة. أو كانت ذاته ذاتَهم، وهو القول بالاتحاد وكلاهما كفرٌ.

التاسع عشر : قولكم : (لا عد لصفاته) .

يخالف الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ:« إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ».[81] و المحققون من علماء الإسلام حصروها في هذا العدد، و ضعفوا الدليل على ما زاده غيره.[82]

---

[80] – في (أ) : و زعموا أني أسع ..إلخ.

[81] – رواه البخاري و مسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[82] – يشير إلى الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:« ما أصاب أحدا قطُّ همٌّ ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك ابن عبدك ؛ ابن أمتك، ناصيتي بيدك ، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك. أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي. إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا. فقيل: يا رسول الله: ألا نتعلمها ؟ فقال : بلى. ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها ». صححه ابن القيم في بدائع الفوائد ، و شفاء العليل .

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في حاشيته على كتاب التوحيد:(وقوله:« من أحصاها دخل الجنة » صفة لا

العشرون : قولكم عنه :(كيف يكون مفتقرا إليّ و محمولا عليّ) .

هذا بهتان و كذب على خصومكم إذ لم يقولوا بافتقاره إلى عرشه. و لا أنه محمول له حمل الأجسام. و إنما قالوا: إنه فوقه و عالٍ عليه، و نفوا عنه أن يكون كعلو وحمل المفتقر إلى الظرف أو السطح المحمول عليه، إذ فرقٌ بين صفات الخالق سبحانه و تعالى و المخلوق .

الحادي و العشرون : قولكم عنه : (إذا كان الرحمن اسمه ..إلخ) .

لا يلزم من كون الاستواء من صفة الذات أن يكون مفتقرا إلى حمل العرش كما قدمناه.

الثاني و العشرون : قولكم عنه :(فكيف يتصل بي أو ينفصل عني ..إلخ).

هذا عجبٌ منكم و ممن تقوّلتموه عليه، إذ كيف يوصَف بمتناقضين، فلا يتصل و لا ينفصل. بينما أنتم تستدلون على الانفصال إذ نفيتموه و الاتصال، و لكن اضطررتم لذلك البناء على أصل مذهبكم في وصف الله بالمتناقضين، حيث قلتم لا خارج العالم ولا داخله ، وهما لا يقعان إلا على العدم. و قد أعدّ لهذا التناقض جوابا لا يسمن و لا يغني من جوع أشياخُكم الجهمية، حيث قالوا: إنما يوصف بالخروج و الدخول الجوهرُ و العرّضُ، و اللهُ ليس بهما. و قد صدقوا في أن الله سبحانه و تعالى ليس بهما، و لكن الموجود القديم و الحادث لا بد لهما من وجودٍ خارج الأذهان ، و لا خارج عن الأذهان إلا من العالم أو غيره. فإما أن تقولوا: من العالم، فحلوليةٌ واتحادٌ. و إما أن تقولوا من غيره مباينا لخلقه، و حول إنكاره تدندنون، وعلى نفيه تستدلون. فلم يبق في أيديكم إلا الوجود الذهني، و تعالى الله سبحانه على أن يكون

خبر مستقل؛ لئلا يتوهم الحصر بالتسعة والتسعين اسما، فلا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد ، والمعنى : له سبحانه أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة، وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها).

وجوده ذهنيا فقط. إذ هي دعوى العدم و هي أشنع دعاوي الكفر .

و العجب منكم أيضا كيف نفيتم صفة الاستواء ومثلها لأن عقولكم لم تقبل فيها إلا مشابهة الخلق، مع أن هذا الحكم ليس بواجبٍ عقلا ، بل من الممكن العقليّ و قد رفعه قول الله عز وجل: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى11]، وقبلتم التناقض المؤدي إلى العدم ، واستحالتُه واجبة بالعقل و النقل و غيرهما فـ{إِنَّا للهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ } [البقرة156] من التعصب المؤدي إلى هذا و أمثاله. وقد استدل بعض الناس من هؤلاء من شُراح "المورد المعين" على أن (لا خارج و لا داخل) ليس من المتناقضين بكلمات أصح منها معنى الهذيانُ، وسيأتي ردها إن شاء الله، و الله الموفق للصواب .

وقولكم:(قال بعض العلماء: ينبغي لكل مؤمن أن يحفظ هذه الكلمات: العرش سقف الجِنان لا مستقر الرحمن، والكرسي آية القدم لا موضع القدم والسماء معدن الملك لا مسكن الملك، استواؤه سلطانه، ونزوله امتنانه ومحبته ورضوانه، وضحكه غفرانه، ووجهه وجوده، و يده جوده، ويمينه شهوده، ومن لم يحفظ هذا فالصنم معبوده) .

يقال عليه: هذا شكل آخر من الاستدلال من نمط ما قبله، و هذا الرجل حيث لم يجد برهانا و لا دليلا من الكتاب و السنة و إجماع الأمة لم يبق بيده إلا الاستدلال بالمجهولات و الأوهام.

و عليه فيقال له :

أولا : من هذا البعض المجهول الذي لا يُحتج بقوله لو كان معلوما بالمعرفة و الإتقان فضلا عن وصفه بدونها و بكونه مجهولا !؟

و ثانيا: قوله:(ينبغي لكل مؤمن إذا كان من لا يحفظ هذه الكلمات معبوده الصنم). فكيف

يعبر عن الحكم من جانبه بـ(ينبغي) التي لا تطلق غالبا إلا على مستحسن أو ما يقاربه؟ بل المطلوب من التعبير من جانبه أن يقال: يجب عليه وجوبا من تركه كفر.– ص 18 –

و ثالثا: هذه الكلمات التي أوجبتموها على كل مؤمن بمعناها و لفظها، أَمِن كتاب الله أَمْ سنةِ رسوله أَمْ إجماعِ الأمة ؟ أم وجدتم إيجابها بهذا المعنى و هذا اللفظ ؟ نعم؛ لو كان قائلها نبيا لكان حقا ما قال، ولكن لا نبي بعد رسول الله ﷺ .

رابعا : كيف يكون الصنمُ معبودَ من لم يحفظ أنّ العرشَ سقفُ الجِنان، مع أنه لو مات جاهلا ذلك مع تمكنه من التعلم لَمَا مات عاصيا، لأنه لا يجب عليه ذلك ، كما لا يجب عليه أن يعلم هل الملائكة أفضل أم البشر، في نظائر كثيرة نص عليها العلماء.

وخامسا : قوله : (مستقر الرحمن) .

إن كان بمعنى استقرار الأجسام، فهذا لا يقول به خصمكم ، فالاستدلال في حقه ضائع. و إن كان بمعنى علوِّه و وصفٍ يليق به فهو حرْف النزاع، و على نفيه تستدلون بهذه الخيالات .

و سادسا : قوله : (و الكرسي آية القدم) .

ما يريد هذا الرجل بآية القدَم؟ إن كان معناه الدلالة على قدم الله فلا خصوصية للمدلول عليه، بل و على وجوده و غيره من الصفات، و لا للكرسي، بل :

في كل شيء له آية *** تدل على أنه واحد

و لكن أسباب التخصيص واضحة عند هذا الرجل و هي تسجيع الكلمات المنهي عن تكلفه [83] و الإكثار منه .

---

[83] – في النسختين معا : تكليفه .

و سابعا : (لا موضع القدم) .

يُنظر في المردود عليه بهذا من هو؟ فإنه لم يقل أحدٌ و لو من المجسمة إنه خاص بالقدم، و إنما يقولون: الجلوس عليه كجلوس الأجسام، و هذا لا يكون بالقدم .[84]

وأما خصمكم فينزه الله تعالى عن الجارحة وصفة الجسم، وإنما يثبت لله صفة تشترك مع صفة الخلق وأسمائهم في مجرد الاسمية دون المعنى. وهذا معلوم من الشاهد؛ فإن العين مثلا تشترك بين مسميات كثيرة متباينة وربما كانت متنافية. وكالقُرء والجون كمسميات دنيوية وأخروية تشترك في الأسماء، و بين معانيها بونٌ كما بين الضّبّ و النون، و ما بين الثرى و الثريا. فإذا كان هذا ضروريا فكيف بصفة القديم مع صفة الحادث مشتركتين في الاسم، إذ العِلم قاطعٌ بتباينهما تباينا لا يُكتنَه كُنهه .

و ثامنا : قوله [85] : (و السماء معدن الملك لا مسكن المِلك) .

---

[84] – روى مسلم البطين عن ابن عباس رضي الله عنهما : " أن الكرسي موضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره إلا الله".قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في الفتوى الحموية : (وذكر قول مسلم البطين نفسه، وقول السدي وقول وهب بن منبه، وأبي مالك، وبعضهم يقول: موضع قدميه، وبعضهم يقول: واضع رجليه عليه. ثم قال: فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة، موافقة لقول النبي ﷺ، متداولة في الأقوال، ومحفوظة في الصدور، ولا ينكر خلف عن السلف، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم، نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم، إلى أن حدث في آخر الأمة من قلل الله عددهم، ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا ألا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه، وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها إلى أحكام المقاييس، وكفر المتقدمين، وأنكروا على الصحابة والتابعين، وردوا على الأئمة الراشدين، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل) .

[85] – سقطت (قوله) من (ب) .

يُسأل ما أراد بالمعدن والملك؟ إن كان لفظ المُلْك - بضم الميم وسكون اللام - فلا خصوصية للسماء، بل الكائنات في ذلك كلها سواء. وإن كان لفظ المَلَك – بفتحتين – فالمعنى متقارب، ولكن لا معنى للتعبير بالمعدن إلى جانب المُلْك ولا المَلَك. وإن كان لفظ المَلِك – بفتح الميم وكسر اللام – جاء ما تقدم من عدم التخصيص في الأسماء، وركاكة التعبير بالمعدن مع ما فيه من إيهام كون الملك منه بالمعاني الثلاث.

وتاسعا : قوله : (لا مسكن الملك) .

يظهر أن مراده بهذا اللفظ المَلِك – بفتح الميم و كسر اللام – ، و حينئذ لا ينهض دليلا على خصمه ، لأنه لا يثبت له مسكنا في سماء و لا أرض و لا غيرهما .

و عاشرا : قوله : (استواؤه إلى قوله : غفرانه) .

هذا مذهب الجهمية و المعطلة من إنكار صفة الله و الدلائل الدالة عليها و تأويلها من محبة الله و رضوانه و استوائه على عرشه و غير ذلك من صفاته سبحانه .

و حادي عشر : قوله : (فالصنم معبوده) .

لا أدري من قلّد في هذا، فإن سلفه الجهمية والمعطلة لم يطلقوا هذا على من خالفهم ممن أثبت تلك الصفات، و إنما جهّلهم الأكثرُ ولم يكفروهم، و المكفّر منهم لم يبلغ بهم عبادة الصنم .

الثاني عشر: هذا الكاتب يجمع بين الدليلين المتناقضين ، و لا يجيب [86] عن تناقضهما، و قد سلّم هنا ما قال، و سلّم ما يأتي من أن الأصح أن معتقِد الجهة لا يكفر. و بقي بحثٌ يأتي عند ذكره لكلام الرازي .

---

[86] – في النسختين معا : لا يجب . و الصواب ما أثبته .

و قوله:(و لهذا قال العلماء المفسرون و شُراح الرسالة في قوله تعالى:{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }. { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ }: الاستواء في لغة العرب له معانٍ، منها القهر و الغلبة ومنها انتهاء الشباب كقوله:{ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى } [القصص: 14] منها القيام كقوله تعالى:{ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ } [الفتح: 29] ومنها الاستقرار والتمكن كقوله تعالى:{ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ } [هود: 44]، وهو في حقه تعالى من المتشابه كالوجه والعين واليد).

إن كان الجهمية والمعطلة، فلِمَ لَمْ يقيّد بهم، و أطلق إيهاما للسامع و القارئ أن هذا القول لعلماء التفسير جميعا. وإن كان مفسِّر السنة و السلف فحاشاهم من حمل الاستواء على القهر و الغلبة.

و هذه نصوص من استحضرنا منهم :

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره المشهور في قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه 5] :(هذه –ص19– المسألة للفقهاء فيها كلام ، ثم ذكر كلام المتكلمين ، ثم قال : وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء –فإنه لا تُعلم حقيقته – ([87]).

قال مالك رحمه الله : الاستواء معلوم – يعني في اللغة– ([88]) والكيف مجهول).

---

87 – هذه الزيادة من تفسير القرطبي .

88 – زيادة أيضا من تفسير القرطبي .



قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } [الفرقان 59] : (فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وغيرهم، من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه، و { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ } [الشورى:11] بل الأمر كما قال الأئمة؛ منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر". وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى).

قال البغوي : ({ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } قال الكلبي ومقاتل : استقر. وقال أبو عبيدة : صعد. وأوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء، وأما أهل السنة فيقولون : الاستواء على العرش صفة لله تعالى، بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل.

وسأل رجل مالك بن أنس عن قوله :{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه 5] كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليًّا، وعلاه الرحضاء، ثم قال: الاستواء غير مجهول، و الكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أظنك إلا ضالا ثم أمر به فأخرج.

وروي عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك

وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة: أَمِرّوها كما جاءت بلا كيف) .

قال الألوسي : (وأنت تعلم أن مذهب السلف إثبات الفوقية لله تعالى كما نصّ عليه الإمام الطحاوي وغيره، واستدلوا لذلك بنحو ألف دليل ، وقد روى الإمام أحمد في حديث الأوعال عن العباس رضي الله تعالى عنه أن رسول اللهﷺ قال:« والعرش فوق ذلك والله تعالى فوق ذلك كله » وروى أبو داود عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قولهﷺ للرجل الذي استشفع بالله تعالى عليه:« ويحك أتدري ما الله تعالى؟ إن الله تعالى فوق عرشه وعرشه فوق سماواته وقال بأصابعه مثل القبة وأنه ليئط به أطيط الرحل الجديد بالراكب ».

وأخرج الأموي في "مغازيه" من حديث صحيح أن النبيﷺ قال لسعد يوم حكم في بني قريظة : « لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات ». وروى ابن ماجه يرفعه قال : « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا إليه رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم وقال : يا أهل الجنة سلام عليكم ثم قرأﷺ قوله تعالى:{ سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبّ رَّحِيمٍ } [يس : 58] فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه » . وصح أن عبد الله بن رواحة أنشد بين يدي رسول اللهﷺ أبياته التي عرض بها عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته وهي : - ص 20-

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسومينا

فأقره عليه الصلاة والسلام على ما قال وضحك منه ، وكذا أنشد حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه قوله :

شهدت بإذن الله أن محمدا ... رسول الذي فوق السموات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من ربه متقبل وأن الذي

عادى اليهود ابن مريم ... رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم ... يقوم بذات الله فيهم ويعدل

فقال النبي ﷺ: « وأنا أشهد ». وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى حكاية عن إبليس: { ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانهم وَعَن شَمَائِلِهِمْ} [الأعراف 17] أنه قال : لم يستطع أن يقول ومن فوقهم لأنه قد علم أن الله تعالى سبحانه من فوقهم ، والآيات والأخبار التي فيها التصريح بما يدل على الفوقية كقوله تعالى : { تَنزِيلُ الكتاب مِنَ الله العزيز الحكيم } [الزمر 1] . و { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكلم الطيب } [فاطر : 10] و { بَل رَّفَعَهُ الله } [النساء : 158] إليه . و { تَعْرُجُ الملائكة والروح إِلَيْهِ } [المعارج : 4] وقوله ﷺ فيما أخرجه مسلم:« وأنت الظاهر فليس فوقك شيء » كثيرة جداً، وكذا كلام السلف في ذلك فمنه ما روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه "الفاروق" بسنده إلى أبي مطيع البلخي أنه سأل أبا حنيفة رضي الله تعالى عنه عمن قال : لا أعرف ربي سبحانه في السماء أم في الأرض فقال : قد كفر لأن الله تعالى يقول : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه:5] وعرشه فوق سبع سموات فقال : قلت فإن قال إنه على العرش ولكن لا

أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ فقال رضي الله تعالى عنه : هو كافر لأنه أنكر آية في السماء ، ومن أنكر آية في السماء فقد كفر. وزاد غيره لأن الله تعالى في أعلى عليين ، وهو يدعى من أعلى لا من أسفل .

وأيد القول بالفوقية أيضاً بأن الله تعالى لما خلق الخلق لم يخلقهم في ذاته المقدسة، تعالى عن ذلك ، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد . فتعين أنه خلقهم خارجاً عن ذاته ، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات ، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفاً بضد ذلك ، لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده ، وضد الفوقية السفول ، وهو مذموم على الإطلاق . والقول بأنا لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها ، مدفوع بأنه سبحانه لو لم يكن قابلاً للعلو والفوقية لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها . فمتى سلّم بأنه جل شأنه ذاتٌ قائم بنفسه ، غير مخالط للعالم ، وأنه موجودٌ في الخارج ليس وجوده ذهنياً فقط ، بل وجوده خارج الأذهان قطعاً . وقد علم كل العقلاء بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك فهو إما داخل العالم ، وإما خارج عنه. وإنكار ذلك إنكارُ ما هو أجلى البديهيات ، فلا يستدل بدليل على ذلك إلا كان العِلم بالمباينة أظهر منه وأوضح . وإذا كان صفة الفوقية صفةَ كمالٍ لا نقص فيها ، ولا يوجب القولُ بها مخالفةَ كتابٍ ولا سنة ولا إجماع ، كان نفيها عينَ الباطل لاسيما والطباعُ مفطورة على قصدِ جهة العلو عند التضرع إلى الله تعالى .

وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس إمام الحرمين وهو يتكلم في نفي صفة العلو ويقول : كان الله تعالى ولا عرش وهو الآن على ما كان . فقال الشيخ أبو جعفر : أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال عارف

قط يا الله ! إلا وجد في قلبه ضرورة بطلب العلو، لا يلتفت يمنةً ولا يسرةً، فكيف تدفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم الإمام على رأسه ونزل وأظنه قال وبكى – ص 21 – وقال حيّرني الهمداني . وبعضهم تكلف الجواب عن هذا بأن هذا التوجه إلى فوق إنما هو لكون السماء قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة ، ثم هو أيضاً منقوض بوضع الجبهة على الأرض مع أنه سبحانه ليس في جهة الأرض ، ولا يخفى أن هذا باطل .

أما أولاً : فلأن السماء قبلة للدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة ولا أنزل الله تعالى به من سلطان ، والذي صحّ أن قِبلة الدعاء هي قِبلة الصلاة ، فقد صرحوا بأنه يُستحب للداعي أن يستقبل القبلة. وقد استقبل النبيﷺ الكعبة في دعائه في مواطن كثيرة. فمن قال : إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة فقد ابتدع في الدين وخالف جماعة المسلمين.

وأما ثانياً : فلأن القِبلة ما يستقبله الداعي بوجهه، كما تُستقبل الكعبةُ في الصلاة، وما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه مثلاً لا يسمى قبلة أصلاً، فلو كانت السماء قبلة الدعاء، لكان المشروعَ أن يوجِّه الداعي وجهَه إليها، ولم يثبت ذلك في شرع أصلاً. وأما النقض بوضع الجبهة فما أفسده من نقض! فإن واضع الجبهة إنما قصدُه الخضوع لمن فوقه بالذل، لا أن يميل إليه إذْ هو تحته، بل هذا لا يخطُر في قلب ساجدٍ. نعم سُمع عن بشر المريسي أنه يقول : "سبحان ربي الأسفل"! تعالى الله سبحانه عما يقول الجاحدون والظالمون علواً كبيراً .

وتأوّل بعضهم كلّ نصٍّ فيه نسبةُ الفوقية إليه تعالى بأن" فوق" فيه بمعنى "خير" و"أفضل" كما يقال : الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم. وأنت تعلم أن هذا مما تنفِر منه العقولُ السليمة وتشمئزُّ منه القلوبُ الصحيحة. فإن قول القائل ابتداء : الله تعالى خيرٌ من عباده، أو

خيرٌ من عرشه، من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، ونحو ذلك. وليس في ذلك أيضاً تمجيدٌ ولا تعظيمٌ لله تعالى، بل هو من أرذلِ الكلام، فكيف يليق حمل الكلام المجيد عليه، وهو الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ؟ على أنّ في ذلك تنقيصاً لله تعالى شأنه ففي المثل السائر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف خير من العصا

نعم؛ إذا كان المقامُ يقتضي ذلك بأن كان احتجاجاً على مبطل كما في قول يوسف الصديق عليه السلام: { مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الواحد القهار } [يوسف : 39] وقوله تعالى : { الله خَيْرٌ * أَمَّا يُشْرِكُونَ } [النمل : 59] { والله خَيْرٌ وأبقى } [طه : 73] فهو أمر لا اعتراضَ عليه ولا توجَّه سهامُ الطعن إليه ، والفوقية بمعنى الفوقية في الفضل مما يثبتها السلف لله تعالى أيضاً، وهي متحققة في ضمن الفوقية المطلقة . وكذا يثبتون فوقية القهر والغلبة كما يثبتون فوقية الذات ويؤمنون بجميع ذلك على الوجه اللائق بجلال ذاته وكمال صفاته سبحانه وتعالى، منزهين له سبحانه عما يلزم ذلك، مما يستحيل عليه، جل شأنه، ولا يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعضٍ، ولا يعدِلون عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً لئلا يُثبتوا معنى فاسداً أو ينفوا معنى صحيحاً، فهم يثبتون الفوقية كما أثبتها الله تعالى لنفسه. وأما لفظ الجهة فقد يُراد به ما هو موجودٌ وقد يُراد به ما هو معدوم؛ ومن المعلومِ أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أُريد بالجهة أمرٌ موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً والله تعالى لا يحصره شيء ولا يحيط به شيء من المخلوقات تعالى عن ذلك وإن أريد بالجهة أمر عدمي وهو ما فوق العالم فليس هناك

إلا الله تعالى وحده فإذا قيل : إنه تعالى في جهة بهذا الاعتبار فهو صحيح عندهم ، ومعنى ذلك أنه فوق العالم حيث انتهت المخلوقات ، ونفاة لفظ الجهة الذين يريدون بذلك نفي العلوم، يذكرون من أدلتهم: أن الجهات كلَّها مخلوقةٌ، وأنه سبحانه كان قبل الجهات، وأنه من قال : إنه تعالى في جهة، يلزمه القول بقدم شيء من العالم. وأنه جلّ شأنُه كان مستغنياً عن الجهة ثم صار فيها. وهذه الألفاظ ونحوُها تُنزّل على أنه عز اسمُه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سُمِّي جهةً أم لم يُسمَّ ، وهو كلامٌ حق– ص 22 – ولكن الجهة ليست أمراً وجودياً بل هي أمرٌ اعتباريٌّ ولا محذور في ذلك .

وبالجملة يجب تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، وتفويض علم ما جاء من المتشابهات إليه عزّ شأنه، والإيمان بها على الوجه الذي جاءت عليه)اهـ. (89) ويكفي اللبيب ما ذكرناه عن هؤلاء المفسرين، و إلا فهم أكثر من أن يحصيهم العادّ.

و أما قوله : (الاستواء في لغة العرب له معانٍ)، فقد كفانا مؤنته صاحب الصواعق (90)، إذ ردّه بنحو اثنين و أربعين وجها ، و نذكر بعضها ههنا بلفظه في بعض الوجوه و التصرف في بعضها بزيادة أو نقصان قليلين، و نذكر بعضها مفرقا في التأليف سابقا و لاحقا على حسب المقتضى، و ربما تركنا بعضها روْماً للاختصار. فأما المذكورة هنا فهي قوله:(أَحَدُهَا : أَنَّ لَفْظَ الِاسْتِوَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِي خَاطَبَنَا اللهُ تَعَالَى بِلُغَتِهِمْ وَأَنْزَلَ بِهَا كَلَامَهُ نَوْعَانِ: مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ، فَالْمُطْلَقُ مَا لَمْ يُوصَلْ مَعْنَاهُ بِحَرْفٍ مِثْلُ قَوْلِهِ:{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى}[القصص 14]

---

89 – "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" لشهاب الدين محمود الألوسي توفي في 1270هـ .

90 – في (ب) : فقد كفانا مؤنته ابن القيم الجوزية في الصواعق المرسلة .

وَهَذَا مَعْنَاهُ كَمُلَ وَتَمَّ، يُقَالُ: اسْتَوَى النَّبَاتُ وَاسْتَوَى الطَّعَامُ، وَأَمَّا الْمُقَيَّدُ فَثَلَاثَةُ أَضْرَابٍ :

أَحَدُهَا : مُقَيَّدٌ بِإِلَى كَقَوْلِهِ : {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة: 29] وَاسْتَوَى فُلَانٌ إِلَى السَّطْحِ وَإِلَى الْغُرْفَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ هَذَا الْمُعَدَّى بِإِلَى فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ: فِي الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [البقرة: 29] وَالثَّانِي فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } [فصلت: 11] وَهَذَا بِمَعْنَى الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ .

وَالثَّانِي: مُقَيَّدٌ بِعَلَى كَقَوْلِهِ :{ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} [الزخرف: 13] . {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} [هود: 44] وَقَوْلِهِ :{ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ } [الفتح: 29] وَهَذَا أَيْضًا مَعْنَاهُ الْعُلُوُّ وَالِارْتِفَاعُ وَالِاعْتِدَالُ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللُّغَةِ .

الثَّالِثُ : الْمَقْرونُ بِوَاوِ المعية ، نَحْوَ: اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشَبَةَ بِمَعْنَى سَاوَاهَا .

الثاني [91] : أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ لَمْ يَقُولُوهُ نَقْلًا، فَإِنَّهُ مُجَاهَرَةٌ بِالْكَذِبِ وَإِنَّمَا قَالُوهُ اسْتِنْبَاطًا وَحَمْلًا مِنْهُمْ لِلَفْظَةِ اسْتَوَى عَلَى اسْتَوْلَى، وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْرَاقِ

وَهَذَا الْبَيْتُ لَيْسَ مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ.

الثالث: أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ لَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ أَنْكَرُوهُ غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَلَمْ يَجْعَلُوهُ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ، قَالَ

---

[91] – من هنا إلى الوجه الخامس و العشرين اختلط الترتيب على ناسخ النسخة (ب)، و ذلك بزيادة وجهين في كل مرة ، حتى صار عدد الأوجه سبعا و عشرين . و السبب –في الغالب– هو تداخل تقسيمات ابن القيم و تفرعها ، و كذا تصرف المؤلف في النقل كما أشار إليه آنفا .



ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَقَدْ سُئِلَ: هَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ اسْتَوَى بِمَعْنَى اسْتَوْلَى؟ فَقَالَ: لَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ، وَهُوَ مَنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ . وكذلك أنكره الْخَطَّابِيُّ فِي كِتَابِهِ (شِعَارِ الدِّينِ) وحكم بجهل قائل البيت المذكور و هو من أئمة اللغة .

الرابع : أَنَّ هَذَا تَفْسِيرٌ لِكَلَامِ اللَّهِ بِالرَّأْيِ الْمُجَرَّدِ الَّذِي لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ صَاحِبٌ وَلَا تَابِعٌ، وَلَا قَالَهُ إِمَامٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ [92] الَّذِينَ يَحْكُونَ أَقْوَالَ السَّلَفِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:« مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ».

الخامس : أَنَّ إِحْدَاثَ الْقَوْلِ فِي تَفْسِيرِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ السَّلَفُ وَالْأَئِمَّةُ عَلَى خِلَافِهِ يَسْتَلْزِمُ أَحَدَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَطَأً فِي نَفْسِهِ، أَوْ تَكُونَ أَقْوَالُ السَّلَفِ الْمُخَالِفَةِ لَهُ خَطَأً، وَلَا يَشُكُّ عَاقِلٌ أَنَّهُ أَوْلَى بِالْغَلَطِ وَالْخَطَأِ مِنْ قَوْلِ السَّلَفِ.

السادس: من أبعد البعيد أن يكون استوى في جميع القرآن و السنة بمعنى استولى ، ثم لا يعبر عنه بلفظ استولى لا في موضعين بل و لا في واحد .

السابع : أن القائل بأن معنى استوى بمعنى استولى شاهدٌ على الله بأنه أراد بكلامه هذا المعنى، وهذه الشهادة لا علم لقائلها بمضمونها بل هي قول على الله بلا علم ، فلو كان اللفظ محتملا لها المعنى ، و هيهات لم يجز [93] أن يشهد على الله أن أراد هذا المعنى بخلاف من أخبر عن الله انه أراد الحقيقة و الظاهر ، فإنه شاهد بها أجرة الله عادته من خطاب خلقه بحقائق لغتهم– ص 23 – و ظواهرها ، كما قال تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ} [إبراهيم4] .

الثامن : أَنَّ الْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً لَا مَجَازًا، و ستأتيك

---

[92] – في الأصل : من أهل المفسرين ، و التصويب من مختصر الصواعق .

[93] – سقطت (لم يجز) من (ب) .



النصوص في ذلك .

التاسع : أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ مُحَرَّفٌ وَإِنَّمَا هُوَ هَكَذَا [94]: بِشْرٌ قَدِ اسْتَوْلَى عَلَى الْعِرَاقِ هَكَذَا لَوْ كَانَ مَعْرُوفًا مِنْ قَائِلٍ مَعْرُوفٍ، فَكَيْفَ وَهُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَاوِينِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمُ الَّتِي يُرْجَعُ إِلَيْهَا.

العاشر : أَنَّهُ لَوْ صَحَّ هَذَا الْبَيْتُ وَصَحَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُحَرَّفٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُجَّةٌ بَلْ هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ عَلَى حَقِيقَةِ الِاسْتِوَاءِ، فَإِنَّ بِشْرًا هَذَا كَانَ أَخَا عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ، فَاسْتَوَى عَلَى سَرِيرِهَا كَمَا هِيَ عَادَةُ الْمُلُوكِ وَنُوَّابِهَا أَنْ يَجْلِسُوا فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مُسْتَوِينَ عَلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الْمُطَابِقُ لِمَعْنَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ فِي اللُّغَةِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} [الزخرف: 13] وَقَوْلِهِ: {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ} [هود: 44] وَقَوْلِهِ: {فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ} [الفتح: 29] وَفِي الصَّحِيحِ : « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ مُلَبِّيًا»، وَقَالَ عَلِيٌّ : « أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ قَالَ بِاسْمِ اللهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: الْحَمْدُ للهِ » ، فَهَلْ نَجِدُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ مَوْضِعًا وَاحِدًا أَنَّهُ بِمَعْنَى الِاسْتِيلَاءِ وَالْقَهْرِ.

الحادي عشر : لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْبَيْتِ اسْتِيلَاءَ الْقَهْرِ وَالْمُلْكِ لَكَانَ الْمُسْتَوِي عَلَى الْعِرَاقِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، لَا أَخُوهُ بِشْرٌ، فَإِنَّ بَشَرًا لَمْ يَكُنْ يُنَازِعُ أَخَاهُ الْمُلْكَ وَلَمْ يَكُنْ مَلِكًا مِثْلَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ نَائِبًا لَهُ عَلَيْهَا وَوَالِيًا مِنْ جِهَتِهِ، فَالْمُسْتَوْلِي عَلَيْهَا هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ لَا بِشْرٌ، بِخِلَافِ الِاسْتِوَاءِ الْحَقِيقِيِّ وَهُوَ الِاسْتِقْرَارُ فِيهَا وَالْجُلُوسُ عَلَى سَرِيرِهَا، فَإِنَّ نُوَّابَ الْمُلُوكِ تَفْعَلُ هَذَا بِإِذْنِ الْمُلُوكِ.

الثاني عشر : أَنَّهُ لَا يُقَالُ لِمَنِ اسْتَوْلَى عَلَى بَلْدَةٍ وَلَمْ يَدْخُلْهَا وَلَمْ يَسْتَقِرَّ فِيهَا بَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بُعْدٌ كَثِيرٌ: أَنَّهُ قَدِ اسْتَوَى عَلَيْهَا، فَلَا يُقَالُ: اسْتَوَى أَبُو بَكْرٍ عَلَى الشَّامِ، وَلَا اسْتَوَى عُمَرُ عَلَى مِصْرَ

---

[94] – في النسختين معا : (كاذب) مكان (هكذا) و التصويب من مختصر الصواعق .



وَالْعِرَاقِ، وَلَا قَالَ أَحَدٌ قَطُّ : اسْتَوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْيَمَنِ، مَعَ أَنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا خُلَفَاؤُهُ عَلَى هَذِهِ الْبِلَادِ، وَلَمْ يَزَلِ الشُّعَرَاءُ يَمْدَحُونَ الْمُلُوكَ وَالْخُلَفَاءَ بِالْفُتُوحَاتِ، وَيَتَوَسَّعُونَ فِي نَظْمِهِمْ وَاسْتِعَارَاتِهِمْ، فَلَمْ يُسْمَعْ عَنْ قَدِيمٍ مِنْهُمْ، جَاهِلِيٍّ وَلَا إِسْلَامِيٍّ وَلَا مُحْدَثٍ أَنَّهُ مَدَحَ أَحَدًا قَطُّ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْبَلَدِ الْفُلَانِيِّ الَّذِي فَتَحَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ، فَهَذِهِ دَوَاوِينُهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ مَوْجُودَةٌ.

الثالث عشر: أَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ تَحْرِيفِ لُغَةِ الْعَرَبِ وَحَمْلِ لَفْظِهَا عَلَى مَعْنًى لَمْ يُعْهَدِ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ الْبَتَّةَ، وَبَيْنَ حَمْلِ الْمُضَافِ الْمَأْلُوفِ حَذْفُهُ كَثِيرًا إِيجَازًا وَاخْتِصَارًا ، فَالْحَمْلُ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَوْلَى، وَهَذَا الْبَيْتُ كَذَلِكَ، فَإِنَّا إِنْ حَمَلْنَا لَفْظَ اسْتَوَى فِيهِ عَلَى اسْتَوْلَى حَمَلْنَاهُ عَلَى مَعْنًى لَمْ يُعْهَدِ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ الْبَتَّةَ، وَإِنْ حَمَلْنَاهَا عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ وَتَقْدِيرُهُ قَدِ اسْتَوَى عَلَى سَرِيرِ الْعِرَاقِ حَمَلْنَاهُ عَلَى مَعْهُودٍ مَأْلُوفٍ، فَيَقُولُونَ: قَعَدَ فُلَانٌ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ، فَيَذْكُرُونَ الْمُضَافَ إِيضَاحًا وَبَيَانًا، وَيَحْذِفُونَ تَارَةً إِيجَازًا وَاخْتِصَارًا، إِذْ قَدْ عَلِمَ الْمُخَاطَبُ أَنَّ الْقُعُودَ وَالِاسْتِوَاءَ وَالْجُلُوسَ الَّذِي يُضَافُ وَيُقْصَدُ بِهِ الْمُلْكُ يَسْتَلْزِمُ سَرِيرَ الْمُلْكِ.

الرابع عشر: المجاز لابد له من قرينة ، و لا قرينة في الآية عليه ، بل البيان يقتضي الحقيقة و يدفع المجاز .

الخامس عشر: أَنَّهُ لَوْ كَانَ الِاسْتِوَاءُ بِمَعْنَى الْمُلْكِ وَالْقَهْرِ لَجَازَ أَنْ يُقَالَ: اسْتَوَى عَلَى ابْنِ آدَمَ وَعَلَى الْجَبَلِ وَعَلَى الشَّمْسِ وَعَلَى الْقَمَرِ وَعَلَى الْبَحْرِ وَالشَّجَرِ وَالدَّوَابِّ، وَهَذَا لَا يُطْلِقُهُ مُسْلِمٌ. فَإِنْ قِيلَ: هَذَا جَائِزٌ، وَإِنَّمَا خَصَّصَ الْعَرْشَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَجَلُّ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَرْفَعُهَا وَأَوْسَعُهَا، فَتَخْصِيصُهُ بِالذِّكْرِ تَنْبِيهٌ عَلَى مَا دُونَهُ، قِيلَ: لَوْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا لَمْ يَكُنْ ذِكْرُ الْخَاصِّ مُنَافِيًا لِذِكْرِ الْعَامِّ، أَلَا تَرَى أَنَّ رُبُوبِيَّتَهُ لَمَّا كَانَتْ عَامَّةً لِلْأَشْيَاءِ لَمْ يَكُنْ تَخْصِيصُ الْعَرْشِ بِذِكْرِهِ مِنْهَا كَقَوْلِهِ: {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: 129] مَانِعًا مِنْ تَعْمِيمِ إِضَافَتِهَا كَقَوْلِهِ: {رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام: 164] فَلَوْ كَانَ الِاسْتِوَاءُ بِمَعْنَى الْمُلْكِ وَالْقَهْرِ لَكَانَ لَمْ يَمْنَعْ إِضَافَتُهُ إِلَى

الْعَرْشِ إِضَافَتَهُ إِلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَهَذَا فِي غَايَةِ الظُّهُورِ.

السادس عشر: أَنَّهُ إِذْ فُسِّرَ الِاسْتِوَاءُ بِالْغَلَبَةِ وَالْقَهْرِ عَادَ مَعْنَى هَذِهِ الْآيَاتِ كُلِّهَا إِلَى أَنَّ اللهَّ تَعَالَى أَعْلَمَ عِبَادَهُ بِأَنَّهُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ – ص 24 – ، ثُمَّ غَلَبَ الْعَرْشَ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَهَرَهُ وَحَكَمَ عَلَيْهِ، أَفَلَا يَسْتَحِي مِنَ اللهَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى وَقَارٍ للهَّ بِكَلَامِهِ أَنْ يُنْسَبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ أَرَادَهُ بِقَوْلِهِ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] أَيِ: اعْلَمُوا يَا عِبَادِي أَنِّي بَعْدَ فَرَاغِي مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ غَلَبْتُ عَرْشِي وَقَهَرْتُهُ وَاسْتَوْلَيْتُ عَلَيْهِ.

السابع عشر : جاء في الأخبار الصحيحة عن رسول الله ﷺ أن الله فوق عرشه وَهَذِهِ الْفَوْقِيَّةُ هِيَ تَفْسِيرُ الِاسْتِوَاءِ ، وَالْجَهْمِيَّةُ يَجْعَلُونَ كَوْنَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ الْعَرْشِ وَأَفْضَلُ مِنْهُ، كَمَا يُقَالُ: الْأَمِيرُ فَوْقَ الْوَزِيرِ، وَالدِّينَارُ فَوْقَ الدِّرْهَمِ، وَالْمَعْنَى عِنْدَهُمْ: أَنَّهُ أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِأَنَّ اللهَّ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ.

فَيَالِلْعُقُولِ: أَيْنَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ حَقِيقَةً أَوْ مَجَازًا أَوْ كِنَايَةً وَاسْتِعَارَةً بَعِيدَةً أَنْ يُقَالَ: اسْتَوَى عَلَى كَذَا إِذَا كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ قَدْرًا وَأَفْضَلَ، هَذَا مِنْ لُغَةِ الطَّمَاطِمِ لَا مِنْ لُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بُعِثَ فِيهِمْ رَسُولُ اللهَّ ﷺ.

الثامن عشر: حَمْلَ الِاسْتِوَاءِ عَلَى حَقِيقَتِهِ إِمَّا أَنْ يُحِيلَهُ الْعَقْلُ أَوْ لَا يُحِيلُهُ، فَإِنْ أَحَالَهُ كانت تفاسير السلف له و كل مفسر من الأمة تكلموا بباطل و محال و هذا أقبح وأشد مِنْ قَوْلِ الرَّافِضَةِ فيهم ، وَإِنْ كان لا يُحِيلهُ وَجَبَ حَمْلُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ وهو الْأَصْلُ .

التاسع عشر: أَنَّ أَئِمَّةَ السُّنَّةِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ تَفْسِيرَ الِاسْتِوَاءِ بِالِاسْتِيلَاءِ إِنَّمَا هُوَ مُتَلقى عَنِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْخَوَارِجِ، وَمِمَّنْ حَكَى ذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ فِي كُتُبِهِ، وَحَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَالطَّلَمَنْكِيُّ عَنْهُمْ خَاصَّةً .

العشرون : قَدْ صَرَّحَ الْمُنْكِرُونَ لِلِاسْتِوَاءِ بِأَنَّ اللهَّ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ وَيَعْنِي بِهِ خِلَافَ

ظَاهِرِهِ، كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْمَحْصُولِ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا لَفْظُهُ : " لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ بِشَيْءٍ وَيَعْنِي بِهِ خِلَافَ ظَاهِرِهِ " وَالْخِلَافُ مَعَ الْمُرْجِئَةِ، ثُمَّ احْتَجَّ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهُ عَبَثٌ وَهُوَ عَلَى اللهِ مُحَالٌ، وَالَّذِي احْتَجَّ بِهِ عَلَى الْمُرْجِئَةِ يَحْتَجُّ بِهِ عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ .

الحادي و العشرون : أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ذَمَّ الْمُحَرِّفِينَ لِلْكَلِمِ، وَالتَّحْرِيفُ نَوْعَانِ: تَحْرِيفُ اللَّفْظِ، وَتَحْرِيفُ الْمَعْنَى، فَتَحْرِيفُ اللَّفْظِ: الْعُدُولُ بِهِ عَنْ جِهَتِهِ إِلَى غَيْرِهَا، إِمَّا بِزِيَادَةٍ وَإِمَّا بِنُقْصَانٍ وَإِمَّا بِتَغْيِيرِ حَرَكَةٍ إِعْرَابِيَّةٍ، وَإِمَّا غَيْرِ إِعْرَابِيَّةٍ، فَهَذِهِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ، وَقَدْ سَلَكَ فِيهَا الْجَهْمِيَّةُ وَالرَّافِضَةُ، فَإِنَّهُمْ حَرَّفُوا نُصُوصَ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَتَمَكَّنُوا [95] مِنْ ذَلِكَ فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ، وَإِنْ كَانَ الرَّافِضَةُ حَرَّفُوا كَثِيرًا مِنْ لَفْظِهِ، وَادَّعَوْا أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ غَيَّرُوهُ عَنْ وَجْهِهِ. وَأَمَّا تَحْرِيفُ الْمَعْنَى فَهَذَا الَّذِي جَالُوا وَصَالُوا وَتَوَسَّعُوا وَسَمَّوْهُ تَأْوِيلًا، وَهُوَ اصْطِلَاحٌ فَاسِدٌ حَادِثٌ لَمْ يُعْهَدْ بِهِ اسْتِعْمَالٌ فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ الْعُدُولُ بِالْمَعْنَى عَنْ وَجْهِهِ وَحَقِيقَتِهِ، وَإِعْطَاءُ اللَّفْظِ مَعْنَى لَفْظٍ آخَرَ بِقَدْرٍ مَا مُشْتَرَكٍ بَيْنَهُمَا .

الثاني والعشرون : أَنَّ اسْتِوَاءَ الرَّبِّ الْمُعَدَّى بِأَدَاةِ " عَلَى " الْمُعَلَّقَ بِعَرْشِهِ الْمُعَرَّفَ بِاللَّامِ الْمَعْطُوفَ بِثُمَّ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْمُطَّرِدَ فِي مَوَارِدِهِ عَلَى أُسْلُوبٍ وَاحِدٍ وَنَمَطٍ وَاحِدٍ، لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنًى وَاحِدًا لَا يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ الْبَتَّةَ، فَضْلًا عَنْ ثَلَاثَةٍ أَوْ خَمْسَةَ عَشَرَ كَمَا قَالَ صَاحِبُ (الْقَوَاصِمِ وَالْعَوَاصِمِ) إِذَا قَالَ لَكَ الْمُجَسِّمُ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] فَقُلِ: اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُسْتَعْمَلُ عَلَى خَمْسَةَ عَشَرَ وَجْهًا فَأَيُّهَا تُرِيدُ؟

فَيُقَالُ لَهُ: كَلَّا وَالَّذِي اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ لَا يَحْتَمِلُ هَذَا اللَّفْظُ مَعْنَيَيْنِ الْبَتَّةَ، وَالْمُدَّعِي الِاحْتِمَالَ عَلَيْهِ بَيَانُ الدَّلِيلِ، إِذِ الْأَصْلُ عَدَمُ الِاشْتِرَاكِ وَالْمَجَازِ، وَلَمْ يَذْكُرْ عَلَى دَعْوَاهُ دَلِيلًا وَلَا بَيْنَ الْوُجُوهِ الْمُحْتَمَلَةِ حَتَّى يَصْلُحَ قَوْلُهُ " فَأَيُّهَا تُرِيدُونَ وَأَيُّهَا تَعْنُونَ " وَكَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُبَيِّنَ كُلَّ

---

[95] – في النسختين معا : (يتمسكوا) و التصويب من مختصر الصواعق .



احْتِمَالٍ وَيَذْكُرَ الدَّلِيلَ عَلَى ثُبُوتِهِ، ثُمَّ يُطَالِبُ حِزْبَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِتَعْيِينِ أَحَدِ الِاحْتِمَالَاتِ، وَإِلَّا فَهُمْ يَقُولُونَ: لَا نُسَلِّمُ احْتِمَالَهُ لِغَيْرِ مَعْنًى وَاحِدٍ، فَإِنَّ الْأَصْلَ فِي الْكَلَامِ الْإِفْرَادُ وَالْحَقِيقَةُ، دُونَ الِاشْتِرَاكِ وَالْمَجَازِ فَهُمْ فِي مَنْعِهِمْ أَوْلَى بِالصَّوَابِ مِنْكَ فِي تَعَدُّدِ الِاحْتِمَالِ، فَدَعْوَاكَ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ يَحْتَمِلُ خَمْسَةَ عَشَرَ مَعْنًى دَعْوَى مُجَرَّدَةٌ لَيْسَتْ مَعْلُومَةً بِضَرُورَةٍ وَلَا نَصٍّ وَلَا إِجْمَاعٍ، يُوَضِّحُهُ: – ص 25 –

الثالث و العشرون : وَهُوَ أَنْ يُقَالَ: الِاحْتِمَالَاتُ الَّتِي ادَّعَيْتَهَا تَتَطَرَّقُ إِلَى لَفْظِ الِاسْتِوَاءِ وَحْدَهُ الْمُجَرَّدِ عَنِ اتِّصَالِهِ بِأَدَاةٍ أَمْ إِلَى الْمُقْتَرِنِ بِوَاوِ الْمُصَاحَبَةِ أَمْ إِلَى الْمُقْتَرِنِ بِإِلَى أَمْ إِلَى الْمُقْتَرِنِ بِعَلَى، أَمْ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ الْعَرْشُ الَّذِي ادَّعَيْتَ أَنَّهُ يَحْتَمِلُ عِدَّةَ مَعَانٍ هُوَ الْعَرْشُ الْمُنَكَّرُ غَيْرُ الْمُعَرَّفِ بِأَدَاةِ تَعْرِيفٍ وَلَا إِضَافَةٍ أَمِ الْمُضَافُ إِلَى الْعَبْدِ كَقَوْلِ عُمَرَ:

كَادَ عَرْشِي أَنْ يُهَدَّ [96] ... أَمْ إِلَى عَرْشِ الدَّارِ

وَهُوَ سَقْفُهَا فِي قَوْلِهِ: { خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } [البقرة: 259] أَمْ إِلَى عَرْشِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الَّذِي هُوَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ؟ أَمْ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَأَيْنَ مَوارد الِاحْتِمَالِ حَتَّى يُعْلَمَ هَلْ صَحِيحَةٌ أَمْ بَاطِلَةٌ ؟ فَلَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَدَّعِي ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ مُعَيَّنٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ، وَدَعْوَاهُ بُهْتٌ صَرِيحٌ، وَغَايَةُ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ أَنَّكَ تَدَّعِي مَجْمُوعَ الِاحْتِمَالَاتِ فِي مَجْمُوعِ الْمَوَاضِعِ بِحَيْثُ يَكُونُ كُلُّ مَوْضِعٍ لَهُ مَعْنًى، فَأَيُّ شَيْءٍ يَنْفَعُكَ هَذَا فِي الْمَوْضِعِ الْمُعَيَّنِ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ! أَيْنَ هَذَا مِنَ الْقَوْلِ السَّدِيدِ الَّذِي أَوْصَانَا اللَّهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ حَيْثُ يَقُولُ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب: 70] وَالسَّدِيدُ هُوَ الَّذِي يَسُدُّ مَوْضِعَهُ وَيُطَابِقُهُ فَلَا يَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ، وَسَدَادُ السَّهْمِ هُوَ مُطَابَقَتُهُ وَإِصَابَتُهُ الْغَرَضَ مِنْ غَيْرِ عُلُوٍّ وَلَا انْحِطَاطٍ وَلَا تَيَامُنٍ وَلَا تَيَاسُرٍ.

[96] – في النسختين معا :(أن يثلّ) مكان (أن يهد) .



وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ اسْتِوَاءَ الرَّبِّ عَلَى عَرْشِهِ الْمُخْتَصِّ بِهِ الْمَوْصُولَ بِأَدَاةٍ عَلَى نَصٍّ فِي مَعْنَاهُ لَا يَحْتَمِلُ سِوَاهُ.

الرابع و العشرون : أَنَّا نَمْنَعُ الِاحْتِمَالَ فِي نَفْسِ الِاسْتِوَاءِ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ صِلَاتِهِ الْمَقْرُونِ بِهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا مَعْنًى وَاحِدٌ وَإِنْ تَنَوَّعَ بِتَنَوُّعِ صِلَتِهِ، كَنَظَائِرِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُنَوَّعُ مَعَانِيهَا بِتَنَوُّعِ صِلَتِهَا كَمِلْتُ عَنْهُ وَمِلْتُ إِلَيْهِ وَرَغِبْتُ عَنْهُ وَرَغِبْتُ فِيهِ، وَعَدَلْتُ عَنْهُ وَعَدَلْتُ إِلَيْهِ، وَفَرَرْتَ مِنْهُ وَفَرَرْتُ إِلَيْهِ، فَهَذَا لَا يُقَالُ لَهُ مُشْتَرَكٌ وَلَا مَجَازٌ، بَلْ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ تَنَوَّعَتْ دَلَالَتُهَا بِتَنَوُّعِ صِلَتِهَا، وَهَكَذَا لَفْظُ الِاسْتِوَاءِ هُوَ بِمَعْنَى الِاعْتِدَالِ حَيْثُ اسْتُعْمِلَ مُجَرَّدًا أَوْ مَقْرُونًا، يَقُولُ: سَوَّيْتُهُ فَاسْتَوَى ، و تختلف دلالته باختلاف صلته .

الخامس و العشرون : أَنَّا لَوْ فَرَضْنَا احْتِمَالَ اللَّفْظِ فِي اللُّغَةِ لِمَعْنَى الِاسْتِيلَاءِ وَالْخَمْسَةَ عَشَرَ مَعْنًى، فَاللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ قَدْ عَيَّنَا بِكَلَامِهِ مِنْهَا مَعْنًى وَاحِدًا وَنَوَّعَ الدَّلَالَةَ عَلَيْهِ أَعْظَمَ تَنْوِيعٍ حَتَّى يُقَالَ بِذَلِكَ أَلْفُ دَلِيلٍ، فَالصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى وَلَا التَّابِعُونَ وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِنَّهُ بِمَعْنَى اسْتَوْلَى وَأَنَّهُ مَجَازٌ، فَلَا يَضُرُّ الِاحْتِمَالُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي اللُّغَةِ لَوْ كَانَ حَقًّا) . انتهى كلام الصواعق باختصار و تصرف كما قدمنا .

و قوله : (من المتشابه ..إلخ) .

يقال عليه: لا متشابه عند الراسخين في العلم من السلف والخلف، و إنما المتشابه عند الذين في قلوبهم زيغ، و يوضحه ما قاله الحفيد ابن رشد رحمه الله بعد كلام في هذا المعنى:(وَالنَّاسُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِي الشَّرْعِ عَلَى ثَلَاثِ مَرَاتِبَ: صِنْفٌ لَا يَشْعُرُونَ بِالشُّكُوكِ الْعَارِضَةِ فِي هَذَا الْمَعْنَى خَاصَّةً، مَتَى تُرِكَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى ظَاهِرِهَا فِي الشَّرْعِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَكْثَرُونَ وَهُمُ الْجُمْهُورُ، وَصِنْفٌ عَرَفُوا حَقِيقَةَ الْأَشْيَاءِ وَهُمُ الْعُلَمَاءُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْأَقَلُّ مِنَ النَّاسِ، وَصِنْفٌ عَرَضَتْ لَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ شُكُوكٌ وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى حَلِّهَا، وَهَؤُلَاءِ فَوْقَ

الْعَامَّةِ دُونَ الْعُلَمَاءِ، وَهَذَا الصِّنْفُ هُمُ الَّذِينَ يُوجَدُ فِي حَقِّهِمُ التَّشَابُهُ فِي الشَّرْعِ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللهُ، وَأَمَّا عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَالْجُمْهُورِ فَلَيْسَ فِي الشَّرْعِ تَشَابُهٌ، فَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ التَّشَابُهُ.

وَمِثَالُ مَا عَرَضَ –ص 26– لِهَذَا الصِّنْفِ مَعَ الشَّرْعِ مَا يَعْرِضُ فِي خُبْزِ الْبُرِّ مَثَلًا الَّذِي هُوَ الْغِذَاءُ النَّافِعُ لِأَكْثَرِ الْأَبْدَانِ أَنْ يَكُونَ لِأَقَلِّ الْأَبْدَانِ ضَارًّا وَهُوَ نَافِعٌ لِلْأَكْثَرِ، وَكَذَلِكَ التَّعْلِيمُ الشَّرْعِيُّ هُوَ نَافِعٌ لِلْأَكْثَرِ، وَرُبَّمَا ضَرَّ بالْأَقَلِّ، وَإِلَى هَذَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ } [البقرة: 26] لَكِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَعْرِضُ فِي آيَاتِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ فِي الْأَقَلِّ مِنْهُ وَلِلْأَقَلِّ مِنَ النَّاسِ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ هِيَ الْآيَاتُ الَّتِي تَتَضَمَّنُ الْإِعْلَامَ فِي أَنَّهُ الْغَائِبُ لَيْسَ لَهَا مِثَالٌ فِي الشَّاهِدِ، فَيُعَبَّرُ عَنْهُ بِالشَّاهِدِ الَّذِي هُوَ أَقْرَبُ الْمَوْجُودَاتِ إِلَيْهَا وَأَكْثَرُهَا شَبَهًا بِهَا، فَيَعْرِضُ لِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَأْخُذَ الْمُمَثَّلَ بِهِ هُوَ الْمِثَالُ نَفْسُهُ، فَيَلْزَمُهُ الْحَيْرَةُ وَالشَّكُّ، وَهُوَ الَّذِي سُمِّيَ مُتَشَابِهًا فِي الشَّرْعِ، وَهَذَا لَيْسَ يَعْرِضُ لِلْعُلَمَاءِ وَلَا لِلْجُمْهُورِ، وَهُمْ صِنْفَا النَّاسِ فِي الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ هُمُ الْأَصِحَّاءُ، وَأَمَّا أُولَئِكَ فَمَرْضَى، وَالْمَرْضَى هُمُ الْأَقَلُّ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} [آل عمران: 7] وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكَلَامِ.

وَأَشَدُّ مَا عُرِضَ عَلَى الشَّرِيعَةِ مِنْ هَذَا الصِّنْفِ أَنَّهُمْ تَأَوَّلُوا كَثِيرًا مِمَّا ظَنُّوهُ لَيْسَ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ هُوَ الْمَقْصُودُ بِهِ إِنَّمَا أَتَى اللهُ بِهِ فِي صُورَةِ الْمُتَشَابِهِ ابْتِلَاءً لِعِبَادِهِ وَاخْتِبَارًا لَهُمْ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ هَذَا الظَّنِّ بِاللهِ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّ كِتَابَ اللهِ الْعَزِيزِ إِنَّمَا جَاءَ مُعْجِزًا مِنْ جِهَةِ الْوُضُوحِ وَالْبَيَانِ، فَإِذَا مَا أَبْعَدَهُ عَنْ مَقْصِدِ الشَّرْعِ مَنْ قَالَ فِيمَا لَيْسَ بِمُتَشَابِهٍ: إِنَّهُ مُتَشَابِهٌ، ثُمَّ أَوَّلَ ذَلِكَ الْمُتَشَابِهَ بِزَعْمِهِ، وَقَالَ لِجَمِيعِ النَّاسِ: إِنَّ فَرْضَكُمُ اعْتِقَادَ هَذَا التَّأْوِيلِ مِثْلَ مَا قَالُوهُ فِي آيَاتِ الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، مِمَّا قَالُوا إِنَّ ظَاهِرَهُ مُتَشَابِهٌ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَأَكْثَرُ التَّأْوِيلَاتِ الَّتِي زَعَمَ الْقَائِلُونَ بِهَا أَنَّهَا الْمَقْصُودُ مِنَ الشَّرْعِ إِذَا تُؤُمِّلَتْ وُجِدَتْ لَيْسَ يَقُومُ عَلَيْهَا بُرْهَانٌ وَلَا يُعْقَلُ فِعْلُ الظَّاهِرِ فِي قَبُولِ الْجُمْهُورِ لَهَا، وَعَمَلِهِمْ بِهَا، فَإِنَّ الْمَقْصُودَ الْأَوَّلَ بِالْعِلْمِ فِي حَقِّ الْجُمْهُورِ إِنَّمَا هُوَ الْعَمَلُ، فَمَا كَانَ أَنْفَعَ فِي الْعَمَلِ كَانَ أَجْدَرَ، وَأَمَّا الْمَقْصُودُ بِالْعِلْمِ فِي حَقِّ الْعُلَمَاءِ فَهُوَ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا، أَعْنِي الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ.

مِثَالُ مَنْ أَوَّلَ شَيْئًا مِنَ الشَّرْعِ وَزَعَمَ أَنَّ الَّذِي أَوَّلَهُ هُوَ الَّذِي قَصَدَهُ الشَّرْعُ وَصَرَّحَ بِذَلِكَ التَّأْوِيلِ لِلْجُمْهُورِ مِثَالُ مَنْ أَتَى إِلَى دَوَاءٍ قَدْ رَكَّبَهُ طَبِيبٌ مَاهِرٌ لِيَحْفَظَ صِحَّةَ جَمِيعِ النَّاسِ أَوِ الْأَكْثَرِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَلَمْ يُلَائِمْهُ ذَلِكَ الدَّوَاءُ الْمُرَكَّبُ الْأَعْظَمُ، لِرَدَاءَةِ مِزَاجٍ كَانَ بِهِ لَيْسَ يَعْرِضُ إِلَّا لِلْأَقَلِّ مِنَ النَّاسِ، فَزَعَمَ أَنَّ بَعْضَ الْأَدْوِيَةِ الَّذِي صَرَّحَ بِاسْمِهِ الطَّبِيبِ الْأَوَّلِ فِي ذَلِكَ الدَّوَاءِ الْعَامِّ الْمَنْفَعَةِ الْمُرَكَّبِ، لَمْ يُرِدْ بِهِ ذَلِكَ الدَّوَاءَ الَّذِي جَرَتِ الْعَادَةُ فِي اللِّسَانِ أَنْ يَدُلَّ ذَلِكَ الِاسْمُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ دَوَاءً آخَرَ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يَدُلَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِاسْتِعَارَةٍ بَعِيدَةٍ، فَأَزَالَ الدَّوَاءَ الْأَوَّلَ مِنْ ذَلِكَ الْمُرَكَّبِ الْأَعْظَمِ وَجَعَلَ فِيهِ بَدَلَهُ الدَّوَاءَ الَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ قَصَدَهُ الطَّبِيبُ، وَقَالَ لِلنَّاسِ: هَذَا هُوَ الَّذِي قَصَدَهُ الطَّبِيبُ الْأَوَّلُ فَاسْتَعْمَلَ النَّاسُ ذَلِكَ الدَّوَاءَ الْمُرَكَّبَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي تَأَوَّلَهُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمُتَأَوِّلُ، فَفَسَدَتْ بِهِ أَمْزِجَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّاسِ، فَجَاءَ آخَرُونَ فَشَعَرُوا بِإِفْسَادِ أَمْزِجَةِ النَّاسِ مِنْ ذَلِكَ الدَّوَاءِ الْمُرَكَّبِ فَرَامُوا إِصْلَاحَهُ بِأَنْ أَبْدَلُوا بَعْضَ أَدْوِيَتِهِ بِدَوَاءٍ آخَرَ غَيْرَ الدَّوَاءِ الْأَوَّلِ، فَعَرَضَ لِلنَّاسِ نَوْعٌ مِنَ الْمَرَضِ غَيْرُ النَّوْعِ الْأَوَّلِ، فَجَاءَ ثَالِثٌ فَتَأَوَّلَ فِي أَدْوِيَةِ ذَلِكَ الْمُرَكَّبِ غَيْرَ التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي، فَعَرَضَ لِلنَّاسِ نَوْعٌ ثَالِثٌ مِنَ الْمَرَضِ غَيْرُ النَّوْعَيْنِ الْمُتَقَدِّمَيْنِ، فَجَاءَ مُتَأَوِّلٌ رَابِعٌ فَتَأَوَّلَ دَوَاءً آخَرَ غَيْرَ الْأَدْوِيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَعَرَضَ لِلنَّاسِ نَوْعٌ رَابِعٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ غَيْرُ الْأَمْرَاضِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَلَمَّا طَالَ الزَّمَانُ بِهَذَا الدَّوَاءِ الْمُرَكَّبِ الْأَعْظَمِ وَسُلِّطَ النَّاسُ التَّأْوِيلَ عَلَى أَدْوِيَتِهِ وَغَيْرِهَا وَبَدَّلُوهَا عَرَضَ لِلنَّاسِ أَمْرَاضٌ شَتَّى حَتَّى فَسَدَتِ الْمَنْفَعَةُ الْمَقْصُودَةُ بِذَلِكَ الدَّوَاءِ الْمُرَكَّبِ فِي حَقِّ أَكْثَرِ النَّاسِ. – ص 27 –

وَهَذِهِ هِيَ حَالُ الْفُرْقَةِ الْحَادِثَةِ فِي الشَّرِيعَةِ مَعَ الشَّرِيعَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ تَأَوَّلَتْ فِي الشَّرِيعَةِ تَأْوِيلًا غَيْرَ التَّأْوِيلِ الَّذِي تَأَوَّلَتْهُ الْفِرْقَةُ الْأُخْرَى، وَزَعَمَتْ أَنَّهُ الَّذِي قَصَدَهُ صَاحِبُ الشَّرْعِ، حَتَّى تَمَزَّقَ الشَّرْعُ كُلَّ مُمَزَّقٍ وَبَعُدَ هَذَا عَنْ مَوْضُوعِهِ الْأَوَّلِ. وَلَمَّا عَلِمَ صَاحِبُ الشَّرْعِ ﷺ أَنَّ هَذَا سَيَعْرِضُ فِي شَرِيعَتِهِ قَالَ : « سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» " يَعْنِي بِالْوَاحِدَةِ الَّتِي سَلَكَتْ ظَاهِرَ الشَّرْعِ وَلَمْ تُؤَوِّلْهُ، وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا عَرَضَ فِي هَذِهِ الشَّرِيعَةِ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْفَسَادِ الْعَارِضِ فِيهَا قَبْلُ تَبَيَّنْتَ أَنَّ هَذَا الْمِثَالَ صَحِيحٌ.

وَأَوَّلُ مَنْ غَيَّرَ هَذَا الدَّوَاءَ الْأَعْظَمَ الْخَوَارِجُ، ثُمَّ الْمُعْتَزِلَةُ بَعْدَهُمْ، ثُمَّ الْأَشْعَرِيَّةُ، ثُمَّ الصُّوفِيَّةُ، ثُمَّ جَاءَ أَبُو حَامِدٍ فَطَمَّ الْوَادِي عَلَى الْقُرَى ..إلى آخر ما قال).[97]

فأنت تراه قصر المتشابه على الذين في قلوبهم زيغ كما أشارت إليه الآية ، كما جعل مذهب التأويل هادما للشريعة ومخلا بمقصودها .

و قوله :(وفي المتشابه ثلاثة مذاهب: الأول: وجوب تفويض معناه إلى الله تعالى بعد القطع بالتنزيه عن الظاهر والمستحيل، وهو مذهب السلف { وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا } ، فيقولون في كل متشابه: آمنا بالله و بما جاء عن الله على مراد الله، و به أخذ الشافعي وابن شهاب و مالك، ولهذا قال إمامنا مالك رضي الله عنه لرجل سأله عن الاستواء: الاستواء معلوم و الكيف مجهول و الإيمان به واجب و السؤال عن هذا بدعة ، و أظنك رجل سوء ، أخرجوه . فانصرف الرجل و هو يقول : يا أبا عبد الله لقد سألت عن هذا أهل العراق و أهل الشام فما وُفِّق فيها أحدٌ توفيقا . و إنما أمر بإخراجه لأن صاحب البدعة و هو الذي يريد أن يفسد على الناس عقائدهم تجب مجانبته و إخراجه من مجالس العلم لئلا يدخل على الناس فتنة بسبب إظهار بدعته).

---

[97] – انظر مختصر الصواعق ص 70 فما بعدها .



يقال عليه : مذهب السلف و هو مذهب أبي الحسن الأشعري و لا فرق بينهما . فهما حينئذ مذهبان: مذهب السلف ومذهب الجهمية و المعطلة. والرجل بتقسيمه وما يظهر من كلامه كصريح قول غيره من أهل نحلته ينسب القول بجهل ما ادعى أنه متشابه للسلف، و حاشاهم أن يجهلوا كلمات الله الدالة على صفته و يعلمها هو وجهميته.

قال في الصواعق:(وأَصْحَابُ التَّجْهِيلِ الَّذِينَ قَالُوا: نُصُوصُ الصِّفَاتِ أَلْفَاظٌ لَا تُعْقَلُ مَعَانِيهَا وَلَا يُدْرَى مَا أَرَادَ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْهَا، وَلَكِنْ نَقْرَؤُهَا أَلْفَاظًا لَا مَعَانِيَ لَهَا، وَنَعْلَمُ أَنَّ لَهَا تَأْوِيلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَهِيَ عِنْدَنَا بِمَنْزِلَةِ: (كهيعص) وَ(حم عسق) وَ(المص) فَلَوْ وَرَدَ عَلَيْنَا مِنْهَا مَا وَرَدَ لَمْ نَعْتَقِدْ فِيهِ تَمْثِيلًا وَلَا تَشْبِيهًا، وَلَمْ نَعْرِفْ مَعْنَاهُ، وَنُنْكِرْ عَلَى مَنْ تَأَوَّلَهُ، وَنَكِلُ عِلْمَهُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَظَنَّ هَؤُلَاءِ أَنَّ هَذِهِ طَرِيقَةُ السَّلَفِ وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ حَقَائِقَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلَا يَفْهَمُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: {لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75] وَقَوْلِهِ: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الزمر: 67]، وَقَوْلِهِ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ.

وَبَنَوْا هَذَا الْمَذْهَبَ عَلَى أَصْلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ، وَالثَّانِي: أَنَّ لِلْمُتَشَابِهِ تَأْوِيلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَنَتَجَ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ اسْتِجْهَالُ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَسَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالصِّفَاتِ وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْنَى ذَلِكَ وَلَا مَا أُرِيدَ بِهِ، وَلَازِمُ قَوْلِهِمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِذَلِكَ وَلَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ، ثُمَّ تَنَاقَضُوا أَقْبَحَ تَنَاقُضٍ فَقَالُوا: تُجْرَى عَلَى ظَوَاهِرِهَا، وَتَأْوِيلُهَا بِمَا يُخَالِفُ الظَّوَاهِرَ بَاطِلٌ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَهَا تَأْوِيلٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، فَكَيْفَ يُثْبِتُونَ لَهَا تَأْوِيلًا وَيَقُولُونَ: تُجْرَى عَلَى ظَوَاهِرِهَا، وَيَقُولُونَ: الظَّاهِرُ مِنْهَا مُرَادٌ، وَالرَّبُّ مُنْفَرِدٌ بِعِلْمِ تَأْوِيلِهَا، وَهَلْ فِي التَّنَاقُضِ أَقْبَحُ مِنْ هَذَا ؟

وَهَؤُلَاءِ غَلِطُوا فِي الْمُتَشَابِهِ وَفِي جَعْلِ هَذِهِ النُّصُوصِ مِنَ - ص 28 - الْمُتَشَابِهِ، وَفِي كَوْنِ الْمُتَشَابِهِ لَا يَعْلَمُ مَعْنَاهُ إِلَّا اللَّهُ، فَأَخْطَئُوا فِي الْمُقَدِّمَاتِ الثَّلَاثِ وَاضْطَرَّهُمْ إِلَى هَذَا: التَّخَلُّصُ مِنْ تَأْوِيلَاتِ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَاتِ الْمُعَطِّلِينَ، وَسَدُّوا عَلَى نُفُوسِهِمُ الْبَابَ، وَقَالُوا: لَا نَرْضَى بِالْخَطَأِ، وَلَا وُصُولَ لَنَا إِلَى الصَّوَابِ، فَتَرَكُوا التَّدْبِيرَ الْمَأْمُورَ بِهِ وَالتَّعَقُّلَ لِمَعَانِي النُّصُوصِ، وَتَعَبَّدُوا بِالْأَلْفَاظِ الْمُجَرَّدَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ فِي ذَلِكَ، وَظَنُّوا أَنَّهَا أُنْزِلَتْ لِلتِّلَاوَةِ وَالتَّعَبُّدِ بِهَا دُونَ تَعَقُّلِ مَعَانِيهَا وَتَدَبُّرِهَا وَالتَّفَكُّرِ فِيهَا، وَأُولَئِكَ جَعَلُوهَا عُرْضَةً لِلتَّأَوُّلِ وَالتَّحْرِيفِ كَمَا جَعَلَهَا أَصْحَابُ التَّخْيِيلِ أَمْثَالًا لَا حَقِيقَةَ لَهَا... و لما نسبوا هذا المذهب إلى السلف قالوا هم أسلم وَيَحْتَجُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [آل عمران: 7] وَيَقُولُونَ: هَذَا هُوَ الْوَقْفُ التَّامُّ عِنْدَ جُمْهُورِ السَّلَفِ، وَهُوَ قَوْلُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَعَائِشَةَ وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، ثُمَّ وَعَلَى قَوْلِ هَؤُلَاءِ يَكُونُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ لَا يَعْلَمُونَ مَعَانِيَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذِهِ النُّصُوصِ وَلَا أَصْحَابُهُمْ وَلَا التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، بَلْ يَقْرَءُونَ كَلَامًا لَا يَعْقِلُونَ مَعْنَاهُ ... وَقَوْلُ هَؤُلَاءِ بَاطِلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِتَدَبُّرِ كِتَابِهِ وَتَفَهُّمِهِ وَتَعَقُّلِهِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ بَيَانٌ وَهُدًى وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَحَاكِمٌ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَمِنْ أَعْظَمِ الِاخْتِلَافِ اخْتِلَافُهُمْ فِي بَابِ الصِّفَاتِ وَالْقَدَرِ وَالْأَفْعَالِ، وَاللَّفْظُ الَّذِي لَا يُعْلَمُ مَا أَرَادَ بِهِ الْمُتَكَلِّمُ لَا يَحْصُلُ بِهِ حُكْمٌ وَلَا هُدًى وَلَا شِفَاءٌ وَلَا بَيَانٌ.

وَهَؤُلَاءِ طَرَقُوا لِأَهْلِ الْإِلْحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالْبِدَعِ أَنْ يَسْتَنْبِطُوا الْحَقَّ مِنْ عُقُولِهِمْ، فَإِنَّ النُّفُوسَ طَالِبَةٌ لِمَعْرِفَةِ هَذَا الْأَمْرِ أَعْظَمَ طَلَبٍ، وَالْمُقْتَضَى التَّامُّ لِذَلِكَ فِيهَا مَوْجُودٌ، فَإِذَا قِيلَ لَهَا: إِنَّ أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ لَهَا تَأْوِيلٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مَعْنَاهَا، فَرَّتْ إِلَيْهِ عُقُولُهُمْ

وَفِطَرُهُمْ وَآرَاؤُهُمْ، فَسَدَّ هَؤُلَاءِ بَابَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ، وَفَتَحَ أُولَئِكَ بَابَ الزَّنْدَقَةِ وَالْبِدْعَةِ وَالْإِلْحَادِ وَقَالُوا: قَدْ أَقْرَرْتُمْ بِأَنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَحْصُلُ مِنْهُ عِلْمٌ بِالْحَقِّ وَلَا يَهْدِي إِلَيْهِ، فَهُوَ فِي طَرِيقَتِنَا لَا فِي طَرِيقَةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِنَّا نَحْنُ نَعْلَمُ مَا نَقُولُ وَنُثْبِتُهُ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ لَمْ يَعْلَمُوا تَأْوِيلَ مَا قَالُوهُ وَلَا بَيَّنُوا مُرَادَ الْمُتَكَلِّمِ بِهِ، وَأَصَابَ هَؤُلَاءِ مِنَ الْغَلَطِ عَلَى السَّمْعِ مَا أَصَابَ أُولَئِكَ مِنَ الْخَطَأِ فِي الْعَقْلِ.

وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَفْهَمُوا مُرَادَ السَّلَفِ بِقَوْلِهِمْ : لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ إِلَّا اللهُ، فَالتَّأْوِيلُ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف: 53]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59]، وَقَوْلِ يُوسُفَ: {يَاأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} [يوسف: 100]، وَقَوْلِ يَعْقُوبَ: {وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} [يوسف: 6]، وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ} [يوسف: 45]، وَقَالَ يُوسُفُ: {لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا} [يوسف: 37]، فَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ الطَّلَبِيِّ هُوَ نَفْسُ فِعْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَتَرْكِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ كَمَا قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: السُّنَّةُ تَأْوِيلُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ:« سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ ».

وَأَمَّا تَأْوِيلُ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَهُوَ نَفْسُ الْحَقِيقَةِ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ عَنْهَا، ذَلِكَ فِي حَقِّ اللهِ هُوَ كُنْهُ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُهُ، وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ وَرَبِيعَةُ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ، وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ وَالْإِمَامُ -ص29- أَحْمَدُ

وَغَيْرُهُمْ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّا لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ تَفْسِيرَهُ وَمَعْنَاهُ. وَقَدْ فَسَّرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ الْآيَاتِ الَّتِي احْتَجَّ بِهَا الْجَهْمِيَّةُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَقَالَ: إِنَّهُمْ تَأَوَّلُوهَا عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهَا، وَبَيَّنَ مَعْنَاهَا، وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ وَعَلِمُوا الْمُرَادَ بِآيَاتِ الصِّفَاتِ كَمَا عَلِمُوا الْمُرَادَ مِنْ آيَاتِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا الْكَيْفِيَّةَ، كَمَا عَلِمُوا مَعَانِيَ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا حَقِيقَةَ كُنْهِهِ وَكَيْفِيَّتِهِ.

فَمَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: إِنَّ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، بِهَذَا الْمَعْنَى، فَهُوَ حَقٌّ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ تَفْسِيرُهُ وَبَيَانُ الْمُرَادِ مِنْهُ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ فَهُوَ غَلَطٌ، وَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَجُمْهُورُ الْأُمَّةِ عَلَى خِلَافِهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أَقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: مَا فِي كِتَابِ اللهِ آيَةٌ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَا أَنْزَلَ اللهُ آيَةً إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَا أَرَادَ بِهَا، وَقَالَ مَسْرُوقٌ: مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّ عِلْمَنَا قَصَرَ عَنْهُ، وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: مَا ابْتَدَعَ قَوْمٌ بِدْعَةً إِلَّا وَفِي كِتَابِ اللهِ بَيَانُهَا) .

انتهى تناقض هذا الرجل فأخبر عن الإمام مالك أنه يعلم الاستواء علم الجهمية بقوله عنه : الاستواء معلوم : أي معلوم محامله المجازية !

والإمام مالك من أكابر السلف بعد الصحابة و التابعين، وهذه المقالة ليست خاصة به، فقد رويت عن أم سلمة وربيعة بن أبي عبد الرحمن كما سيأتي ، و سلمها السلف لهم . فإذا كان معناها ما قال هذا الرجل فقد تناقضت الدعوتان منه في حق السلف، و قد قال غيره: معلوم: أي لله، فنسبوا السائل إلى أنه كان يجهل أن الله يعلم الاستواء! و قال غيره: معلوم : أي في

القرآن، و كأن السائل لم يكن يعلم أن هذا اللفظ ورد في القرآن ! و قد قال : يا أبا عبد الله : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كيف استوى ؟ فلم يقل : هل هذا اللفظ في القرآن أم لا؟ و نسبوا المجيب إلى أنه أجابه بما يعلم الصبيان في المكاتب و لا يجهله أحد، ولا هو مما يحتاج إلى السؤال عنه ، و لا استشكله السائل و لا خطر بقلب المجيب أنه يُسأل عنه . و ما قال أحد من السلف الذين [98] روينا عنهم هذه الكلمة أن الاستواء لفظ مجمل يحتاج إلى تأويل ، و لا أن يحتمل خمسة عشر معنى كما قاله ابن العربي المعافري المردود عليه بما تقدم . و هم أم سلمة فيما رواه أبو القاسم اللالكائي من طريق الحسن البصري عن أم سلمة أنها قالت : " الاستواء غير مجهول ، و الكيف غير معقول ، و الإقرار به إيمان ، و الجحود به كفر ".[99] وربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سئل: كيف استوى على العرش؟ فقال: " الاستواء غير مجهول، و الكيف غير معقول، و على الله الرسالة، وعلى رسولنا البلاغ، وعلينا التسليم ".[100] وحكي هذا القول عن سفيان بن عيينة، و راه ابن وهب و يحيى بن يحيى عن مالك ، زاد في روايته : و الإيمان به واجب و السؤال عنه بدعة .

فكيف يلتئم قولهم : الإيمان به واجب و جحده كفر ، و على رسول الله البلاغ ، و علينا التسليم ، مع قول المجهّلة لهم ، إن هذه الأشياء فروع عن العلم ، و لا يصح الإيمان و ما معه بمجهول . كما أنك تراهم إنما حكوا على الكيف – ص 30 – بنفي المعقولية لا بنفي الذات ،

---

98 – سقطت (الذين) من (ب) .

99 – ضعيف . انظر تخريجه في رسالة عبد الرزاق البدر الآنف ذكرها.

100 – صحيح . انظر تخريجه في رسالة عبد الرزاق البدر الآنف ذكرها.



فتأمل في المقام .

و هذه مجاراة لكلامه، و إلا فالمذاهب في المتشابه أكثر من ثلاث. بل انقسم الناس في نصوص الوحيين إلى خمسة مذاهب :

- أصحاب التأويل : و هم المعتزلة و الجهمية و من على مذهبهم ، و هؤلاء لا ضابط عندهم فيما يؤوَّل و لا يؤول ، و في التأويل ما هو ؟ و لذلك تضاربت تأويلاتهم و تناقضت ، و لا يمكنهم الرد على مبطل ، إذ ما ردوا عليه حكما من أحكامه إلا قابلهم بتأويله و ألزمهم القبول له ، و إلا فما كان جوابهم فهو جوابه .

- و أصحاب تخييل : و هؤلاء هم الذين زعموا أن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لم يفصحوا للجمهور بالحقيقة . لأنهم لم يقدروا على فهمها ، و لا لهم قوة على إدراكها ، فأبرزوا لهم المعقول في صورة المحسوس و ضرب الأمثال . إذ لو صرحوا للسواد الأعظم بأن الله لا خارج العالم و لا داخله و لا متصلا به و لا منفصلا ، و لا متكلما و لا فوق عرشه و لا يجيء لفصل القضاء بين عباده ، و لا كلامه فيض فاض على قلوب أنبيائه ، و لا جنته و ناره على حقيقتهما ، و إنما هما لذاتٌ و ألمٌ للروح ، إلى غير ذلك مما هو مسطر في كتبهم ، لِنفْر الخلق من هذا الإله و صفاته ، فخيلوا لهم المعنى بالمقصود بمحسوسةٍ لا حقيقة لها .

و أما الخاصة فلا يحتاجون إلى تخييل ذلك ، لأنهم عالمون بالمعنى من أول وهلة ، و هذا المذهب كما قبله في الشر و أعظم .

- و أصحاب تجهيل : و قد تقدم ذكرهم .

- و أصحاب تمثيل و تشبيه : و هم الذين وصفوا الخالق بصفة الخلق من غير فرق، [101] فجعلوا اليد كاليد، و العين كالعين، و لم يحكموا قوله تعالى :{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }[الشورى11]. و هؤلاء هم المجسمة و هم في قبح و ضلال أيضا .

وهذه الفِرق لا يزال يبدع بعضهم بعضا و يضلله و يجهله، و قد تصادمت كما ترى. فهم كزُمرةٍ من العميان تلاقوا فتصادموا ، كما قال أعمى البصيرة منهم :

و نظيري في العلم مثل أعمى *** فكلانا في حندس نتصادم

- و أصحاب سواء السبيل: وهم الرسل و أصحابهم و السلف ، و من تبعهم من أهل السنة، حكّموا آيات الصفات ، و نفوا المثلية بقوله :{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }. فما أوّلوها و لا عطّلوها، و لا زعموا أنها خيال لا حقيقة لها ، و لا أنها مجهولة المعنى ، و لا أنها كصفات الخلق .

و أما انقسامهم في الاعتقاد فإلى ثمانية :

- دهرية : و هم نفاة الصانع .

- و فلاسفة : أثبتوا صانعا معطَّلا عن الصفات ، مقهورا مجبورَ الفعل سموه : العقل الأول .

- و جهمية قدماء : نفوا علو الله على عرشه ، و زعموا أنه في كل مكان .

- و متأخرون : قالوا : لا خارج العالم و لا داخله ، فنفوا وجود الله في الخارج دون الذهن ، و تبعهم متأخروا الأشعرية على هذا المذهب .

- وحلولية : زعموا أن الله مظروف في العالم ، و هذا مذهب الحلولية من المتصوفة ، و يشبه مذهب القدماء من الجهمية .

---

[101] - في النسختين معا : (من غير فوق) و الصواب ما أثبته .



- و مذهب النصارى و الاتحادية : و هم القائلون بأنه نفس الوجود ، و هم أصحاب وحدة الوجود من غلاة المتصوفة .

- و جبرية : و هم القائلون أن كل حركة و سكون في الكون فعل الله بلا واسطة .

- و سلفية : و هم أتباع الأنبياء و الرسل .– ص 31 –

و هذه النحال غير السلفية قدموا العقل على النقل ، على أن العقل التام لا يخالف النقل أبدا .

و كان رئيسهم في ذلك إبليس إذ هو أول من قدم العقل على النقل ، فقال : { أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } [الأعراف12]. ثم قابيل([102])، ثم قوم نوح، و مشركو العرب، ثم لم يظل ذلك كذلك حتى جاء الإسلام ، فجاءت هذه النحال على هذا المنوال.

و من أراد تفصيل ذلك فلينظر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى و رضي عنه ([103]).

وقول الإمام مالك:" والسؤال عن هذا بدعة "؛ صحيح، لأن السلف كانوا يعتقدون أن تلك الصفات المنصوص عليها في الكتاب والسنة صفات لله وإن تشاركت مع صفة المخلوق من حيث الأسماء، ويحكمون بمباينة المسميات بقوله تعالى:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى11]. لأن ذات الله وصفاته وأفعاله لا تقاس بذات المخلوقات ولا بصفاته وأفعاله. وهذا معلوم عندهم لا يسأل عنه إلا حديث عهد بالإسلام أو مبتدع. ولما كثر السؤال عنه من مبتدعة

---

[102] – في النسختين معا : (قابل) .

[103] – هذه الزيادة : (للإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله تعالى و رضي عنه) لا توجد في (أ) .



الجهمية في زمان الإمام مالك، إذ جهم و[104] الجعد ابن درهم الذي قتله خالد بن عبدالله القسري، شاعت دعوتهم في زمان بني أمية ثم ازدادت شيوعا في دولة بني العباس. فقد قال أهل التاريخ : ظهر الخوارج والروافض والشيعة والمرجئة، فلم يتجاسروا على رد نصوص الشريعة بالعقل، وصاح بهم الصحابة من كل صوب وبدّعوهم، وتركوا السلام عليهم، ونسبوهم إلى العظائم، ثم ظهر الجهمية في آخر عصر التابعين، فعارضوا الوحي بالعقل، وقالوا كل شريعة لا تقبلها عقولنا رددناها بالتأويل إليها، ثم ذلك منهم في آخر زمان بني أمية، فخمدت نار فتنتهم فقتل خالدُ ابن عبدالله الجعدَ ابن درهم ثاني رؤسائهم، ثم اشتعلت نار فتنتهم في زمان المأمون فأوقع المحنة بالعلماء حيث أعجبه مذهب هؤلاء المبتدعة، فقتل من قتل من العلماء، ونجا منهم بإظهار مذهبهم اتقاء شرهم [105] أو بالصبر على الحبس والعذاب، وعلى هذه البدعة حَبَسَ المعتصمُ الإمام أحمدَ وضربه، ثم أطفأ الله نار هذه البدعة وأظهر السنة على لسان خلقه، وخطب بها على المنابر زمانا حتى ظهرت جنود إبليس القرامطة والباطنية والملاحدة، ودعوا الناس إلى العقل المجرد، وأن أمور الرسل تعارض المعقول. وفي زمنهم غلب الكفار على كثير من بلاد المسلمين، وهم الذين كسروا عسكر الخليفة العباسي، وقلعوا الحجر الأسود ، وقتلوا الحجاج. ثم خمدت دعوتهم في المشرق وظهرت في المغرب قليلا قليلا. ثم أخذوا يطؤون البلاد حتى وصلوا إلى بلاد مصر فملكوها وبنوا بها القاهرة، وأقاموا على هذه الدعوة مصرحين بها هم وولاتهم وقضاتهم، وفي زمنهم

---

[104] – في النسختين معا : (إذ جهم و هو الجعد ابن درهم) و الصواب ما أثبته .

[105] – في (أ) : (بشرهم) و التصويب من (ب) .



صرح ابن أبي زيد بأن الله مستو على عرشه بذاته، ردًّا لمذهبهم من غير أن تأخذه في الله لومة لائم، واتخذ الكلاب ليحرسوه من صائلهم ومعتديهم. وفي أيامهم أُلّفت الإشارات وكتب ابن سينا.

قال: كان أبي من أهل الدعوة الحاكمين، وأهل السنة فيهم كأهل الذمة بين المسلمين، بل كان لأهل الذمة من الأمان والجاه والعز عندهم ما ليس لأهل السنة.

فكم أغمد من سيوفهم في أعناق العلماء، وكم مات في سجونهم من ورثة الأنبياء، حتى استنقذ الله الإسلام والمسلمين من أيديهم على يد نور الدين محمود بن زنكي والسلطان الأعظم صلاح الدين ابن أيوب رحمه الله، قابل الإسلام من علته وانتعش بعد طول الحمرة حتى استبشر أهل الأرض والسماء، واستنقذ -ص 32- اللهُ بعبده صلاح الدين وجنوده بيت المقدس من أيدي عبدة الصليب، فعاش الناس في ذلك النور مدة حتى استولت الظلمة وقدم الناس العقول على النقول، والأذواق على الشريعة الربانية، وكان رئيسهم هذا الطوسي وأضرابه، هذا في المشرق.

وأما في المغرب فمنذ فتح الإسلام إلا وهو على عقيدة السلف إلا ما كان من فتنة العُبيدين وبدعتهم، ثم انجلت ظلمتها واستضاء المسلمون بنور السنة ومذهب السلف حتى ظهر فيهم في أوائل القرن السادس محمد بن تومرت المهدي تلميذ أبي حامد الغزالي، فملأ أرضهم بمعارضة العقل للوحي، واشتهر مذهب شيخه الغزالي في هذه البقاع، وسمى من خالفه من علماء المغرب وملوكهم وجمهورهم مجسمة، وقاتلهم على ذلك، وسمى أتباعه الموحدين؛ وفي ذلك يقول الحفيد ابن رشد: ولما ظهر أبو حامد طم الوادي على القرى ثم لم يزل أهل المغرب

في دولة الموحدين وبني مرين بعدهم وغيرهم بين آخذٍ بمذهبه. وآخذٍ بمذهب السلف وهم القليل، حتى كانت دولة سيدي محمد بن عبدالله العلوي، فعانق مذهب السلف هو وخواصه، وأظهره للجمهور، وهكذا ابنه أبو الربيع المولى سليمان كما تقدم.

وأما أهل المشرق فبعث الله عليهم في خلال هذه الدعوة عبادًا له أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار، وهم التتار، ثم تَيمور. ثم نِيضَت [106] نابغةٌ أيضا تدعو إلى معارضة النقل بالعقل فقيّض الله لهم شيخ الإسلام الحراني وأصحابه، فكانوا يناضلون بسيف الحجة عن مذهب أهل السنة، ثم اختلط الأمر بعد ذلك ومرَج ؛ فمن آخذٍ بمذهب هؤلاء، ومن آخذ بمذهب هؤلاء. وقد قال رسول الله ﷺ:« لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خافهم حتى يأتي أمر الله ».[107]

ولذلك تفرّس في السائل الإمام أنه من أهل هذه الدعوة لدليل ما قال:" وأظنك رجل سوء، أخرجوه".

ولولا ما ظنه الإمام فيه لما ساغ له أن يواجهه بهذا الكلام، ولا أن يقول:"أخرجوه"، إذ السائل لا يُنهَر؛ بل يُلان له القول ويُكرم. ولا يشك في أن الإمام مالكا من أكابر أهل السنة إلا شَكَّاكٌ [108]، ولو كان قصد مالك بقوله : "معلوم" ما نسبتم له من التأويل لكان قوله : والكيف مجهول، ضائعا، ومنافيا لاعتقاده. إذ لا يقال الكيف مجهول إلا إذا كان الاستواء على

[106] – قال ابن سيده في المخصص : التردد خِلال الدّور والبيوت في الغارة .

[107] – صحيح مسلم .

[108] – في (ب) : ولا شك أن الإمام مالكا من أكابر أهل السنة لا شكاك .



معناه الحقيقي، بل لا يُحكم على شيء أنه مجهول إلا إذا كان موجودا، وإلا كان اسم المعدوم أحق به.

و قوله:(المذهب الثاني: جواز تعيين التأويل للمشكل من الآيات و الأحاديث و إخراجه عن ظاهره ، و رده إلى ما تقتضيه أدلة العقول مما يصح بدلالة سياق أو بكثرة استعمال العرف ، فالاستواء القهر و الغلبة كما في قوله :

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْرَاقِ

و الوجه الوجود، و العين العلم، و اليد القدرة و النعمة، وهو مذهب الخلف إمام الحرمين و جماعة كثيرة من أهل السنة و مذهب السلف أسلم و مذهب الباقين أعلم و أحكم أي أحوج إلى مزيد علم، و أكثر إحكاما أي إتقانا بالنسبة إلى دفع الشبه عن العقيدة ، و الأول أي التفويض أولى بالنسبة إلى الأدب) .

لله در هذا الرجل ما أدراه بأساليب الكلام! و ما أعرفه بالأمور المتنافية! وما أعلمه بمحل الإتقان و الاختلاف! و ما أكثره غوصًا على الحقائق حتى يستخرجها كأنه ينظر إليها بالعيان ! أجل؛ لا غرابة بذلك إذ السيد هو القطب بن القطب الصقلي، ولمثل القطب تُكشف هذه الحقائق و التي منها ما في هذه الرسالة! وخصوصا المسألة التي القلم يكتب ما فيها ! فإن القطب قال فيما تقدم : (من لم يعتقد مذهبه هذا فالصنم معبوده !) فما كانت سِنون متباعدة ، و لا كُتبٌ متكاثرة يَنسى فيها ما رقم ، بل ما هي إلا سطور قليلة متناسقة توسطت بين قوله : (الصنم معبوده) و قوله: (المذهب الثاني) الذي عبّر فيه بجواز التأويل الذي يفيد أن غيره جائز أيضا. وهذا من أشنع التناقض؛ إذ كيف يحكم على من ترك الجائز بأن الصنم معبوده!؟

وقد أطلق فيما تقدم القول بأن من لم يعتقد مذهبه فالصنمُ معبوده .– ص 33 –

و قوله : (إلى ما تقتضيه أدلة العقل ..إلخ) .

يقال عليه : هذا كلامٌ لا يفيد أكثر من أن يوقع في حيرة ، إذ الناظر فيه يحكم أول الأمر بأن الرد إلى أدلة العقول أول الأمر ثم إلى دلالة السياق ، ثم إلى دلالة العرف، فلا يدرى ما الدليل عنده بالحقيقة ؟ إن كان دليل العقل فما بال السياق و العرف؟ وإن كان السياق والعرف هما الدليلين فما شأن العقل؟ فإن قيل: معناه أن الدليل العقلي يعتمد على السياق والعرف، و حينئذ فليس بعقلي، و إن كان المعنى أن تلك التأويلات يبينها العقل و السياق و العرف، قلنا لا يدل عليه اللفظ .

و قوله : (الاستواء : القهر و الغلبة ...إلخ).

يقال عليه : أين دلالة السياق و استعمال العرف في محل الاستواء على هذا التأويل ؟ و دلالة العقل عليه قد تقدم ردها، وقد استدل بهذا الإطلاق من حيث العربية بقوله : استوى بشر على العراق . وقد تقدم ما في هذا البيت عن صاحب الصواعق ، و ما قال فيه يقال في مثله إذا جاء به مريدُ الاستدلال بالمصنوعات الشعرية لإنكار أئمة اللغة كون الاستواء بمعنى الاستيلاء. و حتى لو فرضنا ثبوته لكان شاذا مجازا يحتاج إلى قرينة و لا يصح، فموضوع نزاعنا لما تقدم من الدلائل على عدم صحته.

و قوله : (و الوجه الوجود ..إلخ) .

فيه أنه أطلق اسم الذات على الوصف ، إذ لم يُسمع إطلاق الوجه على الوجود ، و لو سُلّم لكان : { ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن:27] وصفَ الوجود ، و لكان معنى قوله تعالى : {

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ } [القصص88] أي : إلا وجوده ! فيؤدي إلى فناء ذاته و صفاته إلا وجودُه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . و يكون معنى قوله ﷺ:« إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ »[109] أي على وجوده .

و قوله :« فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الله » أي: إلى وجوده .

و كذلك قوله:{ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ } [البقرة115]. وقوله:{ إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ } [الليل20].

وقوله ﷺ:« ارزقني لذة النظر إلى وجهك الكريم »[110] إلى غير ذلك .

فأي معنى للنظر إلى الوجود أو لذاته أو ابتغائه أو لا طعام له . و المعروف عند التأويلية أن المراد بالوجه: الذات ، مجازٌ مرسل. و لكن هذا الرجل لما خدعه ذلك العالم المجهول بشجعه، حيث قال: ووجهه وجوده إلى قوله فاصنم معبوده. ظن أن المعروف عن أهل مذهبه هذا الإطلاق.

و قوله : (و العين العلم)

يقال عليه: المراد بالعين البصر قطعا و إجماعا ، فهي صفة زائدة على العلم ، و يدل لذلك عد علماء الكلام العلمَ صفةً، و البصر صفة. و هذا لا يُختلف فيه. و كأن الرجل لم يستحضر حتى ما في المرشد المعين، و التأويلية من أهل مذهبه لم يؤولوا السمع و لا البصر ، و بعض الصفات. و قد خالف هذا الرجل ذلك الشجِعَ في هذا إذ قال: هو و عينه لشهوده .

---

109 – صحيح مسلم رقم 265

110 – الحديث صحيح بلفظ : (أسألك لذة النظر إلى وجهك) ، رواه النسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ،انظر صفة الصلاة 165 .



و قوله : (واليد القدرة أو النعمة) .

تردد هذا الرجل في معنى اليد دليل على ألا يقين و لا ظن في هذا التفسير . و على تسليمه كيف يصح أن يفسِّر : { يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } [المائدة64] بهذا المعنى ؟ إذ يصير المعنى عليه: قدرتان مبسوطتان، أو نعمتان مبسوطتان، و قدرة الله واحدة ليست بقدرتين وليست بنعمتين، بل قدرة واحدة عمت المقدورات. ونعمته يعبر عنها بالجمع أو الإفراد لا التثنية. و لنذكر هنا كلاما نقلناه عن الصواعق بتصرف واختصار كثير مع بعض الزيادة في الرحمة واليد. تاركين القول في العين اختصارا. ومن أراد القول الواضح فيها فعليه بذلك –ص 34– الكتاب الجليل ردًّا لتأويل هذا الجهم و سلفه.

فنقول : قولهم : إن رحمة الله مجاز مردود من وجوه (111):

الأول : أن الله تعلى رد هذه الدعوى، و هي نفي كون الرحمة من أوصاف الله الحقيقية على الكفار و سماهم ملاحدة في أسمائه، فقال:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ} [الفرقان: 60]. { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف: 180] وهم لم ينكروا الله وإحسانه لخلقه الذي فسرتم به الرحمة، بدليل:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف87].

الثاني: لو كانت الرحمة في حق الله مجازا لصح نفيها كما انتفت الحقيقة عن المجاز، فيقال: الرجل الشجاع ليس بأسد. ولا يجوز أن يقال له: ليس برحيم .

الثالث: لو كانت الرحمة مجازا في حقه سبحانه لنصب عليها القرائن في كلامه، و لابد للمجاز

---

111 – سقطت من (ب)هذه الجملة: فنقول: قولهم: إن رحمة الله مجاز مردود من وجوه.



من القرينة .

الرابع: تفسيركم الرحمة بأنه رقة و انعطاف في القلب، لا يلزم أن تكون رحمة الله بهذا المعنى، و إلا لزم ذلك في الأوصاف كلها، إذ العلمُ([112])عرضٌ يقوم بالنفس الإنسانية، والقدرة قوةٌ لها تخترع بها أفعالا و تعدم أخرى. و هكذا يقال في باقي الصفات، بل الأوصاف في كل شيء بحسب ذلك؛ فالرحمة في ذي القلب رقةٌ و انعطافٌ، و في الملك ما يناسبه، وفي الله تعالى كذلك. كَيْفَ يَكُونُ أَظْهَرُ الْأَسْمَاءِ الَّتِي افْتَتَحَ اللهُ بِهَا كِتَابَهُ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ وَهِيَ مِنْ أَظْهَرِ شِعَارِ التَّوْحِيدِ، وَالْكَلِمَةُ الْجَارِيَةُ عَلَى أَلْسِنَةِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ الطَّهُورِ وَالصَّلَاةِ وَجَمِيعِ الْأَفْعَالِ، كَيْفَ يَكُونُ مَجَازًا؟ هَذَا مِنْ أَشْنَعِ الْأَقْوَالِ. فَهَذَانِ الِاسْمَانِ اللَّذَانِ افْتَتَحَ اللهُ بِهِمَا أُمَّ الْقُرْآنِ، وَجَعَلَهُمَا عُنْوَانَ مَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيَانِ، وَضَمَّنَهُمَا الْكَلِمَةَ الَّتِي لَا يَثْبُتُ لَهَا شَيْطَانٌ، وَافْتَتَحَ بِهَا كِتَابَهُ نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانُ، وَكَانَ جِبْرَائِيلُ يَنْزِلُ بِهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ افْتِتَاحِ كُلِّ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

الخامس : كيف تكون الرحمة الضعيفة من العبد الضعيف حقيقةً، و رحمة الله التي وسعت كل شيء مجازا؟ هذا عجب .

السادس: كيف تكون الرحمة القديمة التي لا أول لها مجازا، والرحمة الحديثة حقيقة؟ هذا عكس الحقائق، لأن المجاز موضوع وضعا ثانيا، والحقيقة موضوعة وضعا أوليا.

السابع : رَوَى أَهْلُ السُّنَنِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:« يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ

---

[112] – في النسختين معا : (العالم) و لعل الصواب : العلم .



وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ».([113]) فَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّ اسْمَ الرَّحْمَةِ مُشْتَقٌّ مِنِ اسْمِهِ الرَّحْمَنِ تَعَالَى، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ رَحْمَتَهُ لَمَّا كَانَتْ هِيَ الْأَصْلَ فِي الْمَعْنَى كَانَتْ هِيَ الْأَصْلَ فِي اللَّفْظِ، وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ حَسَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي النَّبِيِّ ﷺ :

فَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

الثامن : مَعْلُومٌ أَنَّ الْمَعْنَى الْمُسْتَعَارَ يَكُونُ أكملُ فِي الْمُسْتَعَارِ مِنْهُ مِن الْمُسْتَعَارِ لَهُ. فعلى قولكم تكون الرحمة في الخلق أكمل منها في الخالق إلى غير هذا من الوجوه التي بسطها صاحب الصواعق ورد بها على الجهمية أحسن رد فجزاه الله خيرا .

و حملهم اليد على النعمة و القدرة مردود من وجوه :

أحدها : أَنَّ الْأَصْلَ الْحَقِيقَةُ فَدَعْوَى الْمَجَازِ مُخَالَفَةٌ لِلْأَصْلِ .

الثَّانِي : أَنَّ ذَلِكَ خِلَافُ الظَّاهِرِ فَقَدِ اتَّفَقَ الْأَصْلُ وَالظَّاهِرُ عَلَى بُطْلَانِ هَذِهِ الدَّعْوَى.

الثَّالث: أَنَّ مُدَّعِيَ الْمَجَازِ الْمُعَيَّنِ يَلْزَمُهُ أُمُورٌ: أَحَدُهَا: إِقَامَةُ الدَّلِيلِ الصَّارِفِ عَنِ الْحَقِيقَةِ، إِذْ مُدَّعِيهَا مَعَهُ الْأَصْلُ وَالظَّاهِرُ وَمُخَالِفُهَا مُخَالِفٌ لَهُمَا جَمِيعًا، ثَانِيهَا: بَيَانُ احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمَجَازِ لُغَةً وَإِلَّا كَانَ مُنْشِئًا مِنْ عِنْدِهِ وَضْعًا جَدِيدًا، ثَالِثُهَا: احْتِمَالُ ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي هَذَا السِّيَاقِ الْمُعَيَّنِ، فَلَيْسَ كُلُّ مَا احْتَمَلَهُ اللَّفْظُ مِنْ حَيْثُ -ص 35- الْجُمْلَةُ يَحْتَمِلُهُ هَذَا السِّيَاقُ الْخَاصُّ. ورَابِعُهَا: بَيَانُ الْقَرَائِنِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَجَازِ.

الرابع: أَنَّ اطِّرَادَ لَفْظِهَا فِي مَوَارِدِ الِاسْتِعْمَالِ وَتَنَوُّعَ ([114]) ذَلِكَ وَتَصْرِيفَ اسْتِعْمَالِهِ يَمْنَعُ الْمَجَازَ،

[113] - صحيح . "السلسلة الصحيحة" 2 / 36

[114] - سقطت (وتنوع) من النسختين معا ، و التصويب من مختصر الصواعق .



أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: { خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } [ص: 75] وَقَوْلِهِ: { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} [المائدة: 64] وَقَوْلِهِ: { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر: 67] فَلَوْ كَانَ مَجَازًا فِي الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ لَمْ يُسْتَعْمَلْ مِنْهُ لَفْظُ يَمِينٍ، وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: « الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ». فَلَا يُقَالُ هَذَا يَدُ النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ، وَقَوْلِهِ: « يَقْبِضُ اللَّهُ سَمَاوَاتِهِ بِيَدِهِ وَالْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ »، فَهُنَا هَزٌّ وَقَبْضٌ وَذِكْرُ يَدَيْنِ.

الخامس: اقْتِرَانَ لَفْظِ الطَّيِّ وَالْقَبْضِ وَالْإِمْسَاكِ بِالْيَدِ يَصِيرُ الْمَجْمُوعُ حَقِيقَةً، هَذَا فِي الْفِعْلِ، وَهَذَا فِي الصِّفَةِ، بِخِلَافِ الْيَدِ الْمَجَازِيَّةِ، فَإِنَّهَا إِذَا أُرِيدَتْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْيَدِ حَقِيقَةً، بَلْ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَجَازِ كَقَوْلِهِ: " لَهُ عِنْدِي يَدٌ، وَأَنَا تحت يَدِهُمْ " وَنَحْو ذَلِكَ، وَأَمَّا إِذَا قِيلَ: قَبَضَ بِيَدِهِ وَأَمْسَكَ بِيَدِهِ أَوْ قَبَضَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ كَذَا وَبِالْأُخْرَى كَذَا، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ كَتَبَ كَذَا وَعَمِلَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِيَدَيْهِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا أُتِيَ هَؤُلَاءِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُمْ رَأَوُا الْيَدَ تُطْلَقُ عَلَى النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ، فَظَنُّوا أَنَّ كُلَّ تَرْكِيبٍ وَسِيَاقٍ صَالِحٌ لِذَلِكَ، فَوَهِمُوا وَأَوْهَمُوا، فَهَبْ أَنَّ هَذَا يَصْلُحُ فِي قَوْلِهِ: « لَوْلَا يَدٌ لَكَ لَمْ أَجْزِكَ بِهَا »، أَفَيَصْلُحُ فِي قَوْلِهِ: { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ } [العنكبوت: 48] وَفِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُبَاشِرْ بِيَدِهِ أَوْ لَمْ يَخْلُقْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثًا: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ، أَفَيَصِحُّ فِي عَقْلٍ أَوْ نَقْلٍ أَوْ فِطْرَةٍ أَنْ يُقَالَ: لَمْ يَخْلُقْ بِقُدْرَتِهِ أَوْ بِنِعْمَتِهِ إِلَّا ثَلَاثًا.

السادس: أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَجَازِ لَا يُسْتَعْمَلُ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُفْرَدًا أَوْ مَجْمُوعًا.[115]

السادس: أَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْقُدْرَةُ، فَإِنَّهُ يُبْطِلُ فَائِدَةَ تَخْصِيصِ آدَمَ، فَإِنَّهُ وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى إِبْلِيسُ مَخْلُوقٌ بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَأَيُّ مَزِيَّةٍ لِآدَمَ عَلَى إِبْلِيسَ فِي قَوْلِهِ: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: 75] إلى غير ذلك من الوجوه التي ذكرها صاحب الصواعق و زاد ما نصه : (وَرَدَ لَفْظُ الْيَدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ مَوْضِعٍ وُرُودًا مُتَنَوِّعًا مُتَصَرَّفًا فِيهِ مَقْرُونًا بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا يَدٌ حَقِيقَةً مِنَ الْإِمْسَاكِ وَالطَّيِّ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالْمُصَافَحَةِ وَالْحَثَيَاتِ وَالنَّضْحِ بِالْيَدِ، وَالْخَلْقِ بِالْيَدَيْنِ وَالْمُبَاشَرَةِ بِهِمَا وَكَتْبِ التَّوْرَاةِ بِيَدِهِ وَغَرْسِ جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ وَتَخْمِيرِ طِينَةِ آدَمَ بِيَدِهِ وَوُقُوفِ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَوْنِ الْمُقْسِطِينَ عَنْ يَمِينِهِ، وَقِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِهِ، وَتَخْيِيرِ آدَمَ بَيْنَ مَا فِي يَدَيْهِ، فَقَالَ:« اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي »، وَأَخْذِ الصَّدَقَةِ بِيَمِينِهِ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا، وَكِتَابِهِ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ، وَأَنَّهُ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ، فَقَالَ اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، وَأَنَّ يَمِينَهُ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقِسْطُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ، وَأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ يَطْوِي السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى، وَأَنَّهُ خَطَّ الْأَلْوَاحَ الَّتِي كَتَبَهَا لِمُوسَى بِيَدِهِ.

وَذَكَرَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ « أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبِّ قَدْ أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَيَلْبَسُونَ، فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ –

---

115 – في النسختين معا : (مجردا) و التصويب من مختصر الصواعق .



ص 36 – كَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ، فَأَعَادُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ، فَأَعَادُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَالَ: " وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ ذُرِّيَّةَ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ كُنْ فَكَانَ» " وَرَوَاهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا. وَقَوْلُهُ: « الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ، فَيَدُ اللهِ الْعُلْيَا وَيَدُ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى »).[116]

قوله : (هو مذهب الخلف).

صوابه: هو مذهب الجهمية والمعتزلة و المعطلة و خلف الأشعرية، إذ خلفُ أهل السنة و السلف لا يرضون بهذا حيث كانوا و منذ كانوا. و كأنّ الرجلَ لم يعرف وقتَ مجيءِ محمّد بن تومرت المهدي بمذهب الجهمية إلى المغرب و قتالهم عليه ، في أوائل القرن السادس. و الأمةُ المغربية أهلُ العَدْوَتين على مذهب السلف، و لم يزل المحققون منهم بعد مُلك الموحّدين و التأويليةِ على مذهب السلف إلى الآن . هذا في المغرب، و أما في المشرق فحدِّث عن أهل هذا المذهب و لا حرج من أهل الحديث و الحنابلة و غيرهم. و قد قدّمنا ما كتبناه في شأن السلطان سيدي محمد بن عبد الله و علماء حضرته من التمسك بمذهب السلف، و ما ذكره أهل التاريخ. فأين حكمه على الخلف بأنه مذهبهم ؟

قوله : (و إمام الحرمين .. إلخ).

قد قال به في أول مرة، ثم رجع. و هو دليلٌ على قصور الرجل حيث لم يطلع حتى على ما في" فتح الباري "، و قد قال ابن حجر في باب " و كان عرشه على الماء " بعد كلام في المسألة ما نصه : (قَالَ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي الرِّسَالَةِ النِّظَامِيَّةِ : اِخْتَلَفَتْ مَسَالِكُ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الظَّوَاهِرِ فَرَأَى

[116] – مختصر الصواعق ص 405 – 406



بَعْضهمْ تَأْوِيلهَا وَالْتَزَمَ ذَلِكَ فِي آيِ الْكِتَاب وَمَا يَصِحّ مِنْ السُّنَن ، وَذَهَبَ أَئِمَّة السَّلَف إِلَى الِانْكِفَاف عَنْ التَّأْوِيل وَإِجْرَاء الظَّوَاهِر عَلَى مَوَارِدهَا وَتَفْوِيض مَعَانِيهَا إِلَى اللهَّ تَعَالَى (117) وَالَّذِي نَرْتَضِيه رَأْيًا وَنَدِين اللهَّ بِهِ عَقِيدَة اِتِّبَاع سَلَفِ الْأُمَّة لِلدَّلِيلِ الْقَاطِع عَلَى أَنَّ إِجْمَاع الْأُمَّة حُجَّة ، فَلَوْ كَانَ تَأْوِيل هَذِهِ الظَّوَاهِر حَتْمًا لَأَوْشَكَ أَنْ يَكُون اِهْتِمَامهمْ بِهِ فَوْق اِهْتِمَامهمْ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَة ، وَإِذَا اِنْصَرَمَ عَصْر الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ عَلَى الْإِضْرَاب عَنْ التَّأْوِيل كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْوَجْه الْمُتَّبَع. اِنْتَهَى).

فأنت ترى إمام الحرمين اختار قول السلف و دان الله به، و حينئذ فأين قول الرجل : (إمام الحرمين)؟ بل هو قول تلميذه الغزالي و تلميذه المعافري .

و قوله : (و جماعة كثيرة من أهل السنة).

السُّنة تنافي هذه المقالة. إذ كيف يُقال لمن لمْ يرْضَ بما في الكتاب و السنة و يرد ما فيها إلى عقل و تأويل رجل كجهم ، أنه (118) من أهل السنة ؟ و لا أدري لِمَ لمْ يذكر هذا الرجل سلف إمام الحرمين في هذا القول ؟ إذا كان يجهله فما للجاهل و الدخول في مذهب من لا يعلم أهله ؟ و إن كان يعلمه فمن هو ؟ فإن قال جهم و المعتزلة فعارٌ كل العار على الرجل العاقل فضلا عن العالم أن يقلد جهما و أتباعه. و يترك ما صح عن رسول الله و صحْبه و أتباعِه ممن كان لا

---

117 – تفويض المعاني ليس من مذهب السلف ، و قد مضى أنهم يعلمون معاني صفات الله تعالى كالاستواء و الرحمة و اليدين و غيرها ، لكن الذي يفوضونه هو كيفية هذه الصفات، و ما داموا لا يعلمون كيفية الذات فكذلك الصفات .

118 – سقطت (أنه) من (ب) .

يؤوِّل، و إن كان غير جهم فقد عاند بدعواه ، و نسب القول لغير قائله، و من ادعى غير ما كان كذّبه النقلُ و الامتحانُ .

و قوله : (و مذهب السلف أسلم ..إلخ).

يقال عليه :

أولا : إن حكمت على السلف فيما تقدم بأنهم لا يعلمون شيئا من ذلك؛ لا تأويلا و لا حملا على صفة، و هو منافٍ لقولكم : (و مذهب الباقين أعلم و أحكم). إذ لا مشاركة بينهم لا في علم و لا إتقان .

و ثانيا : إذا أقررتم بأن مذهب السلف أسلم، فلِمَ لمْ تسلكوا سبيل السلامة، مع أنه إن لم يكن واجبا كان مندوبا ؟ - ص37 -

و ثالثا : إن أقررتم بأن هذا مذهب السلف، فلم اخترتم مذهب الخلف على مذهب السلف؟ مع أنه لم يجئ آخِر هذه الأمة بأهدى مما جاء به أوّلُها و قرونهم قرون الخير. و هم أسوةٌ لغيرهم. [119]

و رابعا : إذا أقررتم بمذهب السلف، و سلّمتم بأنه أسلم ، فلم أوجبتم مذهبكم ؟ بل و منكم من كفّر من اعتقد خلافه .

و خامسا : تفسيركم (أعلم) بأحوج إلى مزيد علم، لا يناسب (أعلم) الذي هو اسم تفضيل المقتضي المشاركة في العلم مع غيره و الزيادة. و إنما يناسبه أن يكون معناه؛ أن أهله أعلم من غيرهم مجازا، إذ لا يوصف المذهب بالعلم.

---

[119] – في (ب) تقديم ما في (ثالثا) على ما في (ثانيا) .



و سادسا: بينما أنتم تنفون علم المتشابه عن السلف إذ أنتم تثبتونه لهم في هذه العبارة.

و سابعا : قولكم (أعلم) يؤخذ منه أن أهل مذهبكم و خلفكم أعلم من السلف.

و ثامنا : يقال لكم؛ لِمَ فسرتم (أعلم) بما لا يناسبه ؟ و (أحكم) بما يناسبه ؟ و لعله لِفْقٌ للتشهي و التحكُّم.

و تاسعا : إذا كان أشد إتقانا في دفع الشبه على العقيدة، لزم منه أن مذهب السلف و الأشعري لم يخلُصا من الشبه يقيناً، حيث لا إحكام و لا إتقان في دفعها من دلائلهما.

و عاشرا : قولكم : (و الأول أي التفويض .. إلخ) .

إن كان هذا هو تفسير (أسلم) ، فما أبعد اللفظ من المعنى ! و إن كان زيادة على السلامية، فيلزمكم أن مذهب التأويل ليس تام اللياقة بالأدب، و كيف لا و قد جعلتموه واجبا.

و قولكم : (المذهب الثالث: حمل تلك المشكلات عن إثبات صفة الله تعالى تليق بجلاله و جماله ، لا نعرف كنهها ، و هو مذهب شيخ أهل السنة الإمام الأشعري ، و قد نظم الشيخ القصّار الأقوال الثلاثة في قوله :

الاستواء و الوجه و العين و يد *** صفات أو فوِّض أو أوِّل ما وَرَد) .

قد قدمنا أنه مذهب السلف بعينه، و يأتيك ما يدل عليه. على أنه يقال لكم: إن سلمتم هذا فلم توجبون مذهبكم، و تعارضون غيركم ؟ و تسمونهم بالمجسِّمة و بالجِهوية ، و هم لا يقولون إلا بما قال الأشعري؟ ها أنتم هؤلاء لا تستقرون على قرار، و لا تتمسكون بمذهب و لا تستحيون من تنافٍ .

و أيضا إذا سلمتم مذهب الأشعري هذا ، و سميتموه شيخ أهل السنة، فلم خالفتم مذهبه ؟

و تمسكتم بمذهب يراه شيخ السنة ضلالا و يتبرأ الله منه، و يأتيك نصه.

و أيضا لِمَ[120] خالفتم عقائدكم المعروفة التي صنفت فيها كتبكم كالمرشد المعين الذي قال فيه مؤلفه : (في عقد الأشعري و فقه مالك) حيث نبذتموه وراء الظهور إلى تأويل الجهمية ؟

و أيضا قد نصّوا على أن المالكية قد أحماهم الله من أن يخرجوا عن السنة في اعتقادهم إلى البدعة فيه، فهم متمسكون بمذهب أبي الحسن الأشعري المحميّ من بدعة المعتزلة و الجهمية و غيرهم. قال الحطاب في شرحه لقول خليل في مذهب مالك ما نصه: (قَالَ السُّبْكِيُّ فِي" مُؤيدِ النِّعَمِ وَمُبِيدِ النِّقَمِ ": وَهَؤُلَاءِ الْحَنَفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ وَفُضَلَاءُ الْحَنَابِلَةِ يَدٌ وَاحِدَةٌ كُلُّهُمْ عَلَى رَأْيِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَدِينُونَ بِطَرِيقَةِ شَيْخِ السُّنَّةِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ لَا يَحِيدُ عَنْهَا إلَّا رَعَاعٌ مِنْ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ لَحِقُوا بِأَهْلِ الِاعْتِزَالِ وَرَعَاعٌ مِنْ الْحَنَابِلَةِ لَحِقُوا بِأَهْلِ التَّجْسِيمِ ، وَبَرَّأَ اللَّهُ الْمَالِكِيَّةَ فَلَمْ يُرَ مَالِكِيٌّ إلَّا أَشْعَرِيَّ الْعَقِيدَةِ).

فيؤخذ من هذا الكلام أن مذهبَ الأشعري هو مذهبُ السلف، و أن المالكية على مذهبهم. و حينئذ و هذه الشرذمة التي تناضل على التأويل ، و تكفّر مرة من خالف مذهبهم، و يزعمون أنهم مالكية، يقال لهم : لا مالكٌ اتبعتم و لا بالأشعري اقتديتم. وهذا ابن السبكي و غيره يشهد عليكم بذلك. إلا أن يقال أن مقصود ابن السبكي بمذهب الأشعري مذهب بعض المتأخرين من الأشعرية القائلين بالتأويل فيكون مخطئا من وجوه ثلاثة :

الأول : نسبةُ – ص38 – هذا المذهبِ إلى السُّنة و إلى أبي الحسن الأشعري خطأٌ إذ هو متبرئٌ منه كما يأتي، و إلى المالكية إذ لم يتفقوا على ذلك، بل سلفهم و محققو خلفهم على خلاف ذلك .

---

[120] – في النسختين معا (لما) و لعل الصواب ما أثبته.



كما أخطأ في نسبة التجسيم إلى بعض الحنابلة ، إن كان قصده بهم ابن تيمية و أصحابه. و ربما كان لهذا الاحتمال الثاني وجهٌ ، يدل عليه ما قاله ابن سلطان في" شرح الشمائل " : قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه ذكر شيئا بديعا و هو أنه ﷺ لما رأى ربه واضعا يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة. قال العراقي : لم نجد لذلك أصلا. قال ابن حجر: بل هذا من قبيح رأيهما و ضلالهما، إذ هو مبنيٌّ على ما ذهبا إليه و أطالا في الاستدلال له، و الحطّ على أهل السنة في نفيهم له، و هو إثبات الجهة والجسمية لله تعالى، و لهما في هذا المقام من القبائح و سوء الاعتقاد ما تُصمّ عنه الآذان و يقضي عليه بالزور و البهتان. و الإمام أحمد و أجلاء مذهبه مبرّؤون من هذه الوصمة القبيحة ، كيف و هي كفر عند كثيرين !

أقول – و يقوله كل مؤمن – : صانهما الله [121] من هذه السِّمة الشنيعة و النِّسبة الفظيعة، و من طالَع شرح منازل السائرين [122] تبين له أنهما كانا من أهل السنة و الجماعة و من أولياء هذه الأمة. و ما ذكره في الشرح المذكور قوله على ما نصه :(وهذا الكلام من شيخ الإسلام -يعني الشيخ عبد الله الأنصاري الحنبلي قدس الله سره- يبين مرتبته من السنة ومقداره في العلم وأنه بريء مما رماه به أعداؤه الجهمية من التشبيه والتمثيل على عادتهم في رمي أهل الحديث والسنة بذلك، كرمي الرافضة لهم بأنهم نواصب، و الناصبة بأنهم روافض، والمعتزلة بأنهم نوابت حشوية ، وذلك ميراث من أعداء رسول الله ﷺ في رميه ورمي أصحابه رضي الله عنهم بأنهم صبأة قد ابتدعوا دينا محدثا . و هذا ميراث لأهل الحديث والسنة من نبيهم وأصحابه

121 – في (ب) : صان الله ابن القيم و شيخه ابن تيمية من هذه السمة الشنيعة.

122 – هو المشهور بمدارج السالكين بين منازل إياك نعبد و إياك نستعين . مطبوع مرارا .



رضوان الله عليهم أجمعين بتلقيب أهل الباطل لهم بالألقاب المذمومة وقدس الله روح الشافعي حيث يقول وقد نُسب إلى الرفض:

إن كان رفضا حبُّ آلِ محمد *** فليشهد الثقلان أني رافضي

ورضي الله عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية حيث يقول:

إن كان نصبا حبُّ صحْب محمد *** فليشهد الثقلان أني ناصبي

وعفا الله عن الثالث حيث يقول:

فإن كان تجسيما ثبوت صفاته *** وتنزيهها عن كل تأويل مفترى

فإني بحمد الله ربي مجسِّم هلمُّوا *** شهودا واملأوا كل مَحْضَر)([123]).

ثم ذكر في الشرح المذكور ما يدل على براءته من التشنيع المسطور؛ و هو أن (حفظ حرمة نصوص الأسماء والصفات بإجراء أخبارها على ظواهرها؛ وهو اعتقاد مفهومها المتبادر إلى أذهان العامة، ولا يعني بالعامة الجهال، بل عامة الأمة كما قال مالك رحمه الله وقد سئل عن قوله تعالى: { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه: 5] كيف استوى؟ فأطرق مالكٌ حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء معلوم والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة. ففرق بين المعنى المعلوم من هذه اللفظة، وبين الكيف الذي لا يعقله البشر. وهذا الجواب من مالك رضي الله عنه شافٍ عامٌّ في جميع مسائل الصفات. فمن سأل عن قوله: { إنني معكما أسمع وأرى} [طه: 46] كيف يسمع ويرى ؟ أجيب بهذا الجواب بعينه، فقيل له : السمع والبصر معلوم والكيف غير معقول.

---

[123] – سقط بيت شيخ الإسلام ابن تيمية من النسختين فأثبته من مدارج السالكين .



وكذلك من سأل عن العلم والحياة والقدرة والإرادة والنزول والغضب والرضا [124] والرحمة والضحك وغير ذلك، فمعانيها كلها مفهومةٌ وأما كيفيّاتها فغيرُ معقولة ، إذ تعقل الكيفية فرع العلم بكيفية الذات وكنهها فإذا كان ذلك غير معقول للبشر فكيف يعقل لهم كيفية الصفات ! -ص39-

والعصمة النافعة في هذا الباب: أنْ يوصفَ الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل تثبت له الأسماء والصفات ، وتنفى عنه مشابهة المخلوقات فيكون إثباتك منزها عن التشبيه ، ونفيك منزها عن التعطيل . فمن نفى حقيقة الاستواء فهو معطل ، ومن شبهه باستواء المخلوق على المخلوق فهو ممثل. ومن قال: استواء ليس كمثله شيء فهو الموحد المنزه) انتهى كلامه و تبين مرامه ، و ظهر أن معتقده موافق لأهل الحق من السلف و جمهور الخلف . فالطعن الشنيع و التقبيحُ غير موجَّه عليه و لا متوجِّه له ، فإن كلامه بعينه مطابق لما قاله الإمام الأعظم و المجتهد الأقدم في فقهه الأكبر ما نصه : (و له تعالى يد و وجه و نفس ، فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر اليد و الوجه و النفس ، فهو له صفات بلا كيف. و لا يقال : إن يده قدرته أو نعمته ، لأن فيه إبطال الصفة، و هو قول أهل القدر و الاعتزال . و لكن يده صفته بلا كيف) انتهى مع زيادة نفيسة في كلامه بعد هذا الاختصار .

و قلنا إن لهذه الاحتمالات وجها، و هو ما ذكرناه لابن حجر ، لأن ابن السبكي ألد خصم من ابن حجر لابن تيمية و أصحابه .

---

124 - سقطت كلمة (والرضا) من النسختين ، فأثبتها من المدارج



و قولكم : (قال الفخر الرازي : إذا وصف الله تعالى بأمر و لم يصح وصفه بمعناه ، أي لكون ظاهره يقتضي جارحة كالرحمة و الوجه و العين و اليد ، أو تجسيما أو جهة كالنزول ، يحمل على غاية ذلك أي لازمه ، فمعنى الرحمة و ظاهرها في حق المخلوق الرحمة و الانعطاف ، و من لازمها إرادة التفضل و الإنعام ، ثم حصول الإنعام في الفعل).

يقال عليه : لا يصف الله نفسه بشيء لا يصح وصفه بمعناه البتة ! إذ ذلك يؤدي إلى الكذب ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

و إنما القوم لما تشارك عندهم الوصف بين الخالق و المخلوق من حيث التسمية و الإطلاق ، ظنوا الاشتراك في المعنى أيضا. مع أنه لا يلزم حتى في اشتراك الأسماء و أوصاف المخلوقين فيما بينهم كما قدمناه. وقدمنا أن هذا التوهم مرفوع بقوله تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى11]. و بما ذكرناه هنا يدفع قوله : (لكون ظاهره يقتضي جارحة ..أو تجسيما).

و أما قوله : (يقتضي الجهة). فسيأتي عن ابن رشد و غيره أن منكر الجهة في جانب الله منكر لوجوده و ذاته و جميع صفاته و شرائعه و أنبيائه و رسله .

قوله : كالرحمة و الوجه و العين و اليد و النزول إلخ.

يتبين بما قلناه فيما تقدم عند ذكره لليد و غيرها، و ربما يسمح الوقت بذكر النزول إن شاء الله تعالى .

و العجب من هذا المؤلف المطلع كيف يستدل بالمنسوخ ، و بالرجوع عنه إلى المرجوع إليه ، و الباطل على الحق . فإما لكونه لم يطلع على الناسخ و المرجوع إليه و الحق ، و من كان هكذا لا

ينبغي له أن يدخل في هذا النزاع ([125]) و إما اطلع و عاند و هو أقبح من الأول .

و ذلك أن هذا الرجل قد نسبه فيما تقدم لإمام الحرمين و ما درى أو ما بين أن إمام الحرمين رجع عن ذلك إلى مذهب الحق و قد تقدم لك نصه.

و هاهنا نسب مذهبه إلى الرازي ، و ما درى أو ما بين أيضا أنه رجع عن ذلك . و إليك نصه في ذلك ، قال الإمام الرازي في كتابه الذي صنفه في الذات : (

نِهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَـــــــــالُ *** وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلاَلُ

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا *** وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَذًى وَوَبَالُ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ دَهْرِنَا *** سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها *** رجال فماتوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن أقرأ في الإثبات– ص40 – : {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه5] ، {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر10] . وأقرأ في النفي: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى11] ، { وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً } [طه 110] .ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي) انتهى من كلام الرازي . فهل بعد هذا البيان بيان !؟ و بعد هذا الرجوع عما نقله عنه صاحب الرسالة رجوع !؟

و قد قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني أنه لم يجد عند الفلاسفة و المتكلمين إلا الحيرة و الندم ، حيث قال :

---

[125] – سقط من (ب) قوله : (إليه و الحق ، و من كان هكذا لا ينبغي له أن يدخل في هذا النزاع)

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا ... وَسَايَرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ ... عَلَى ذَقَنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمِ

و كذلك قال أبو المعالي الجويني :" يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به ".

و قال عند موته : " لَقَدْ خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ وَتَرَكْتُ [126] أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَعُلُومَهُمْ، وَ دخلتُ فِي الَّذِي نَهَوْنِي عَنْهُ، وَالْآنَ إِنْ لَمْ يَتَدَارَكْنِي رَبِّي بِرَحْمَتِهِ فَالْوَيْلُ لِي، وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي أو قال : على عقيدة عجائز نيسابور " انتهى .

و هذا تصريح آخر من إمام الحرمين بالرجوع عما نسبه إليه هذا المطم [127] كما رجع تلميذه الإمام أبو حامد الغزالي ، فقد قالوا إنه انتهى أمره إلى الوقف و الحيرة في المسائل الكلامية ، ثم أعرض عن تلك الطرق و أقبل على أحاديث الرسول ﷺ، فمات و صحيح البخاري على صدره .

و قوله : (ومعنى العلي الذي علا عن أن تدرك الخلق ذاته ، و عن أن يتصوروا صفاته بالكنه و الحقيقة. و معنى الأعلى أنه يعلو عن أن يحيط به وصف واصف أو علم عارف أو يقاس به أي يعتبر بغيره ، قاله الطيبي) .

يقال عليه :

أولا : ما فسر به العلي هو ما فسر به الأعلى في المعنى و كلامه يوهم تغايرهما .

---

[126] – في النسختين معا : و حديث ، و التصويب من مختصر الصواعق.

[127] – كذا في النسختين معا ، و لعل الصواب : المبطل .



ثانيا : إذا كانت صفة العلو ثابتة لله تعالى كالعلي و الأعلى محصورة المعنى في علو المكانة و العلو عن الإحاطة بالذات و الصفات ، و إدراك كنههما .

يقال عليه : ما المخصص لتفسيرهما بهذا دون علو الذات ، و لا مخصص من قِبَل الشارع ؟

فإن قالوا : العقل .

قلنا : إذا لم يخصص عقل الرسول ﷺ و لا أصحابه ، فأنى لعقولكم التخصيص ؟

وعلى تسليمه يلزمكم أن الذات إذا نفي عنه العلو على كل شيء فأين هي؟ إن تسألوا أين هي؟ فإما أن تثبتوا أنها أسفل من كل شيء ، فيكون ما فررتم منه وقعتم في أقبح منه ، و إن أثبتم لها توسطا بين الأعلى و الأسفل كانت حالّةً في العالم أو نفسه ، و هما أقبح مما فررتم منه . و إن نفيتم عنها جميع ذلك كنتم فارين و لاجئين إلى نفي الوجود الخارجي و هو العدم ، و لا وجود لله بزعمكم إلا في الذهن . و هذا المذهب أقبح مذاهب أهل الضلال ، تعالى الله عما يزعمه الضالون علوا كبيرا .

و قوله :(و بالجملة فعجز العقول في الإحاطة بعظيم كبريائه و باهر جماله وعلى جلاله، بل عجزها عن عجائب صنعه في مخلوقاته يكاد يكون معلوما من الدين بالضرورة ، فلا يعرف الله إلا الله .)

ينظر في هذا الكلام بوجهين :

الأول : أكثر هذا الرجل الاستدلال على أن الله لا يُعرف و لا صفاته .

الثاني : و أنه لا يحاط بذاته و لا بصفاته .

الثاني مسلَّمٌ لم ينازعه أحد .



و أما الأول وهو نفي معرفة الله ؛ فإن كان بمعنى معرفة الكنه و الحقيقة ، فيغني عنه ما بعده. وينبغي أن يقيده بهذا. وإن كان بمعنى معرفة الله التي حكم بها الشرع والعقل على المكلف، فنفيُ هذا كفرٌ و العياذ بالله. و هذا الرجل أطلق وما ينبغي الإطلاق المؤدي إلى هذا .

و ما حكاه عمن قال : "إن المعرفة لا تزيد إلا حيرة ، و لو ارتقت إلى الكشف ، لاختلاف صور التجلي ، فأهل الكشف أشد حيرة" .

يقال عليه : يلزم منه أنه لا فرق بين علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين . مع أن نفي الفرق بينهما مكابرة . و قد قال الله تعالى عن خليله : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة 260] فكيف تجمع الحيرة مع الاطمئنان ؟ و أي حيرة تجمع مع قوله ﷺ في رؤية الخلائق ربهم : (لا تمارون في رؤيته كما لا تمارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب ، و الشمس ليس دونها سحاب) .- ص 41 -

و أي حيرة لأهل الجنة أو أهل النار في كونهما فيهما إذا دخلوهما ؟ على أن العلم نفسه لا حيرة معه ، فضلا عن الكشف و ما بعده ، و إلا اتحد العلم و الشك ، و كان الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و غير ذلك ليس من اليقينيات . على أن هذا عندهم عكسوا به ما قالوا من أن أهل الكشف هم الواقفون على حقيقة الأشياء دون أهل العلم بالدليل و البرهان ، و لهذا قال قائلهم : كثر العيان عليّ حتى كأنه *** صار اليقين منه العيان [128] توهما

و قال آخر : و عندي وجود الحق أظهر أن يُرى *** دليلٌ له فالحق ليس بغائب

هذا ما نقله هذا العارف عن ذلك العارف، وإن كان مرادهم غير هذا فليبينوه يُسلَّم أو

---

[128] – سقطت (العيان) من (ب)

يُعارَض .

و قوله : (على تبحره في العلوم بلا تكييف)

يقال عليه: صفة الخلائق كلهم من العلم وغيره لا ينتفي عنها الحصر ولا التكييف و إن بلغوا المرتبة القصوى بذلك. فكيف بأهل زماننا ؟ و لكن اللسان لا يواطئ دائما العلم وما كان .

و قوله : (غير خاف على سيادة سيدنا أن هذا المبتدع الضال يريد إثبات الجهة و يقول : من لم يعتقد أن الله فوق السموات فهو كافر . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، يروم إدراك الحقيقة الإلهية التي عجز عنها أهل المعارف الربانية ، لأن من كان محصورا في جهة تُطلب معرفته و تُدرك ، و قد قال الشيخ زروق ما نصه: ابن عرفة والأقرب تكفير المجسِّم اختار عز الدين عدم تكفيره لعدم فهم العوام برهان نفي الجسمية.اهـ

وقال [النتاء] : سئل عز الدين : هل يكفر معتقد الجهة أم لا ؟ فأجاب بأن الأصح أن معتقدها لا يكفر ، وزاد الشيخ زروق : و قال ابن أبي جمرة : القائل بالجهة لا يكفر إذا لم يقبل عقله غيرها، واستدل له بحديث السوداء ، وفيه نظر .

أسأله سبحانه أن يزيد سيدنا توفيقا و تسديدا و إرشادا و تأييدا ، و أن يصلح بوجوده البلاد و العباد ، و أن يحسم بسببه أهل البدع و الفساد بجاه جده أفضل العباد .اهـ

نسخت في 10 ربيع الأول 1384 هـ / 20-07-1964 م)

يبحث فيه من وجوه :

الأول : أن التكفير الصادر منه إن صدر ليس محصورا عليه ، بل قاله أئمة أهل العلم، و قد تقدم نص بعضهم و تأتيك نصوص الباقين ، فالمضلل له مضلل لهم .



الثاني : إثبات الجهة لا يلزم منه إدراك الكنه و الحقيقة، وما ادعاه من (من كان محصورا في جهة تُطلب معرفته و تُدرك) باطلٌ، لأنه لا يلزم من كون الشيء في جهة أن تُطلب معرفته، و إذا طُلبت فلا يلزم إدراكها. بل الموجودات الحادثات محصورة في جهة قطعا، و منها ما لا تُطلب معرفته لجهلنا به أو لكون الحاجة لم تمس إليه . و ما طُلبت معرفته منها لا إدراك لنا لحقيقته و كنهه ، حتى في أنفسنا و ما أحاط بنا ، فضلا عن البعيد منا ، فضلا عن الموجود القديم سبحانه .

الثالث : يُفهم من هذا الكلام أن من لم يكن في جهة و هو الله كما قالوا لا تُطلب معرفته مع أنها مطلوبة قطعا .

فإن قالوا : طلب المعرفة المنهي عندنا المقيدُ بإدراك الحقيقة . قلنا : لا بيان للقيد في كلامكم ، و لو سلمناه فقد تقدم رده في غير الله تعالى .

الرابع : حكايتكم الخلاف في تكفير المجسِّم لا موضوع له ههنا، إذْ خصمُكم لا يدّعي التجسيم.

الخامس: إذا نقلتم بهذا التخفيف عن المجسم ، يلزمكم التخفيف في جهوي أحرى .

السادس: قولكم في مدعي الجهة: (الأصح أنه لا يكفر)، يقال عليه: إذا نفي عنه الكفر فهو مسلم، وحينئذ ما وجه تضليلكم وتبديعكم، وطلبكم من السلطان أن ينفيه من الأوطان ؟

فإن قلتم : لمعصيته!

قلنا : يلزمكم هذا في جميع المعاصي أو في المتفاحش منها. على أنه يقال: إثبات صفةٍ لله تعالى لا تكون معصية، و إنما تكون واجبة أو مستحيلة. الواصف لله تعالى بصفة مستحيلة يكفر لا

يفسق فقط .

السابع : قوله عن ابن أبي جمرة :(القائل بالجهة لا يكفر إذا لم يقبل عقله غيرها).

يقال عليه:هذا القيد من أين أتى به؟ ومن فرق بينه و بين غيره؟ بل ما هو إلا التحكم.

و قوله : (وفيه نظر).

يقال عليه : في نظره نظرٌ، إذ لا نظر فيما حكم به رسول اللهﷺ، و شهد بالإيمان لمن قال به و اعتقد. على أنه ما المانع لهذا الرجل أن يبين نظره [129] هذا؟

وقد يقال لهذا الرجل وسلفه قولا فصلا في الجسمية و التركيب – ص43– و الجهة منقولا عن أهل العلم مثل ابن القيم و ابن رشد وغيرهما:(لَفْظ الْجِسْمِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ الْوَحْيُ إِثْبَاتًا وَ نَفْيًا ، فَمَنْ أَطْلَقَهُ نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا سُئِلَ عَمَّا أَرَادَ بِهِ، فَإِنْ أراد به الكثيف كالبدن الذي هو ضد اللطيف كالهواء و النار فهو محال عن الله تعالى بِالْجِسْمِ مَعْنَاهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَهُوَ الْبَدَنُ الْكَثِيفُ الَّذِي لَا يُسَمَّى فِي اللُّغَةِ جِسْمٌ سِوَاهُ، و إن أراد بِهِ الْمُرَكَّبَ مِنَ الْمَادَّةِ وَالصُّورَةِ، أو مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُفْرَدَةِ، فَكذلك مَنْفِيٌّ، وَإِنْ أَرَاد به مَا يُوَصَفُ بِالصِّفَاتِ وَيُرَى بِالْأَبْصَارِ وَيَتَكَلَّمُ وَيُكَلِّمُ فَهَذا ثَابِتٌ للهِ تَعَالَى، فَلَا نَنْفِيهَا عَن الرب تعالى لأجل تَسْمِيَتِكُمْ الْخَاطئة لها جسما. كَمَا أَنَّا لَا نَسُبُّ الصَّحَابَةَ لِأَجْلِ تَسْمِيَةِ الرَّوَافِضِ لِمَنْ يُحِبُّهُمْ وَيُوَالِيهِمْ نَوَاصِبَ، وَلَا نَنْفِي قَدَرَ الرَّبِّ وَنُكَذِّبُ بِهِ لِأَجْلِ تَسْمِيَةِ الْقَدَرِيَّةِ لِمَنْ أَثْبَتَهُ جَبْرِيًّا، وَلَا بِرَدِّ [130] مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ عَنِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ لِتَسْمِيَةِ أَعْدَاءِ الْحَدِيثِ لَنَا حَشْوِيَّةً، وَلَا نَجْحَدُ صِفَاتِ خَالِقِنَا وَعُلُوَّهُ عَلَى خَلْقِهِ وَاسْتِوَاءَهُ عَلَى

[129] – في النسختين معا: (أن يبين نظر هذا) . ولعل الصواب ما ذكرت.

[130] – في النسختين معا :(ولازم ما أخبر به الصادق....إلخ). و التصويب من مختصر الصواعق.



عَرْشِهِ لِتَسْمِيَةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ لِمَنْ أَثْبَتَ ذَلِكَ مُجَسِّمًا مُشَبِّهًا. بل نرضى بتلطيخكم هذا لما حصلناه من الحق ولا نبالي به، و رحم الله الشافعي الفاتح لهذا الباب حيث قال:

يَا رَاكِبًا قِفْ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِنًى ... وَاهْتِفْ بِقَاعِدِ جنبها [131] وَالنَّاهِضِ

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي

كما رحم من اقتدى به بقوله :

فَإِنْ كَانَ تَجْسِيمًا ثُبُوتُ اسْتِوَائِهِ ... عَلَى عَرْشِهِ إِنِّي إِذًا لَمُجَسِّمُ

وَإِنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ ... فَمِنْ ذَلِكَ التَّشْبِيهِ لَا أَتَكَتَّمُ

وَإِنْ كَانَ تَنْزِيهًا جُحُودُ اسْتِوَائِهِ ... وَأَوْصَافِهِ أَوْ كَوْنِهِ يَتَكَلَّمُ

فَعَنْ ذَلِكَ التَّنْزِيهِ نَزَّهْتُ رَبَّنَا ... بِتَوْفِيقِهِ وَاللهُ أَعْلَى وَأَعْظَمُ

وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

وَعَيَّرَنِي الْوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا ... وَذَلِكَ ذَنْبٌ لَسْتُ مِنْهُ أَتُوبُ

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يُشَارُ إِلَيْهِ إِشَارَةً حِسِّيَّةً فَقَدْ أَشَارَ أَعْرَفُ الْخَلْقِ بِهِ بِأُصْبُعِهِ رَافِعًا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ بِمَشْهَدِ الْجَمْعِ الْأَعْظَمِ مُسْتَشْهِدًا لَهُ، لَا لِلْقِبْلَةِ، وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يُقَالُ: أَيْنَ هُوَ؟ فَقَدْ سَأَلَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ بِأَيْنَ عن عُلُوِّهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَسَمِعَ السُّؤَالَ بِأَيْنَ، وَأَجَابَ عَنْهُ، وَلَمْ يَقُلْ: هَذَا السُّؤَالُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنِ الْجِسْمِ.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ، وَإِلَى، فَقَدْ نَزَلَ جِبْرِيلُ مِنْ عِنْدِهِ، وَعُرِجَ بِالرسُولِ إِلَيْهِ،

---

[131] – في مختصر الصواعق : خيفها مكان جنبها .



ورفع عيسى إليه، وَ{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } [132].

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يَتَمَيَّزُ مِنْهُ أَمْرٌ عن أَمْرٍ، فَهُوَ سُبْحَانُهُ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، جَمِيعًا، مِنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحَيَاةِ، وَهَذِهِ صِفَاتٌ مُتَمَيِّزَةٌ مُتَغَايِرَةٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهَا صِفَةٌ وَاحِدَةٌ فَهُوَ بِالْمَجَانِينِ أَشْبَهَ مِنْهُ بِالْعُقَلَاءِ، وَقَدْ قَالَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ:« أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ »[133] وَالْمُسْتَعَاذُ بِهِ غَيْرُ الْمُسْتَعَاذِ مِنْهُ – ص44 –.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ ماله وجه ويدان و سمع وبصر ، فنحن نؤمن بوجه ربنا الأعلى و بيديه و سمعه و بصره، و ننزهه عن مشابهة خلقه فيها.

وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْجِسْمِ مَا يَكُونُ فَوْقَ غَيْرِهِ مُسْتَوِيًا عَلَى غَيْرِهِ، فَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ بغير كيف .

فقد أخطأتم في تسميتكم لهذه الوجوه جسما و تعريفكم بها بما يدل على تشبيه تلك التسمية المخطئة و التعريف المنفِّر .

و ما مثلكم في هذا التعريف إلا كمثل من سأل عن العسل فَقِيلَ لَهُ: إنه مَائِعٌ أَصْفَرٌ يُشْبِهُ الْعَذِرَةَ، تَتَقَيَّؤُهُ الزَّنَابِيرُ، فمَنْ لَمْ يَعْرِفه ينفِر عَنْهُ بِهَذَا التَّعْرِيفِ، وَمَنْ عَرَفَهُ وَذَاقَهُ لَمْ يَزِدْهُ هَذَا التَّعْرِيفُ إِلَّا مَحَبَّةً لَهُ وَرَغْبَةً فِيهِ، وَللهِ دَرُّ الْقَائِلِ حيث يقول:

تَقُولُ هَذَا جِنَاءُ النَّحْلِ تَمْدَحُهُ ❊❊❊ وَإِنْ تَشَأْ قُلْتَ ذَا قَيْءُ الزَّنَابِيرِ

مَدْحًا وَذَمًّا وَمَا جَاوَزْتَ وَصْفَهُمَا ❊❊❊ وَالْحَقُّ قَدْ يَعْتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرِ

---

[132] – سورة فاطر ، الآية 10

[133] – مسلم رقم 751 ، باب ما يقال في الركوع و السجود .



وَإِنْ قلتم : لَوْ كَانَ فَوْقَ عَرْشِه لكَانَ مُرَكَّبًا، يقال لكم: ما تعنون بالمركب ؟

فإن قلتم : الذي ركبه غيره، أو رُكب عن أجزاء متفرقة، أو اجتمعت فصارت مركبة، فهذا محال لا يقوله خصمكم و لا غيرهم على الله تعالى .

و إن قلتم علوُّه على عرشه و بينونتُه من خلقه، فهذا المعنى ثابتٌ لله تعالى بالدليل و البرهان.

وَإِنْ قلتم : كَونُه مُرَكَّبًا أَنَّهُ يَتَمَيَّزُ مِنْهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ .

قيل : يلزمكم هذا، حيث وصفتموه بصفات مخالفة كالسمع و البصر .

و إن قلتم : لا نصفه بصفةٍ فرارا من هذا، فقد وقعتم في العدم الذي هو أقبح من كل قبيح؛ إذ العقل و الفطرة و النقل دل على ثبوته، أفتنفونه بمجرّد تسميتِكم له مركّبا تسميةً باطلة.

و التَّرْكِيبُ يُطْلَقُ على تَرْكِيبٍ مِنَ الْوُجُودِ وَالْمَاهِيَّةِ ، فَإِذَا نَفَى هَذَا التَّرْكِيبَ صار وُجُودًا ذهنيا لا خارجيا .

وعلى تَرْكِيبُ الْمَاهِيَّةِ مِنَ الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، فَإِذَا نَفَى هَذَا التَّرْكِيبَ صار ذَاتًا مُجَرَّدَةً من الأوصاف . وعلى الْهُيُولَى وَالصُّورَةِ. و على تركِيب الجَوَاهِرِ الْفَرْدَةِ. وعلى تَرْكِيب أَجْزَاء كَانَتْ مُتَفَرِّقَةً فَاجْتَمَعَتْ وهذا منفي عن الله تعالى .

فالْعَقْلُ لَمَّا دَلَّ عَلَى إِثْبَاتِ إِلَهٍ وَاحِدٍ وَرَبٍّ وَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا شَبِيهَ لَهُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لَمْ يَدُلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الرَّبَّ الْوَاحِدَ لَا اسْمَ لَهُ وَلَا صِفَةَ، وَلَا وَجْهَ، وَلَا يَدَ [134]، وَلَا هُوَ فَوْقَ خَلْقِهِ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَنْزِلُ مِنْهُ شَيْءٌ، فَدَعْوَى ذَلِكَ عَلَى الْعَقْلِ كَذِبٌ صَرِيحٌ عليه

---

134 – في مختصر الصواعق : وَلَا يَدَيْنِ.



كما هي كذب صريح عَلَى الْوَحْيِ).[135]

و الجهة قال فيها ابن رشد [136]: (وَأَمَّا هَذِهِ الصِّفَةُ فَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ الشَّرِيعَةِ يُثْبِتُونَهَا للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَتَّى نَفَتْهَا الْمُعْتَزِلَةُ، ثُمَّ تبعهم [137] عَلَى نَفْيِهَا مُتَأَخِّرُو الْأَشْعَرِيَّةِ كَأَبِي الْمَعَالِي وَمَنِ اقْتَدَى بِقَوْلِهِ، وَظَوَاهِرُ الشَّرْعِ كُلِّهِ تَقْتَضِي إِثْبَاتَ الْجِهَةِ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] وَمِثْلَ قَوْلِهِ: {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [البقرة: 255] وَمِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة: 17] وَمِثْلَ قَوْلِهِ: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} [المعارج: 4] وَمِثْلَ قَوْلِهِ: {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} [الملك: 16] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي إِنْ سُلِّطَ التَّأْوِيلُ عَادَ الشَّرْعُ كُلُّهُ مُتَأَوَّلًا .

وَإِنْ قِيلَ فِيهَا: إِنَّهَا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ عَادَ الشَّرْعُ كُلُّهُ مُتَشَابِهًا؛ لِأَنَّ الشَّرَائِعَ كُلَّهَا مُبَيِّنَةٌ أَنَّ اللهَّ فِي السَّمَاءِ [138]، وأنّ مِنْهُ تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةُ بِالْوَحْيِ إِلَى النَّبِيِّينَ [139]، وَأَنَّ مِنَ السَّمَاءِ نَزَلَتِ الْكُتُبُ، وَإِلَيْهَا كَانَ الْإِسْرَاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ – ص 45 – حَتَّى قَرُبَ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. وَجَمِيعُ الْحُكَمَاءِ قَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّمَاءِ كَمَا اتَّفَقَتْ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ عَلَى ذَلِكَ).

ثم استرسل – أي ابن رشد [140]– في الاستدلال بعلم الفلاسفة على أن ما فوق العرش لا

---

[135] – إلى هنا النقل من مختصر الصواعق بتصرف لا بأس به .

[136] – فِي كِتَابِهِ "مناهج الأدلة في الرد على الأصوليين" .

[137] – في مختصر الصواعق : اتَّبَعَهُمْ

[138] – في الأصل:" لِأَنَّ الشَّرَائِعَ كُلَّهَا مبنية على أَنَّ اللهَّ فِي السَّمَاءِ ". والتصويب من مختصر الصواعق.

[139] – في مختصر الصواعق : وَمِنْهُ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى النَّبِيِّينَ بِالْوَحْيِ .

[140] – زيادة من (ب)

يسمى مكانا و لا بالجهة المكانية، و إنما هو جهة اعتبارية، كما قدمناه عنه .

وقد قال الأذرعي [141] في شرح الطحاوية فيما يرى :(وَأَمَّا لَفْظُ الْجِهَةِ، فَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مَا هُوَ مَعْدُومٌ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا مَوْجُودَ إِلَّا الْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ، فَإِذَا أُرِيدَ بِالْجِهَةِ أَمْرٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى كَانَ مَخْلُوقًا، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَحْصُرُهُ شَيْءٌ، وَلَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ. وَإِنْ أُرِيدَ بِالْجِهَةِ أَمْرٌ عَدَمِيٌّ، وَهُوَ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ. فَإِذَا قِيلَ: "إِنَّهُ فِي جِهَةٍ" بِهَذَا الِاعْتِبَارِ، فَهُوَ صَحِيحٌ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ فَوْقَ الْعَالَمِ حَيْثُ انْتَهَتِ الْمَخْلُوقَاتُ فَهُوَ فَوْقَ الْجَمِيعِ، عَالٍ عَلَيْهِ.

وَنُفَاةُ لَفْظِ الْجِهَةِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ بِذَلِكَ نَفْيَ الْعُلُوِّ، يَذْكُرُونَ مِنْ أَدِلَّتِهِمْ: أَنَّ الْجِهَاتِ كُلَّهَا مَخْلُوقَةٌ، وَأَنَّهُ كَانَ قَبْلَ الْجِهَاتِ، وَأَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي جِهَةٍ يَلْزَمُهُ الْقَوْلُ بِقِدَمِ شَيْءٍ مِنَ الْعَالَمِ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ مُسْتَغْنِيًا عَنِ الْجِهَةِ ثُمَّ صَارَ فِيهَا. وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ وَنَحْوُهَا إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ، سَوَاءٌ سُمِّيَ جِهَةً أَوْ لَمْ يُسَمَّ، وَهَذَا حَقٌّ. وَلَكِنَّ الْجِهَةَ لَيْسَتْ أَمْرًا وُجُودِيًّا، بَلْ أمرًا اعتباريًّا [142]، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْجِهَاتِ لَا نِهَايَةَ لَهَا، وَمَا لَا يُوجَدُ فِيمَا [143] لَا نِهَايَةَ لَهُ فَلَيْسَ بِمَوْجُودٍ .) [144] .

و قال أيضا – ما معناه – في قولهم :" علو مكانةٍ لا مكان " : لا يكون الشيء علو المكانة في

---

[141] – هو صدر الدين علي بن محمد بن أبي العز الأذرعي الدمشقي الحنفي المتوفى سنة 774

[142] – قال أحمد شاكر محقق شرح الطحاوية : (في المطبوعة «بل أمرًا اعتباريًّا»، وهو لحن) فأثبتها بالرفع .

قلت : لا يظهر لي هذا اللحن ، إذ (بل) حرف عطف ، فحقّ ما جاء بعده النصب لا الرفع .

[143] – قال أحمد شاكر: في المطبوعة «فيها» بدل «فيما» وهو خطأ، يفسد به المعنى ويضطرب.

[144] – ص 193 طبعة مكتبة الرياض تحقيق أحمد شاكر.



القلوب و الأذهان حتى يكون ذلك مطابقا لما في نفس الأمر و الخارج من علو الذات و الجهات الاعتبارية .

وقد ذكر ابن القيم و غيره كلاما في غاية الإتقان في إثبات هذه الجهة، ما تركنا كتْبه هنا إلا للتطويل .

و بعد هذا نذكر كلاما للشيخ ميارة نقله في المرشد المعين عن بعضهم معترضين عليكم ، فنقول :

و ما ذكره ميارة من جواب ابن جلال لمن سأله من قول بعض الشيوخ :" إن الله لا داخل العالم و لا خارجه "، وقول بعضهم :" إنه سؤال معضَل"، و قول آخر :" فيه رفعٌ للنقيضين "، وقول آخر :" إنه الكل القائم به كل شيء " : بأنه يعتقد و يجزم بأنه لا داخل العالم و لا خارجه ، للدلائل الدالة [145] على ذلك كتابا و سنة و إجماعا و عقلا .. إلى أن قال: أما الكتاب فقوله تعالى: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الشورى:11] فلو كان في العالم أو خارجا عنه [146] لكان مماثلا، وبيانُ الملازمة واضحٌ.

أما الأول: فلأنه إن كان فيه صار من جنسه ، فيجب له ما وجب له.

و أما الثاني: فلأنه إن كان خارجا لزم إما اتصاله و إما انفصاله. وانفصاله إما بمسافة متناهية أو غير متناهية ، و ذلك كله يؤدي لافتقاره إلى مخصص.

145 – في (ب) : " الداخلة " و هو خطأ .

146 – في (ب) : خارج العالم

و أما السنة: فقوله ﷺ:« كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه ».[147]

و أما الإجماع : فقد أجمع أهل الحق قاطبة على أن الله تعالى لا جهة له؛ فلا فوق و لا تحت و لا يمين و لا شمال و لا أمام و لا خلف.

و أما العقل: فقد اتضح لك اتضاحاً كليا ممّا مرّ في بيان الملازمة في قوله تعالى:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى:11].

و الاعتراض بأنه رفع للنقيضين ساقطٌ، لأن التناقض إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد النقيضين و يتواردان عليه . و أما حيث لا يصح تواردهما على المحل بأحد النقيضين فيه – ص: 46– لعدم قبوله لهما على البدلية. و كما يقال في الباري أيضا لا فوق و لا تحت، وقِس على ذلك...إلى آخر ما اعترض به على ابن مقلاش [148] حيث قال:" السؤال معضل " بأنه لا يلتفت إليه لعدم إتقانه طريق المتكلمين إذ كثيرٌ من الفقهاء ليس له خبرة به فضلا عن إتقانه .) انتهى ببعض التصرف. [149]

---

[147] – رواه البخاري 3192–7418 من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، وقد روي :" قبله " و روي : " غيره " . كلها رواها البخاري ، ورجح ابن تيمية رواية : " قبله " عند شرحه لهذا الحديث. أما زيادة:" و هو الآن على ما كان عليه " فلا تصح و ليست في شيء من الروايات. قال ابن تيمية :(زاد فيه – أي في الحديث – بعض الناس :" و هو الآن على ما كان عليه " و هذه الزيادة إنما زادها بعض الناس من عنده ، وليست في شيء من الروايات ...) [رسالة شرح حديث عمران بن حصين مستلة من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 19] و قد ذكر المصنف نفسه عدم صحة هذه الزيادة كما سيأتي قريبا .

[148] في (ب) : ابن مقلاس، و هو خطأ .

[149] – انظر: الدر الثمين و المورد المعين شرح المرشد المعين لمحمد بن أحمد ميارة ، ص 45 – 46 طبعة دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء .



يقال عليه : ينظر في هذا الكلام من وجوه :

الأول : ابن جلال هذا الذي لقبه بالإمام – و إن كان الحق لا يعرف بالرجال – من هو؟ و لمن هو إمام؟ [150] ولو كانت لاشتهرت إلى أن يعرفه الخاص إن لم يعرفه العام. و على تسليمه فلله دره من إمام برهن بهذا الكلام على إمامته، وبيّن به غفلة ناقله و سلَمه و ملقبه بها.

و الثاني : استدلاله الأول بـ:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى:11]، وتفصيله لوجه الدلالة بأنه إن كان في العالم لوجب له ما وجب له صحيحٌ، وعليه فليس بداخل العالم. و إن كان خارج العالم ..إلى آخر ما ألزم عليه من الافتقار إلى مخصص يقال عليه:

أولا : الانفصال بمسافة [151] ما، لا محلّ لذكره، لأنه لا مسافة إلا في السطوح و الأجسام، وهي خاصة بالعالم كما تقدم عند الفلاسفة و الفقهاء. على أن كون المسافة غير متناهية يلزم عليه نفي المنفصل فيبطل الإلزام. و إن كان الاعتبارية فيقال عليه: لِمَ لمْ يجوز الجهة الاعتبارية ، ويكفي نفسه كلفة هذا الفكر كما جوزها الناس؟

و ثانيا : الاتصال و الانفصال المعروفان لتأوله من صفة الأجسام ، الله ليس بجسم و لا فوق العرش جسم حسبما برهن عليه ابن رشد وغيره كما تقدم .

وثالثا : الاتصال و الانفصال لا يلزم منهما الافتقار إلى متصل به أو منفصل، إذ قد يكون و قد لا يكون في الأجساد نفسها ؛ فالسماء منفصلة عن الأرض من غير افتقار إليها. و الشمسُ و الروحُ متصلان بالأرض و الأجساد من غير لزوم أو افتقار إليها. فكيف بمن جميعُ الكائنات

---

[150] – قال ميارة : " الإمام العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن جلال " ، و لا أدري من يكون ؟

[151] – في (ب): انفصال بمسافة ما...إلخ



مفتقرةٌ إليه دون أن يفتقر إليها؟ و كيف لا وهي كما جاء في الصحيح عن رسول اللهﷺ:« من قبضته و قدرته و إحاطته و عظمته كخردلة في يد أحدنا ».([152])

و رابعا : إذا التزم من ذلك افتقاره إلى المخصص بسبب وجوده خارجا عن العالم، لزمكم افتقاره إليه بسبب وجوده مطلقا؛ إذ الصفة واحدةٌ و هي الوجود الصادق بالخارج الذي نفيتموه، و بالذهن الذي تثبتونه ، وحينئذ لا يبقى لكم أحدٌ ذهنيا و لا خارجيا . و نسأل الله العافية من هذه الأفكار الخاوية.

و خامسا : كل ما لزم على دعوى الخروج من العالم ، أخف مما لزم على دعواكم من العدم .

و سادسا : لِمَ لمْ يسَع هذا الرجل ما وسع السلف من الإقرار و الإيمان برب خارج عن العالم ، فوق عرشه ، مجهول الاتصال و الانفصال، و غيرهما من الكيف؟

و سابعا : هذا الرجل مالكي و من قلده ، فكيف لم يرضوا باعتقاد مالك و أتباع مذهبه في التوحيد، حيث قال:« الاستواء معلومٌ ، والكيف مجهولٌ »([153])، و تعرضوا لتبديعه و سخطه حيث حكم به على السائل الذي سأل عن ذلك، و رضوا بتقليده في الفروع، فكان عندهم إماما فيها وليس إماما في الأصول! بل حكموا عليه بما لا ينبغي أن يذكر إلا ببيان فساده.

قوله : (و أما السنة ...إلخ) .

يقال عليه : أوردها سعد و سعد مشتمل *** ما هكذا يا سعد تورد الإبل

---

[152] – ورد هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ : "ما السماوات السبع ومن فيهن في يد الرحمن ؛ إلا كخردلة في يد أحدكم ". انظر :[مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج 4 ص 117 جمع رشيد رضا]

[153] تقدم ذكر صحة نسبته للإمام مالك رحمه الله .



و ذلك أن الحديثَ الذي نسبه إلى رسول الله ﷺ مستدِلا به على ما زعم من كون الباري لا خارج العالم و لا داخله. يقال عليه :

أولا : هذا الحديث إنْ جهِل المستدِلُّ به أن آخره :" و هو الآن على ما كان عليه " لم يثبت عن رسول الله ﷺ، فما بال الجاهلِ بثبوت الشيء يستدل به على مراده !؟ و إن علم عدم الثبوت فما له يتعمد الكذب على رسول الله ﷺ؟ و قد قال الله في الأول: { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } [الإسراء : 36]، وقال رسول الله ﷺ في الثاني :« مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»([154])-ص 47 -.

وهذه الجملة نصَّ الحُفاظ على أنه لا وجودَ لها في كتب الحديث مسندةً إلى رسول الله ﷺ، و ممن نبّه على ذلك الحافظُ ابنُ حجر في كتاب إبداء الخلق.

و ثانيا : الاستدلال بأوله الصحيح على أن الله واحدٌ في الأزل لا معه شيء من مخلوقاته صحيح، ولكن لا دليل فيه على ما زعم، بل هو دليل عليه؛ إذ فيه إثباتُ وجود الله خارجا عن العالم.

و ثالثا : الاستدلال بآخره على ما زعم فاسدٌ من وجهين :

الأول : أنه حجةٌ عليه إذ فيه ثبوتُ الوجودِ خارجا أيضا .

الثاني : فيه مكابرةُ الحِس و إنكارُ الضروريات التي تؤدي بصاحبها إلى إنكار الأديان و غير ذلك؛ لأنه إذا كان الآن على ما عليه كان، كان العالم معدوما لا شيء، لأنه الذي كان عليه قبل. و إن قال: مرادي أنه كان و لا عرش، و هو الآن كائن لا على العرش. قيل له: هذا لا

---

[154] – أخرجه البخاري و مسلم وغيرهما.



يحتمله اللفظ، إذ لا شيء أعمّ من لا عرش. و أيضا أنت تستدل على أنه ليس فوق عرشه خاصةً، بل بصدد الاستدلال على نفيه داخل العالم و خارجه كان عرشا أو لا عرشٍ، و هذا ينافي دعواك. على أنه لو سلّمناها لم يدلّ على أنه فوق عرشه بعد خلقه له، لورود النصوص القاطعة بذلك، و لا منافاة بين أن يكون قبل لا فوقه و بعده فوقه، إذ لا لزوم في ذلك و لا افتقار. و لا ينافي ما صح من الحديث و هو: « كان الله و لا شيء معه » و في رواية:« و لا شيء قبله » و في أخرى:« و لا شيء غيره ». و ما ثبت جوابا من رسول الله ﷺ للسائل[155]:« أين كان ربنا قبل أن يخلق العرش ؟ ». إذ قال:« كان في عمى ما تحته هواء و ما فوقه هواء »، لأنه إن فسر العمى بأنه كنايةٌ عن العدم، إذ العدمُ لا يتعلق به البصر، إنما يتعلق به ضده، و كانت (ما) نافية في قوله:« ما تحته و ما فوقه »[156]، كان معناه: لا شيء أيضا مع الله. و إن فسر العمى بالسحاب، و (ما) بأنها موصولة كان الحديث الأول محمولا على الأزل، و الثاني على ما لا يزال جمعا بين الأدلة.

الرابع : قوله:(و أما الإجماع ...إلى آخر ما قال فيه) ينظر فيه بوجوه :

الأول : دعواه إجماع أهل الحق قاطبة؛ إن كانت لجهله أنه لا إجماع لزم عليه ما تقدم من قفْو

---

[155] – رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد عن أبي رزين العقيلي، قال الترمذي: وهذا حديث حسن. وكثير من المحدثين يرويه بلفظ:" عماء "، ورجحها الخطابي .

قال ابن القيم في " اجتماع الجيوش الإسلامية ":(من رواه بالمد فمعناه عنده كان في عماء سحاب ما تحته وما فوقه هواء، والهاء راجعة على العماء، ومن رواه بالقصر فمعناه عنده كان في عمى عن خلقه، لأنه من عمي عن شيء فقد أظلم عنه) .

[156] في (ب) : (ما تحته و ما تحته) ، وهو خطأ .

الشخص ما ليس له به علم، و إن كان مع علم عدمه فتعمُّدٌ للكذب و معلوم ما في الكذب.

و ذلك أن أهل الحق الذين هم أحق بالحق اتصافا ونسبةً وهم السلف الصالح كلهم يتبرأون من هذه الدعوى، و يجهّلون قائلها، بل صرح بعضهم بتكفير قائلها.

و أهلُ الحق من الحق كالسلف كما قلناه، و قد تقدمت نصوص البعض منهم، و تأتيك نصوصٌ باقية عنهم.

نعم؛ إن أراد بأهل الحق جهمَ بن صفوان و المعتزلةَ و من استولت عليه فكرتُهم من متأخري الأشعرية و غيرهم فمُسلَّمٌ له. و لكن أين هم و أين الحق؟ و أين هم و أين الإجماع؟

الثاني: قوله :(لا جهة له). إن أراد الجهة العالمية فمسلَّمٌ له ، و إن أراد الاعتبارية فقد تقدم ما فيه، وتقدمت نصوص العلماء على خلافه.

الثالث: نفيُ الجهة بنفي رؤية الله في القيامة و في الجنة، وقد نفاها سلف هؤلاء دفْعا للحجة على مذهبهم. فينبغي لهؤلاء المذبذبين أن ينفوها لتتم لهم الحجة، ولكننا رأيناهم يعتقدونها!

وقد قال قائلهم: إنه سبحانه يُرى من كل جهة، و حينئذ يقال: فررت من إثبات جهة واحدة فأثبت له جهات!

الخامس: قوله:(و أما العقل فقد اتّضح لك ...إلخ).

يقال عليه: لا يخفى على عاقل أنه لا اتّضاحَ في ذلك قبل التكلُّم عليه، فكيف به بعد بيان ما انطوى عليه من الجهل و الفساد، فهو مشكل لا متضِح و قائله مفتضَح ! -ص: 48-

السادس : قوله : (الاعتراضُ بأنه رفعٌ للنقيضين ساقط ...إلخ) .

يقال عليه: ما جعله علة سقوط هذا الاعتراض معارَضٌ بأبحاث :

الأول: قوله : (إنما يعتبر حيث يتصف المحل بأحد النقيضين ...إلخ) .

يقال عليه : المحل هنا يتصف بأحد النقيضين؛ وهو الخروجُ عن العالم، و دعوى نفيِ الخروج عنه لا ينبني عليها ما قال إلا حيث تُسلَّم، و إلا لم تكن حجةً على الخصم.

الثاني : تواردُهما على المحلّ لا يُشترط عند أهل الفن؛ بدليل أن من نفى عن الجبل الحركة و السكون يسمى تناقضا، و هما لا يتواردان عليه إلا باعتبار الإمكان، و كذا يقال في الفلك و كل دائم الحركة و السكون، و كما يصح فيما يتواردان عليه بالفعل الأجسام [157] المتحركة مرة، الساكنة أخرى. على أن توارد [158] الدخول و الخروج و قبولهما للذات العالية مع نفي الكيف و العلم بالكنه، قد جاءت به الدلائل الصريحة كتابا و سنة، كآية المجيء يوم القيامة، و أحاديث النزول إلى السماء الدنيا، المؤول لها خوف الوقوع في التشبيه، فوقع في ورطتين هما أعظم مما خاف؛ تعطيل صفات الله، و نسبته إلى العجز و السكون. فما فر منه وقع في أفظع منه. و المُنجي من ذا تسليمُ صفات الله له من غير تشبيه و لا تكييف.[159]

الثالث: قد اتفق الحكماءُ على أنه لابد لكل موجودٍ من ماهيةٍ في الخارج، و إلا كان ذهنيا فقطّ، و هو صادقٌ على المعدوم مقدارا وصفةً وكيفا وإضافةً وزمانا ومكانا وملكا وفعلا و انفعالا.

نعم؛ يُفصَّل بين الموجود القديم و الحادث؛ فالقديم لا يحتوي عليه زمان و لا مكان، لأن

---

[157] في (ب) : بفعل الأجسام .

[158] في (ب) : تواردهما .

[159] سقطت من (ب) : " و المنجي من ذا تسليم صفات الله له من غير تشبيه و لا تكييف" .

الزمان بدورة الفلك، و المكان ما احتوى عليه الفلك، و القديم منزه عنهما و فوقهما، و كذا الانفعال. و ما سوى هذه الثلاثة مشتركٌ فيها القديم و الحادث، غير أن القديم يُعلم أنه يصدُق عليه ذلك على سبيل الجملة، و يُجهل ذلك على سبيل الكنه و الحقيقة. و لذلك جاء عن السلف أنهم قالوا:« و الكيف مجهول » ولم يقولوا: معدوم. كما يشتركان في الجهة ، غير أن القديم بالجهة الاعتبارية ، و الحادث بالعالَمِية. و من جرّد الذات العالية عن هذا فقد نفى وجودها. بل أقولُ المقولات العشر التي هي الذات و النّسب التي جُمعت في قول بعضهم :

زيد الطويل الأزرق ابن مالك *** في بيته بالأمس كان متكئ

بيده سيـــف لواه فالتـوى *** فهذه عشر مقولات حوى

يصح أن تنسب إلى الموجود القديم على حسب ما يليق بالكل. فكما أن الحادث يكون ذاتا تتعلق بها هذه النِّسب من المقدار كالطول و القصر، و الصفة كالأزرق و الأبيض، و الإضافة كابن مالك، و المكان ككونها في بيت، و الزمان ككونها في زمان، و الكيف كالاتكاء و التربع، و الملك كملكه بيده أو غيره بغيرها، و الفعل كلَيِّ السيف و الضرب، و الانفعال كمطاوعة الملويّ للاوي، و المدحرَج للمدحرِج، فهذا يقال في حق القديم سبحانه؛ أنه ذات. و في المقدار أنه محيط بكل شيء ذاتا و علما بغير كيف. و في الصفة أنه موصوف بالصفات. و في الإضافة أنه رب العالمين و أرحم الراحمين. و في المكان أنه فوق عرشه، و إن كان هذا جهة اعتبارية لا مكانا في الحقيقة، كما أن الزمان الخاص بالحوادث و ما كان له أول و آخر، و ما لا أول له و لا آخر يوصف به الله تعالى؛ إذ ممنوع الكون فيه و الاتصاف به في حقه تعالى:{ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الحديد : 3]. كما أن لذاته كيفا لكن

مجهول للخلائق، و لهذا قال السلف:« و الكيف مجهول » و لم يقولوا: معدومٌ.

كما أن الأشياء كلها ملك لله تعالى بيده، و كذلك الأفعال فهو فاعلها و خالقٌ لها، و كذلك مطاوعة السائل بالإجابة، و المستغيث بالإغاثة، و التائب بالقبول. و هكذا فافهم.- ص49-

الرابع : قوله [160]:(لا داخل العالم) نقيضُه: داخل، و داخلُ مساوٍ للإخراج، و هو تناقضٌ؛ إذ التناقضُ مركَّبٌ من نفي الشيء و نقيضِه أو المساوي لنقيضه خلافا لما يُوهِمُه [161] كلامُ هذا الرجل و تبِعَه أبو حفصٍ الفاسي، حيث قال و هو يستدل على أن الله لا خارج العالم و لا داخله:" لا تناقض بين داخل و خارج، و إنما التناقض بين داخل و لا داخل، و ليس خارجا مساويا للا داخل، و إنما هو أخصّ منه، فلا يلزم من نفيه نفيُه، لأن نفي الأخصّ أعمّ من نفي الأعمّ، و الأعمُّ لا يستلزم الأخصَّ. فإن قيل: بم ينفرد هذا الأعمُّ الذي هو داخل، عن الأخص الذي هو خارج؟

قلنا : ينفرد في موجودٍ لا يقبل الدخولَ و لا الخروج، و الاتصالَ و الانفصال. و هذا يحمله العقل و لكن يقصُر عنه الوهم، و قصور الوهم منشؤُ الشبهة و مثارُ دعوى الاستحالة.

و قال الإمام أبو حامد الغزالي في كتاب الاقتصاد ما نصه: و ذلك بمثابة قول القائل: يستحيل موجود لا يكون عاجزا ولا قادرا، و لا عالما و لا جاهلا. فيقال له: إن كان ذلك الشيء قابلا للتضاد يستحيل خلوه منهما، و أما الجماد الذي لا يقبل واحدا منهما لأنه قد فقد شرطهما و هو الحياة ، فخلوه عنهما ليس بمحال. فكذلك شرط الاتصال و الانفصال في الجهات التحيزُ أو

---

[160] _ سقطت : (قوله) من (ب) .

[161] _ في (ب) : وهمه .



القيام بالمتحيز، فإذا فُقد هذا لم يستحل الخلو عن مضادتِه". انتهى كلام أبي حفص الفاسي.

و يُنظر في كلامه هذا بأنظار :

الأول : قوله:(ليس خارجا مساويا للا داخل ، و إنما هو أخص منه).

يقال عليه: كل عاقل يعلم بالبديهة أنه مساوٍ له، و يحكم بالتناقض بين لا داخل ولا خارج، لأن القضية مركبة من الشيء و المساوي لنقيضه، و حينئذ يلزم من نفيِه نفيُه، خلافا لهذا الرجل و أتباعه في جعلهم المستحيل ممكنا.

و قوله تعليلا لما قال:(لأن نفي الأخص أعم من نفي الأعم) كلام لا يكاد يُفهم.

و كذا قوله:(و الأعم لا يستلزم الأخص)، و لعل صواب العبارة:(لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم)، و إن كان قوله:(و الأعم لا يستلزم الأخص) صحيحا في نفسه، و لكن ينافي ما الكلام فيه .

الثاني:قوله: (فإن قيل: بم ينفرد هذا الأعم الذي هو داخل، عن الأخص الذي هو خارج؟).

يقال عليه: يظهر أن هذا الرجل كَلَّ ذهنه في هذا التناقض، فلم يتيسر له تحرير المعنى، فأطلق الألفاظ بغير شعور بما يقول؛ و ذلك أنه جعل الأخص هو خارج، و [162] الأعم لا داخل، ثم جعل داخلا هو الأعم ! و أخبر بأنه ينفرد عن الأخص الذي هو خارج بموجود لا داخل و لا خارج، و أشار بهذا الأعم كما تدل عليه الإشارة إلى ما جعله أعمَّ أولا، ثم فسره بغيره، و هو نوعٌ من التناقض كما يظهر لمن تأمل !

الثالث : من أعطى التأمّلَ حقَّه يعلم: لا عموم ولا خصوص بين داخل و خارج، و إنما بينهما

[162] – سقطت : (و) من (ب) .



ما بين فردٍ و زوجٍ من التناقض. و إلا فيقال له ما وجهُ عموم (داخل) دون (خارج) و العكس؟ فإن قيل: ما بناه عليه من انفراد بموجود كما قال.

قيل عليه : لا يظهر وجود الانفراد لا داخل و لا خارج إلا على و جه السفسطة.

الرابع: قوله: (ينفرد بموجود لا داخل و لا خارج..إلخ ما قال) .

يقال عليه: حكمه بأن هذا يحمله العقل و يقصر عنه الوهم معكوس؛ لأن العقل لا يحمله و لا يقبله بمجرد ما يلتفت إليه ، و إنما يحمله الوهم الذي يصدق غالبا على ما لا وجود له و استحالت حقيقته. و ما رتبه على الوهم لا يناسب إلا أوهام المبرسَمين. [163] و أما أهل العقل و الملكة لا يستحيلون إلا ما استحاله العقل، و لا تُعرض لهم شبهة إلا بنظر عقولهم في الممكن لا بالأوهام التي هي أضعف من الخيال –ص:50 .

الخامس: ما ذكره عن الغزالي رحمه الله من تنظيره هذه المسألة بمن قال يستحيل موجود لا يكون عاقلا ...إلخ .

يقال عليه: لا مساواة بين ما نحن فيه و بين ما ذكره، لأن ما ذكره لا تتوارد عليه تلك الأوصاف و لا بعضها لفقد الشرط المذكور. و مسألتنا هذه الشرط لقبول الأوصاف اللائقة بالذات من المتقابلات موجود، و هو تقرر الوجود في الخارج؛ إذ كل موجود كذلك لابد له من دخول في العالم أو خروج منه، و ليس الشرط ما زعمه من التحيز و القيام بمتحيِّز، إذ لا دليل له على هذه الدعوى إلا مجرد الفكر و الوهم. و إلا فالعقل يدل على أن الشرط ما ذكرناه ، و الكتاب و السنة و الإجماع دالة على ما قلناه ، من أن التحيز إن قُصد به تقرر الموجود في

---

163 – المبرسم : المريض بمرض يهذي معه هذيانا .



الخارج كان صحيح المعنى في القديم و الحادث ، غير أنه إطلاق قبيح و تسمية باطلة في جانب القديم ، قد تذرع بها نفاة الصفات إلى تقبيح مثبتها عند من لا خبرة له بهذا العلم [164].

ثم لننقلب إلى البحث مع ابن جلال فنقول :

الخامس : تمثيله بالحائط و صدق النقيضين فيه ؛ و هما نفي العمى و البصر ، توضيحا و تأييدا لما ادعاه من أنه لا رفع للنقيضين فيه . لا خارج و لا داخل بينهما بون ، لأن لا خارج و لا داخل نقيضان كما قدمناه ، و به سقط قوله أن الباري لا فوق و لا تحت ، بل هو العلي الأعلى ذاتا و صفة و أسماء .

و قد رأينا ما لابن جلال هذا في كبير ميارة ، كما رأينا كلام أبي حفص الفاسي المتقدم في حاشية ميارة للشيخ الطالب عند قول المرشد : (و أن يماثل) . و رأينا فيه أيضا ما نسبه لسيدنا علي من قوله : " قيل لسيدنا علي : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات و الأرض ؟ فقال : كان و لا مكان ، و هو الآن على ما عليه كان " . و نُسب له شعرٌ :

أنت الذي حزت كل أين *** فحيث لا أين ثَم أنت

و ليس لكائن منك أين *** فيعلم الأين كيف أنت

و هذه النسبة لا تصح ، إذ لا دليل عليها بسند ضعيف فضلا عن صحته و اتصاله . لأنها تؤدي إلى مخالفةٍ لجواب رسول الله ﷺ للسائل حيث سأله : أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟ كما تقدم الحديث و يأتي، قال:« كان في عمى » الحديث.

على أننا نقول: على تسليمه لا حجة لكم فيه ، لأن معناه : كان الله في أزله و لا مكان و لا عالم،

---

[164] – في الأصل : (العالم) ، و لعل الصواب ما أثبته .

و هو الآن بعد خلق المكان و العالم على ما عليه كان من أنه ليس في مكان. و هذا الذي يعتقده أهل السنة ، و كونه فوق عرشه لا يدل على أنه في مكان ، لأنه لا مكان فوق العرش ، كما بُين في علم الشريعة و الحكمة ، و قد قدمناه.

و قوله:(أنت الذي حزت كل أين ...إلخ)، لا دليل على صحة نسبته لسيدنا علي أيضا . و على تسليم أنه له أو لغيره ، يقال عليه: معناه راجعٌ إلى ما قبله ، جوابه هو جوابه . و لئن فُهم منه أنه يمنع السؤال عنه بأين لكان مخالفا لرسول الله ﷺ حين سأل عنه بها و سئل عنه بها.[165] و كل قول يخالف قول رسول الله ﷺ باطل .

السادس : إثبات هؤلاء موجودا خارجيا لا داخل العالم و لا خارجه مع استحالته يؤذن بقلب الحقائق ، إذ المستحيل لا يكون ممكنا ، كما أن الواجب لا يكون مستحيلا و لا ممكنا . و هؤلاء قد جعلوا الواجب محالا و المحال واجبا تارة ، و أخرى ممكنا . و يرجع على إثباتهم صفات لله تعالى و أحكام لغيره ، و استحالتها عليه و إمكانها في حقه—ص51 -بالنفي و البطلان لدلالتها و لمدلولها بعد أن جعلوها براهين قاطعة مسلَّمة .

فإذا قيل لهم: كون الله لا خارج العالم ولا داخله محال، و قالوا: ليس بمحال في حق الله تعالى وإنما هو محال في حق الخلق عورضوا بمثله، فيقال: الله فوق عرشه خارج عن العالم بلا كيف. فإن قالوا هذا محال ، لأنه يؤدي إلى كونه في جهة ، و الجهة على الله محال ، قيل لهم : لا محال في حق الله تعالى و إنما المحال في حق المخلوق . و هكذا يعارَضون بوصف الله بالمحال ، و ما كان جوابهم عن محاله هو جواب خصمهم .

---

165 – سقطت : (وسئل عنه بها) من (ب) .



و قوله في الرد على ابن مقلاش حيث قال:(إن السؤال معضل ، لا يلتفت إليه...إلخ كلامه).

يبحث فيه بوجهين :

الأول : يفهم من كلامه هذا أنه أتقن علم الكلام دون ابن مقلاش و كثير من الفقهاء ، مع أنك قد رأيت ما في إتقانه ! و لله دره من متقن ! ما ترك لمتقن مقالا ! و لا لمفكر في علم الكلام مجالا ! و نتيجة إتقانه تدل عليه .

الثاني : يقال فيه : الإنصاف من شأن الأشراف .

قد حمى الله ابن مقلاش و كثيرَ الفقهاء من هذا الإتقان الذي رمى به فِكرُ هذا الرجل و طائفته ، ألا و هو إتقان و تحرير مذهب جهم بن صفوان ، و المعتزلة و الروافض ، و لكن لا على إتمام ، لأن الجهمية الأقدمين قالوا : إن الله في كل مكان ، ثم ظهر للمتأخرين منهم– أهل الإتقان – أن الله لا خارج العالم و لا داخله، و هذا الذي أتقنه هذا الرجل و أتباعه ! وقد نحى ابن الجوزي في بعض مؤلفاته نحو مذهب هؤلاء، وبما قدمناه يُردُّ عليه وعلى غيره. وقد جعل من التناقض إثبات يدٍ لله تعالى مثلا ، ثم دعوى أنها ليست كالجارحة. وهذا منه غفلة؛ إذ هذا الإثبات أثبته الكتاب و السنة، و أجاب الله عنه بهذا الجواب بقوله:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }[الشورى11]. وإلا لم يحتج إلى هذا لأنه لا يزيل التناقض إذا كان لازما. وهذا الرجل و إن تبحر في العلم بحيث لا يصل إلى كعبه أمثالنا، و لكن الكمال لله. و قد كفانا مؤنته البحث في أقواله و ألفاظه و غيره كفايةً لا مزيد عليها عند من علم و أنصف و تحقق أنه ما من عالم إلا و في الإمكان أن يجيء أعلم منه ، الإمامُ ابن القيم الجوزية في كتابه الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية و المعطلة. في هذا التركيب إشارة لطيفة و هي؛ أن الإمام الأول

قد نُسب إلى لفظ الجوز، والثاني إلى بُنوَّة قيِّمها، فكأنه قيِّمٌ عليه في مثل هذه المسألة، حيث انتهى بنا القول إلى ذكر جهم رئيس هذه الطائفة، و قد أشرنا إليه فيما تقدم و إليهم .

فلنذكر الآن بعض ترجمته و دعاويه و ما كان عليه ، ثم نتبع ذلك بذكر الدلائل على أن الله مستو على عرشه من الكتاب و السنة و إجماع سلف الأمة و أقوال بعض علماء الإسلام غير ما تقدم ، و في ضمن ذلك النزول الإلهي .

أما جهمٌ فقد قال في فتح الباري : (وَأَمَّا الْجَهْمِيَّةُ فَلَمْ يَخْتَلِف أَحَدٌ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي الْمَقَالَات أَنَّهُمْ يَنْفُونَ الصِّفَات حَتَّى نُسِبُوا إِلَى التَّعْطِيل ، وَثَبَتَ عَنْ أَبِي حَنِيفَة أَنَّهُ قَالَ : بَالَغَ جَهْم فِي نَفْي التَّشْبِيه حَتَّى قَالَ: إِنَّ اللهَّ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ الْكَرْمَانِيُّ : الْجَهْمِيَّةُ فِرْقَة مِنْ الْمُبْتَدِعَة يَنْتَسِبُونَ إِلَى جَهْم بْن صَفْوَان مُقَدَّم الطَّائِفَة الْقَائِلَة أَنْ لَا قُدْرَة لِلْعَبْدِ أَصْلًا ، وَهُمْ الْجَبْرِيَّة بِفَتْحِ الْجِيم وَسُكُون الْمُوَحَّدَة ، وَمَاتَ مَقْتُولًا فِي زَمَن هِشَام بْن عَبْد الْمَلِك اِنْتَهَى. وَلَيْسَ الَّذِي أَنْكَرُوهُ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ مَذْهَب الْجَبْر خَاصَّة ، وَإِنَّمَا الَّذِي أَطْبَقَ السَّلَف عَلَى ذَمِّهِمْ بِسَبَبِهِ إِنْكَار الصِّفَات. حَتَّى قَالُوا: إِنَّ الْقُرْآن لَيْسَ كَلَام اللهَّ وَأَنَّهُ مَخْلُوق – ص:52 - . وَقَدْ ذَكَرَ الْأُسْتَاذ أَبُو مَنْصُور عَبْد الْقَاهِر بْن طَاهِر التَّمِيمِيّ الْبَغْدَادِيّ فِي كِتَابه " الْفَرْق بَيْن الْفِرَق " أَنَّ رُءُوس الْمُبْتَدِعَة أَرْبَعَة إِلَى أَنْ قَالَ : وَالْجَهْمِيَّة أَتْبَاع جَهْم بْن صَفْوَان الَّذِي قَالَ: بِالْإِجْبَارِ وَالِاضْطِرَار إِلَى الْأَعْمَال. وَقَالَ لَا فِعْل لِأَحَدٍ غَيْر اللهَّ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يُنْسَب الْفِعْل إِلَى الْعَبْد مَجَازًا مِنْ غَيْر أَنْ يَكُون فَاعِلًا أَوْ مُسْتَطِيعًا لِشَيْءٍ ، وَزَعَمَ أَنَّ عِلْم اللهَّ حَادِث ، وَامْتَنَعَ مِنْ وَصْف اللهَّ تَعَالَى بِأَنَّهُ شَيْء أَوْ حَيّ أَوْ عَالِمٍ أَوْ مُرِيد، حَتَّى قَالَ لَا أَصِفُهُ بِوَصْفٍ يَجُوز إِطْلَاقه عَلَى غَيْره ، قَالَ وَأَصِفُهُ بِأَنَّهُ خَالِقٌ وَمُحْيِي وَمُمِيت وَمُوَحَّد بِفَتْحِ الْمُهْمَلَة الثَّقِيلَة ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَوْصَاف خَاصَّة بِهِ ، وَزَعَمَ أَنَّ كَلَام

اللهَّ حَادِث ، وَلَمْ يُسَمِّ اللهَّ مُتكَلِّمًا بِهِ ، قَالَ : وَكَانَ جَهْم يَحْمِل السِّلَاح وَيُقَاتِل ، وَخَرَجَ مَعَ الْحَارِث بْن سُرَيْج ، وَهُوَ بِمُهْمَلَةٍ وَجِيم مُصَغَّر ، لَمَّا قَامَ عَلَى نَصْرِ بْن سَيَّار عَامِلِ بَنِي أُمَيَّة بِخُرَاسَان فَآلَ أَمْره إِلَى أَنْ قَتَلَهُ سَلْم بْن أَحْوَز وَهُوَ بِفَتْحِ السِّين الْمُهْمَلَة وَسُكُون اللَّام ، وَأَبُوهُ بِمُهْمَلَةٍ وَآخِره زَاي وَزْن أَعْوَر وَكَانَ صَاحِب شُرْطَة نَصْرٍ ، وَقَالَ الْبُخَارِيّ فِي " كِتَاب خَلْق أَفْعَالِ الْعِبَاد " بَلَغَنِي أَنَّ جَهْمًا كَانَ يَأْخُذ عَنْ الْجَعْد بْن دِرْهَم ، وَكَانَ خَالِد الْقَسْرِيّ وَهُوَ أَمِير الْعِرَاق خَطَبَ فَقَالَ : [أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم] إِنِّي مُضَحٍّ بِالْجَعْدِ بْن دِرْهَم ؛ لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَّ لَمْ يَتَّخِذ إِبْرَاهِيم خَلِيلًا وَلَمْ يُكَلِّم مُوسَى تَكْلِيمًا [فنزل على المنبر و ذبحه].

قُلْت: وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَة هِشَام بْن عَبْد الْمَلِك ، فَكَأَنَّ الْكَرْمَانِيَّ اِنْتَقَلَ ذِهْنه مِنْ الْجَعْد إِلَى الْجَهْم فَإِنَّ قَتْل جَهْم كَانَ بَعْد ذَلِكَ بِمُدَّةٍ ، وَنَقَلَ الْبُخَارِيّ عَنْ مُحَمَّد بْن مُقَاتِل قَالَ : قَالَ عَبْد اللهَّ بْن الْمُبَارَك :

وَلَا أَقُلْ بِقَوْلِ الْجَهْم أَنَّ لَهُ *** قَوْلًا يُضَارِع قَوْل الشِّرْك أَحْيَانًا

وَعَنْ اِبْنِ الْمُبَارَك: إِنَّا لَنَحْكِي كَلَام الْيَهُود وَالنَّصَارَى وَنَسْتَعْظِم أَنْ نَحْكِي قَوْل جَهْم.

وَعَنْ عَبْد اللهَّ بْن شَوْذَب قَالَ : تَرَكَ جَهْم الصَّلَاة أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى وَجْه الشَّكّ .

وَأَخْرَجَ اِبْن أَبِي حَاتِم فِي " كِتَاب الرَّدّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ " مِنْ طَرِيق خَلَف بْن سُلَيْمَان الْبَلْخِيّ قَالَ : كَانَ جَهْم مِنْ أَهْل الْكُوفَة وَكَانَ فَصِيحًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَفَاذ فِي الْعِلْم ، فَلَقِيَهُ قَوْم مِنْ [أرسادة] الزَّنَادِقَة فَقَالُوا لَهُ : صِفْ لَنَا رَبّك الَّذِي تَعْبُدهُ ، فَدَخَلَ الْبَيْت لَا يَخْرُج مُدَّة ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ هُوَ هَذَا الْهَوَاء مَعَ كُلّ شَيْء .

وَأَخْرَجَ ابْنِ خُزَيْمَةَ فِي التَّوْحِيد ، وَمِنْ طَرِيقه الْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاء قَالَ : سَمِعْت أَبَا قُدَامَة

يَقُول: سَمِعْت أَبَا مُعَاذ [166] الْبَلْخِيّ يَقُول : كَانَ جَهْم عَلَى مَعْبَر تِرْمِذ ، وَكَانَ كُوفِيّ الْأَصْل فَصِيحًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْم وَلَا مُجَالَسَة أَهْل الْعِلْم ، فَقِيلَ لَهُ صِفْ لَنَا رَبّك فَدَخَلَ الْبَيْت لَا يَخْرُج كَذَا ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْد أَيَّام فَقَالَ : هُوَ هَذَا الْهَوَاء مَعَ كُلّ شَيْء وَفِي كُلّ شَيْء وَلَا يَخْلُو مِنْهُ شَيْء .

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيّ مِنْ طَرِيق عَبْد الْعَزِيز بْن أَبِي سَلَمَة قَالَ : كَلَام جَهْم صِفَة بِلَا مَعْنًى ، وَبِنَاء بِلَا أَسَاسٍ وَلَمْ يُعَدّ قَطُّ فِي [167] أَهْل الْعِلْم ، وَقَدْ سُئِلَ عَنْ رَجُل طَلَّقَ قَبْل الدُّخُول فَقَالَ تَعْتَدّ اِمْرَأَته ، وَأَوْرَدَ آثَارًا كَثِيرَةِ عَنْ السَّلَف فِي تَكْفِير جَهْم .

وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخه فِي حَوَادِث سَنَة سَبْع وَعِشْرِينَ أَنَّ الْحَارِث [168] بْن سُرَيْج خَرَجَ عَلَى نَصْرِ بْن سَيَّار عَامِلِ خُرَاسَان لِبَنِي أُمَيَّة وَحَارَبَهُ ، وَالْحَارِث حِينَئِذٍ يَدْعُو إِلَى الْعَمَل بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّة وَكَانَ جَهْم حِينَئِذٍ كَاتِبه ثُمَّ تَرَاسَلَا فِي الصُّلْح وَتَرَاضَيَا بِحُكْمِ مُقَاتِل بْن حَيَّان [169] وَالْجَهْم ، فَاتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الْأَمْر يَكُونُ شُورَى حَتَّى يَتَرَاضَى أَهْل خُرَاسَان– ص:53 – عَلَى أَمِيرٍ يَحْكُم بَيْنهمْ بِالْعَدْلِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ نَصْرٌ ذَلِكَ وَاسْتَمَرَّ عَلَى مُحَارَبَة الْحَارِث إِلَى أَنْ قَتَلَ الْحَارِث فِي سَنَة ثَمَان وَعِشْرِينَ فِي خِلَافَة مَرْوَان الْحِمَار ، فَيُقَال : إِنَّ الْجَهْم قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَة وَيُقَال بَلْ أُسِرَ ، فَأَمَرَ نَصْرُ بْن سَيَّار سَلْمَ بْن أَحْوَز بِقَتْلِهِ فَادَّعَى جَهْم الْأَمَان ، فَقَالَ لَهُ سَلْم : لَوْ كُنْت فِي بَطْنِي لَشَقَقْته حَتَّى أَقْتُلك فَقَتَلَهُ .

166 – في النسختين : " أبا هذا " ، و التصويب من الفتح .

167 – في (ب) : مِن أهل العلم.

168 – في النسختين معا : " الحرث " ، و هو خطأ .

169 – في النسختين معا : " بن حبان " ، و هو خطأ .

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن صَالِحٍ مَوْلَى بَنِي هَاشِم قَالَ : قَالَ سَلْم حِين أَخَذَهُ : يَا جَهْم إِنِّي لَسْت أَقْتُلك؛ لِأَنَّك قَاتَلْتَنِي، أَنْتَ عِنْدِي[170] أَحْقَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَلَكِنِّي سَمِعْتُك تَتَكَلَّم بِكَلَامٍ أَعْطَيْت اللهَّ عَهْدًا أَنْ لَا أَمْلِكك إِلَّا قَتَلْتُك، فَقَتَلَهُ.

وَمِنْ طَرِيق مُعْتَمِر[171] بْن سُلَيْمَان عَنْ خَلاد الطُّفَاوِيّ بَلَغَ سَلْم بْن أَحْوَز وَكَانَ عَلَى شُرْطَة خُرَاسَان أَنَّ جَهْم بْن صَفْوَان يُنْكِر أَنَّ اللهَّ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا فَقَتَلَهُ.

وَمِنْ طَرِيق بُكَيْر بْن مَعْرُوف قَالَ رَأَيْت سَلْم بْن أَحْوَز حِين ضَرَبَ عُنُق جَهْم فَاسْوَدَّ وَجْه جَهْم.

وَأَسْنَدَ أَبُو الْقَاسِم اللَّالَكَائِيّ[172] فِي " كِتَاب السُّنَّة " لَهُ أَنَّ قَتْل جَهْم كَانَ فِي سَنَة اِثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَة، وَالْمُعْتَمَد مَا ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ أَنَّهُ كَانَ فِي سَنَة ثَمَان وَعِشْرِينَ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق سَعِيد بْن رَحْمَة صَاحِبِ أَبِي إِسْحَاق الْفَزَارِيِّ أَنَّ قِصَّة جَهْم كَانَتْ سَنَة ثَلَاثِينَ وَمِائَة ، وَهَذَا يُمْكِن حَمْله عَلَى جَبْر الْكَسْر، أَوْ عَلَى أَنَّ قَتْل جَهْم تَرَاخَى عَنْ قَتْل الْحَارِث بْن سُرَيْج، وَأَمَّا قَوْل الْكَرْمَانِيِّ: إِنَّ قَتْل جَهْم كَانَ فِي خِلَافَة هِشَام بْن عَبْد الْمَلِك فَوَهْم ؛ لِأَنَّ خُرُوج الْحَارِث بْن سُرَيْج الَّذِي كَانَ جَهْم كَاتِبه كَانَ بَعْد ذَلِك ، وَلَعَلَّ مُسْتَنَد الْكَرْمَانِيِّ مَا أَخْرَجَهُ اِبْنِ أَبِي حَاتِم مِنْ طَرِيق صَالِحِ بْن أَحْمَد بْن حَنْبَلِ قَالَ: قَرَأْت فِي دَوَاوِين هِشَام بْن عَبْد الْمَلِك إِلَى نَصْرِ بْن سَيَّار عَامِلِ خُرَاسَان: أَمَّا بَعْد فَقَدْ نَجَمَ قِبَلك رَجُل يُقَال لَهُ

---

[170] - في النسختين معا : " عند " ، و هو خطأ .

[171] - في النسختين معا : " معتز" ، و هو خطأ .

[172] - في النسختين معا : " الألكادي " ، و هو خطأ .



جَهْم مِنْ الدَّهْرِيَّة فَإِنْ ظَفِرْت بِهِ فَاقْتُلْهُ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَم مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُون قَتْله وَقَعَ فِي زَمَن هِشَام، وَإِنْ كَانَ ظُهُور مَقَالَته وَقَعَ قَبْل ذَلِكَ حَتَّى كَاتَبَ فِيهِ هِشَام وَاَللَّهُ أَعْلَم. وَقَالَ اِبْنُ حَزْم فِي "كِتَاب الْمِلَل وَالنِّحَل": فِرَقُ الْمُقِرِّينَ [173] بِمِلَّةِ الْإِسْلَام خَمْسٌ: أَهْل السُّنَّة، ثُمَّ الْمُعْتَزِلَة وَمِنْهُمْ الْقَدَرِيَّة، ثُمَّ الْمُرْجِئَة وَمِنْهُمْ الْجَهْمِيَّةُ وَالْكَرَّامِيَّة ثُمَّ الرَّافِضَة وَمِنْهُمْ الشِّيعَة، ثُمَّ الْخَوَارِج وَمِنْهُمْ الْأَزَارِقَة وَالْإِبَاضِيَّة ثُمَّ اِفْتَرَقُوا فِرَقًا كَثِيرَة، فَأَكْثَرُ اِفْتِرَاق أَهْل السُّنَّة فِي الْفُرُوع ، وَأَمَّا فِي الِاعْتِقَاد فَفِي نُبَذ يَسِيرَة، وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَفِي مَقَالَاتهمْ مَا يُخَالِف أَهْل السُّنَّة الْخِلَاف الْبَعِيد وَالْقَرِيب، فَأَقْرَبُ فِرَق الْمُرْجِئَة مَنْ قَالَ [174]: الْإِيمَان التَّصْدِيق بِالْقَلْبِ وَاللِّسَان فَقَطْ وَلَيْسَتْ الْعِبَادَة مِنْ الْإِيمَان . وَأَبْعَدُهُمْ الْجَهْمِيَّةُ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْإِيمَان عَقْد بِالْقَلْبِ فَقَطْ وَإِنْ أَظْهَرَ الْكُفْر وَالتَّثْلِيث بِلِسَانِهِ ، وَعَبَدَ الْوَثَن مِنْ غَيْر تَقِيَّة . وَالْكَرَّامِيَّة : الْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْإِيمَان قَوْل بِاللِّسَانِ فَقَطْ وَإِنْ اِعْتَقَدَ الْكُفْر بِقَلْبِهِ ، وَسَاقَ الْكَلَام عَلَى بَقِيَّة الْفِرَق ثُمَّ قَالَ : فَأَمَّا الْمُرْجِئَة فَعُمْدَتُهُمْ الْكَلَام فِي الْإِيمَان وَالْكُفْر، فَمَنْ قَالَ إِنَّ الْعِبَادَة مِنْ الْإِيمَان ، وَإِنَّهُ يَزِيد وَيَنْقُص وَلَا يُكَفِّر مُؤْمِنًا بِذَنْبٍ ، وَلَا يَقُول إِنَّهُ يَخْلُد فِي النَّار فَلَيْسَ مُرْجِئًا ، وَلَوْ وَافَقَهُمْ فِي بَقِيَّة مَقَالَاتهمْ. وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَة فَعُمْدَتُهُمْ الْكَلَام فِي الْوَعْد وَالْوَعِيد وَالْقَدَر ، فَمَنْ قَالَ الْقُرْآن لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَأَثْبَتَ [175] الْقَدَر وَرُؤْيَة اللَّهَ تَعَالَى فِي الْقِيَامَة، وَأَثْبَتَ صِفَاته الْوَارِدَة فِي الْكِتَاب وَالسُّنَّة وَأَنَّ صَاحِب الْكَبَائِر لَا يَخْرُج بِذَلِكَ عَنْ الْإِيمَان فَلَيْسَ بِمُعْتَزِلِيٍّ وَإِنْ وَافَقَهُمْ فِي سَائِر مَقَالَاتهمْ، وَسَاقَ بَقِيَّة

---

[173] – في النسختين معا : " المفرقين " ، و هو خطأ .

[174] – في النسختين معا : " القائلون بأن " .

[175] – في النسختين معا : " ثبت " ، و التصويب من الفتح .

ذَلِكَ إِلَى أَنْ قَالَ: – ص54 – وَأَمَّا الْكَلَام فِيمَا يُوصَف اللَّهُ بِهِ فَمُشْتَرَك بَيْن الْفِرَق الْخَمْسَة، مِنْ مُثْبِت لَهَا وَنَافٍ ؛

فَرَأْس النُّفَاة: الْمُعْتَزِلَة وَالْجَهْمِيَّة، فَقَدْ بَالَغُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى كَادُوا يُعَطِّلُونَ.

وَرَأْس الْمُثْبِتَة: مُقَاتِل بْن سُلَيْمَان وَمَنْ تَبِعَهُ مِنْ الرَّافِضَة وَالْكَرَّامِيَّة ، فَإِنَّهُمْ بَالَغُوا فِي ذَلِكَ حَتَّى شَبَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى بِخَلْقِهِ ، تَعَالَى اللَّهُ سُبْحَانه عَنْ أَقْوَالهمْ عُلُوًّا كَبِيرًا ، وَنَظِير هَذَا التَّبَايُن قَوْل الْجَهْمِيَّة : إِنَّ الْعَبْد لَا قُدْرَة لَهُ أَصْلًا ، وَقَوْل الْقَدَرِيَّة إِنَّهُ يَخْلُق فِعْل نَفْسه)انتهى من فتح الباري.

فهذا البعض من ترجمة جهم و شيخه جعد بن درهم، وقد قتلهما المسلمون و أهلُ السنة – كما سمعتم – على نفي صفات الله و تأويلها، اللذَين رضي بتقليدهما و ترَك تقليد الكتاب و السنة جماعةٌ من الخلف الذين منهم أصحابُنا المردودُ عليهم بهذا.

و أما الكتاب فقد قال الله تعالى: { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } [آل عمران: 55].

و قال : { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} [النساء : 158] .

و قال تعالى : { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } [المعارج : 4] .

و قال : { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } [فاطر: 10] .

و قال : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 18] .

و قال : { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً } [الأنعام: 61] .

و قال تعالى : { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [النحل :50] .

و قال : { أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ. أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا } [الملك : 16– 17] [176] .

و قال : { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } [البقرة : 255 و الشورى : 4] .

و قال : { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } [الأعلى: 1] .

و قال: { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ } [الأعراف : 54].

و قال: { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ } [السجدة:4].

و قال : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ } [يونس :3] .

و قال : { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ } [الفرقان :59] [177] .

و قال : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه : 5].

و قال : { وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ } [آل عمران :3] إلى أن قال : { وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ } [آل عمران : 4].

و قال : { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ } [آل عمران :7].

و قال : { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى } [الأنعام :1].

و قال : { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } [الأنعام : 92].

وقال : { سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } [الأنعام:93].

و قال : { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } [الأنعام :114].

---

[176] – لم تثبت الآية السابعة عشرة من سورة الملك في النسخة (أ) ، مع أن فيها الدلالة على أن الله في السماء .

[177] – الآية التاسعة و الخمسون من سورة الفرقان ليست في (أ) .



و قال : { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [الأنعام :114].

و قال : { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا } [الأنعام :155].

و قال : { كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ } [الأعراف :2].

و قال : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا } [النساء: 174].

و قال : { اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ } [الأعراف :3].

و قال : { وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ } [الرعد :1].

و قال : { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } [النحل :102].

و قال : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } [النحل : 44].

و قال : { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ } [الإسراء :82].

و قال : { وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا } [الإسراء :106].

و قال : { مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } [طه : 2] .

و قال : { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ } [الأنبياء : 10].

و قال : { وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ } [الأنعام :7].

و قال : { لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً } [الفرقان : 32].

و قال : { و لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } [الزخرف:31].

و قال: { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }[الزمر:1،والجاثية :2، والأحقاف:2].

و قال : { تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } [فصلت : 2].

و قال : { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [السجدة : 2].

و قال: { تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت :42].

و قال : { إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى } [الأحقاف :30].

و قال : { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ } [الحشر: 21].

و قال: { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ .عَلَى قَلْبِكَ } [الشعراء :193-194].

و قال : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } [النحل :89].

و قال : { وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ } [الشعراء :198].

و قال: { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ } [ص:29].

و قال : { وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ } [البقرة: 99].

و قال : { يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ } [البقرة: 4].

و قال : { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا } [البقرة: 23].

و قال : { بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } [البقرة :90]. – ص:55-

و قال : { فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ } [البقرة :97].

و قال : { أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ } [البقرة :105].

و قال : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى} [البقرة :159].

و قال : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } [البقرة :170، و لقمان: 21].

و قال : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ } [البقرة : 174].

و قال : { شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ } [البقرة : 185].

و قال : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ } [البقرة : 285].

و قال : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ }

[النساء:60].

و قال:{وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ}[آل عمران 199]

و قال : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } [النساء :61].

و قال : { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ } [النساء :113].

و قال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ } [النساء :136].

و قال : { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ } [النساء :140].

و قال:{ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ }[النساء:166].

و قال : { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ } [الأنفال :41].

و قال : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا } [يوسف:2].

و قال : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ } [الكهف:1].

و قال : { وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ } [الإسراء:93].

و قال : { وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ } [الأنبياء:50]. (178)

و قال : { سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } [النور:1].

---

178 – في النسختين معا خطأٌ في إثبات هذه الآية.



و قال : { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ } [الفرقان:1].

و قال : { قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [الفرقان:6].

و قال : { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ } [الزمر:23].

و قال : { لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } [القصص:38]

و قال : { وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ } [التوبة:86].

و قال : { وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ } [التوبة:124].

و قال : { وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ } [يونس:20].

و قال : { قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ } [آل عمران:84].

و قال : { وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ } [العنكبوت: 46].

و قال : { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ } [العنكبوت: 47].

و قال : { أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ } [العنكبوت: 51].

و قال : { تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ . لِتُنْذِرَ قَوْمًا } [يس:4-5].

و قال : { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ} [الدخان3:].

و قال : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } [المائدة:44].

و قال : { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } [المائدة:44].

و قال : { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } [المائدة:45].

و قال : { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } [المائدة:47].

و قال : { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } [المائدة:48].

و قال : { وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ } [المائدة:49].

و قال : { وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ } [المائدة:49].

و قال:{ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ}[المائدة:59].

و قال : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } [المائدة:67].

و قال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا } [النساء:47].

و قال : { وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ } [محمد :2].

و قال:{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ}[الحديد:16].

و قال: { يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ } [الطلاق:12].

و قال: { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } [القدر:1].

و قال: { وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ } [محمد:20]. [179]

و قال : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا } [الإنسان:23].

و قال : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر:9] .

و قال : { وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ } [النحل:64].

و قال : { رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ } [آل عمران: 53].

و قال : { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ } [المائدة:83].

و قال : { فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ } [يونس:94].

و قال : { اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } [الشورى:17].

---

[179] – في النسختين معا : ويقول الذين كفروا ... و هو خطأ .



و قال : { آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ } [الشورى:15].

و قال : { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ } [الرعد:36].

و قال : { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا } [الرعد:37].

و قال : { رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ } [الأعراف:143].

و قال : { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة:22-23].

إلى غير ذلك مما لا نستحضره وقت الكتابة .— ص:56-

ففي هذه الآياتِ الكريمات [180] دلالةٌ على علوّ الله على عرشه إما بالصراحة و إما باللزوم؛ إذْ آيات الفوقية تدلّ على أنه فوق العرش جمعًا بين الأدلة. وآياتُ تنزيل الكتاب بعضُها فيه الصراحة بأنه من عند الله و بعضُها محمولٌ عليه لما تقدم.

و النزولُ يدل على علوّ النازل و المنزل منه.

و النظرُ إلى وجه الله لابد أن يكون في جهة.

و العلوُّ على العرش صفةٌ الله .

و في طلب موسى الرؤية دليلٌ على جوازها .

و الآيات التي فيها اعتراض الكفار على رجل دون رجل، و على أنه لِمَ لَمْ ينزل جملة، و مثل ذلك، لم يكن إلا من هذه الحيثيات، و إلا فقد سلموا بأنه عالٍ ينزل من عالٍ، و هو العلي العظيم .

و آية : { لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى } [القصص:38] دالة على أن الله فوق خلقه بالخبر

---

[180] – لا توجد : (الكريمات) في الأصل .



الصادق عن موسى عليه السلام. و لذا أخذ فرعون يتهيأ للطلوع إليه، وقال:{ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } [القصص:38]. و حاشى أن يكذب موسى عليه الصلاة و السلام، و لكن فرعونَ هو الكذاب. وظنُّه كذب موسى أضعفُ من ظنه صدقَه، بدليل أخذِه في التهيّؤ للطلوع إليه. و لو لم يكن أقوى لما رتّب عليه ما يرتَّب على اليقين أو الظنّ القويّ، و من ثَم قال العلماء: من لم يصدق بأن الله تعالى فوق خلقه على عرشه فهو فرعونيٌّ، و سموا أهل هذا المذهب فرعونية، بل قالوا هم أسوأ حالا من فرعون. إذ فرعون ظن ذلك ظنا قويا، وكذّب موسى عليه الصلاة و السلام بظنّ ضعيفٍ، وهؤلاء تيقنوا كذب موسى عليه السلام والعياذ بالله.

و أما السنة فقد روينا من حديث أبي داود أن العباس عم رسول الله ﷺ قال:« كنا بالبطحاء، فمرت سحابة، فقال رسول الله ﷺ: هل تدرون بُعد ما بين السماء و الأرض؟ قالوا: لا. قال: إما واحد أو اثنان أو ثلاث و سبعون سنة. ثم عد سبع سماوات، ثم قال: و بين السماء السابعة بحر أسفله و أعلاه كما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال، ما بين أظلافهم و رُكبهم كما بين سماء إلى سماء. على ظهورهم العرش، ثم الله فوق ذلك، و هو يعلم ما أنتم عليه »[181].

و إن النبي ﷺ لما أنشده عبد الله بن رواحة :

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللهِ حَـــــــــقٌّ *** وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِيـــــنَا

[181] – رواه أبو داود رقم (4723)، وابن ماجه رقم (193) و ابن خزيمة و غيرهم . وصححه جمع من أهل العلم منهم : الترمذي و ابن خزيمة و الحاكم و ابن تيمية و ابن القيم و غيرهم .

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ *** وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

وَتَحْمِلُهُ مَلائِكَةٌ كِـــــــــرام *** مَلائِكَةُ الإِلَهِ مُسَوِّمِيـــــنَا

لم ينكر عليه ذلك ، بل ضحك حتى بدت نواجذه [182] .

و معلوم قطعا أن ابن رواحة لم يرد بقوله:" وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ " أنه أفضل من العرش و خير منه. و هو كان أعلم بالله و صفاته و كماله من أن يقول ذلك ، و إنما أراد فوقية الذات التي هي حقيقة اللفظ.

و عن ثابت عن حبيب بن أبي ثابت أن حسان بن ثابت أنشد النبي ﷺ :

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللهِ أَنَّ مُحَمَّدًا *** رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاوَاتِ مِنْ عَلِ

وَإِنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا *** لَهُ عَمَلٌ فِي دِينِهِ مُتَقَبَّـــــــــــلُ

وَإِنَّ أَخَا الْأَحْقَافِ إِذْ قَامَ فِيهِمُ *** يَقُومُ بِذَاتِ اللهِ فِيهِمْ وَيَعْـــــدِلُ

ـ ص:57 – فقال النبي ﷺ: « و أنا أشهد » [183].

و في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ :« لما قضى الله الخلق كتب في كتاب ، فهو عنده فوق العرش : رحمتي سبقت غضبي » و في لفظ : « فهو عنده موضوع على العرش » و في صحيح مسلم عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى:{ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ

---

[182] – قال ابن عبد البر في "الاستيعاب": رويناها من وجوه صحاحٍ . و تعقبه الذهبي بقوله : روي من وجوه مرسلة . و قول الذهبي لا يمنع أن تكون القصة في أقل أحوالها مقبولة . و قول ابن عبد البر يحمل على مجموع الطرق . و مما يدعو لقبول القصة كثرة استشهاد شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهما بها عند ذكر أدلة العلو .

[183] – " العلو للعلي الغفار" للذهبي ، و "المطالب العالية " لابن حجر .

وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الحديد : 3]:« أنت الأول فليس قبلك شيء، و أنت الآخر فليس بعدك شيء، و أنت الظاهر فليس فوقك شيء، و أنت الباطن فليس دونك شيء».

و روى أبو داود بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عِنْدَهُ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ:« أَتَى رَسُولَ اللهِّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِّ جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ وَضَاعَتِ الْعِيَالُ وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي فَاسْتَسقِ لَنَا رَبَّكَ فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِّ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللهِّ عَلَيْكَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، قَالَ:« وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، شَأْنُ اللهِّ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا اللهُّ؟ إِنَّ اللهَّ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَإِنَّهُ لَيَئِطُّ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ »[184].

و قال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ رضي الله عنه:« لقد حكمت فيهم بحكم الملِك من فوق سبع سماوات »[185].

---

[184] – تكلم في ضعف هذا الحديث جماعة من أهل العلم منهم البيهقي في "الأسماء و الصفات" و الذهبي في "العلو" و الألباني في " الضعيفة " ، لكن تتابع المصنفون في المعتقد على إثباته في مصنفاتهم ، و قد قال الشيخ صالح آل الشيخ كلمة نافعة على هذا الحديث في شرحه لأصول الإيمان ، قال : (هذا الحديث إسناده فيه ضعف ، قد تكلم عليه عدد من أهل العلم ، لكن ما زال علماء السنة يتتابعون على إيراده ، فما خلا مصنفٌ في السنة من إيراد هذا الحديث ، وذلك لدلالته على أمرين معروفين في كلام أهل السنة :

الأول: علو الله جل وعلا. وهذا أمر متواتر وأدلته كثيرة في الكتاب والسنة .

الثاني: أن العرش فوق السماوات. وهذا أيضاً ثابت عندهم وأن العرش ليس في داخل السماوات ..).

[185] – صححه الألباني في الإرواء: 5/ 274 .



وقول زينب رضي الله عنها زوج النبي ﷺ:« زوجكن أهاليكن، و زوجني الله من فوق سبع سماوات »[186].

لا يصح فيه فوقية المجاز أصلا، إذ يصير المعنى: زوجني الله حال كونه أفضل من سبع سماوات !

وَثَبَتَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ بِعَجُوزٍ فَاسْتَوْقَفَتْهُ فَوَقَفَ يُحَدِّثُهَا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَبَسْتَ النَّاسَ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ، فَقَالَ: « وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ هَذِهِ امْرَأَةٌ سَمِعَ اللهُ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ»، هَذِهِ خَوْلَةُ الَّتِي أَنْزَلَ اللهُ فِيهَا : { قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ} [المجادلة:1] أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُ [187].

و أخرج أبو القاسم اللالكائي والبيهقي وغيرهما بالإسناد الصحيح [188] عن عبد الله بن مسعود قال:" ما بين السماء القصوى و الدنيا خمسمائة عام، و بين الكرسي والماء كذلك، و العرش فوق الماء، و الله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم".

---

[186] – صحيح البخاري رقم 6870 .

[187] – الدرامي في الرد على الجهمية ، و أبو حاتم في تفسيره . قال ابن كثير : " هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب . وقد روي من غير هذا الوجه " و قال الذهبي في العلو : "هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر".

[188] – هذا حكم ابن القيم في الصواعق . و الأثر رواه الدارمي في الرد على الجهمية وابن خزيمة في" التوحيد " والبيهقي في " الأسماء و الصفات" ، وذكره الهيثمي في " مجمع الزوائد " والذهبي في " العلو" . و لم أجده عند اللالكائي .



و روى أبو القاسم الطبراني عن ابن مسعود أيضا قال:" إنّ العبد [189] ليهِمُّ بالأمر من التجارة و الإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سماوات، فيقول للملائكة : اصرفوه ، فإني إنْ يسَّرتُه له أدخلته النار " [190].

و ثبت عن مسروقٍ أنه كان إذا حدّث عن عائشة رضي الله عنها يقول:" حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله المبرَّأة من فوق سبع سماوات"[191].

و روى يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن كعب قال: قال الله تعالى في التوراة :" أنا الله فوق عبادي، و عرشي فوق جميع خلقي، و أنا على عرشي أدبر أمر عبادي، و لا يخفى عليّ شيءٌ في السماء ولا في الأرض " [192].

و في كتاب العرش لابن أبي شيبة أن داود عليه السلام كان يقول في دعائه:" اللهم أنت ربي، تعاليت فوق عرشك، و جعلت خشيتك على من في السموات و الأرض " [193].

و روى ابن ماجة عن جابر يرفعه قال:« بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ، رفعوا إليه رؤوسهم، فإذا الجبارُ جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، قال: يا أهل الجنة سلام

---

189 – في (ب) : (إن الأمر) ، و هو خطأ .

190 – صحح إسناده ابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية" ص:142 ، و " الصواعق المرسلة " عن خيثمة عن ابن مسعود رضي الله عنه .

191 – المعجم الأوسط للطبراني رقم 5569

192 – قال ابن القيم في " اجتماع الجيوش الإسلامية ص : 145 " : (رواه أبو الشيخ وابن بطة وغيرهما بإسناد صحيح عنه).

193 – صحح إسناده ابن القيم في " اجتماع الجيوش الإسلامية " ص: 146



عليكم، ثم قرأ قوله تعالى:{ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ } [يس:58]- ص58 - فينظر إليهم و ينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيءٍ من النعيم ماداموا ينظرون » [194].

و في الحديث الذي رواه عثمان بن سعيد و غيره في يوم الجمعة أن رسول الله ﷺ قال لجبريل:« لم تسمونه يوم المزيد ؟ » قال:« إن ربك اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة، هبط الجبار جل جلاله عن عرشه إلى كرسيه إلى ذلك الوادي، و قد حف الكرسي بمنابر من نور يجلس عليها الصديقون و الشهداء. ثم يجيء أهل الغرف حتى يحفوا بالكثيب، ثم يتبدّى لهم ذو الجلال و الإكرام فيقول: أنا الذي صدقتُكم وعْدي، و أتممت عليكم نعمتي، وأحللتكم دار كرامتي، فاسْألوني. فيقولون بأجمعهم: نسألك الرضا عنا، فيشهد لهم على الرضا. ثم يقول لهم: سلوني. فيسألونه حتى تنتهي نهمة كل عبد منهم. ثم يقول: سلوني. فيقولون: حسْبُنا ربنا رضينا. فيرجع الجبار تعالى إلى عرشه، فيفتح لهم بعد انصرافهم من يوم الجمعة ما لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فيرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي غرفة من لؤلؤة بيضاء، و ياقوتة حمراء، وزُمردة خضراء، ليس فيها همّ ولا وهْم، مطردة فيها أنهارها، متدلية فيها أثمارها، فيها أزواجها وخدمها ومساكنها. فليسوا إلى يوم أحوج منهم إلى يوم الجمعة، ليزدادوا تفضلا من ربهم و رضوانا ».[195]

و في الصحيح:« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، و ملائكة بالنهار، فيجتمعون عند صلاة

---

[194] – رواه ابن ماجة في سننه رقم (184) . قال البوصيري في الزوائد: (هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان القرشي). وقال ابن كثير في تفسيره: (في إسناده نظر).

[195] – قال الألباني في صحيح الترغيب 3761 : "حسن لغيره".

العصر والصبح، ثم يعرج الذين باتوا فيكم يسألهم و هو أعلم بهم » الحديث [196].

وفي الخبر عن رسول اللهﷺ:« إن الله يستحي أن يرفع العبد يده إليه »الحديث [197].

و في حديث الإسراء و تردُّدِ النبيﷺ بين ربه و بين موسى مرارا في شأن الصلاة، دليلٌ على علو الله فوق عرشه حقيقةً بلا كيف. و إلا كان رسول الله يتردد من موسى إلى نحو جهة ليس فيها الله. و هو تكذيب للحديث الصريح بذلك؛ حيث يقول له موسى:« ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ».[198]

و قد موَّه بعض الجهمية على الضعفاء بما نقله عن ابن السبكي من قلب الحقائق ؛ حيث قال في قوله ﷺ:« لا تفضلوني على يونس بن متى »:" معناه: لا تستدلوا على تفضيلي عليه بأنه أُسري بي إلى جهة العلو التي اللهُ فيها على كل مكان ، و سير به إلى جهة السفلى و مقر الظلمات وهو بطن الحوت في قعر البحر حيث لا يكون الله. بل الله لا هنا ولا هناك، وحينئذ لا تفضيل من هذه الحيثية ".

و قد بالغ من نقَل هذا الفهم في تجويده و الثناء على معارف هذا الرجل، وانفلاق ذهنه بمثل هذه الأنوار العلمية ! والمتأمل المنصف يرى أنه لا أفسد و لا أبعد من هذا الفهم في حديث رسول الله ﷺ، ولا في قصة الإسراء ولا مناسبة بين هذا وذاك.

---

[196] – متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[197] – لعل المؤلف رحمه الله ذكر الحديث بالمعنى ، إذ الحديث مشهور بهذا اللفظ : (إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين) . صححه الألباني في صحيح الترغيب و الترهيب رقم 1635 .

[198] – صحيح مسلم رقم 234 .

و في الصحيح حديث السوداء التي سألها رسول الله ﷺ:« أين الله ؟ » فقالت:« هو في السماء ». و أمر رسول الله ﷺ بعتقها و شهد لها بالإيمان، دليلٌ على ما قلناه . و المراد بالسماء : العلو ، كما تقدم . و في سؤال رسول الله ﷺ بـ(أين) دليلٌ على ذلك ، و أنه لا محظور في ذلك السؤال .

و قد سئل عنه رسول الله ﷺ بـ(أين)، فأجاب السائل و لم ينهه عن السؤال بها.

و قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عباس عن عمه أبي رزين ، واسمه لقيط بن عامر بن المنتفق [199] العقيلي قال:« قلت : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ » قال:« كان في عمى ما تحته هواء و ما فوقه هواء ، ثم خلق العرش بعد ذلك ».– ص:59- وقد رواه الترمذي في التفسير وابن ماجة في السنن من حديث يزيد بن هارون به . وقال الترمذي : " هذا حديث حسن ". [200]

و في أحاديث الصحيح و غيره في رؤية الله تعالى في الموقف دليلٌ على العلو و الفوقية ، بدليل:« رفعوا إليه رؤوسهم و أشرف عليهم ».

و المعتزلة و الجهمية أنكروا رؤية الله، لأن إثباتها يكرّ على مذهبهم بالبطلان.

و المذبذَبون أثبتوها، و أنكروا علوَّ الله على خلقه فتناقضوا.

و في أحاديث مجيء الرّب للمحشَر، و في إشارة رسول الله إلى ربه بأصبعه رافعا له إلى السماء و هو يقول:« اللهم اشهد »، في الجمع الأعظم، و الموقف الأعظم، و المكان الأعظم، و اليوم الأعظم، دليلٌ على ذلك .

---

[199] – في النسختين معا : (المنفق) و الصواب ما أثبته .

[200] – تقدم ذكر صحة الحديث و تعليقة لابن القيم عليه في حاشية سابقة .



و في أحاديث نزول الرب إلى السماء الدنيا التي رويناها بأسانيدنا المتصلة إلى أئمة الدين كمالك و غيره، دليلٌ على ذلك. و قد رواها نحو ثمانية و عشرين من الصحابة، حتى ادَّعى الناس أنها بلغت التواتر؛ إذ ذاك يدل على أن رسول الله ﷺ صرّح بها في المجامع الكثيرة، و في المواطن المتعددة. و دعوى أنها مجاز عن مزيدِ فضله و رحمتِه و قبوله و إجابته ، مردودٌ بأن رسول الله ﷺ لم يذكر لهذا المجاز قرينةً و لو بلفظ ما، أو في وقت ما. بل أكّد الحقيقة بذكر الهبوط تارة، و النزول تارة أخرى، و المجيء تارة، و العلو إلى الكرسي و العرش بعد النزول. و دعوى أن النازلَ المَلَكُ و نحوُه يردها التصريح بنسبة النزول إلى الله، و إلى الرب، و إجابة السؤال، و غفران الذنوب، و إضافة العبيد إليه، إذ كل ذلك لا يليق بالمَلَك و نحوه.

و دعوى الجهمية و غيرهم أن النزول يؤدي إلى الانتقال والحركة اللذَين هما من خواص الأجسام، يقال عليه :

أولا: إن للذات و للصفات و للأفعال خواصا لازمةً لها، لا يمكن انفكاكها عنها. فمن زعم نفيَ ملزوماتها فقد نفاها. نعم؛ لها خواصٌّ من حيثُ نسبتها إلى القديم، و خواصٌّ من حيث نسبتها إلى الحادث. فمن نفى عن القديم خواصَّ الحادث أصاب، كمن نفى خواصَّ القديم عن الحادث.

و عليه؛ فالانتقالُ و الحركةُ اللذان هما من خواصِّ الحادث المعلومان عندنا منفيان عن القديم سبحانه في نزوله و طلوعه بدليل:{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى:11]. و الانتقالُ و الحركة بمعنىً يختص بنزول الله و يليق به، لا نعلم كُنهه الثابت له منفيٌّ عن خلقه.

ثانيا: إن كان مقصودهم بالحركة كونَ الجسم و العرض منتقلَين من مكان إلى مكان

كاحتياجهم إلى الانتقال عن الأول وإلى الثاني، فهذا مُحالٌ عن الله تعالى. و إن كان الانتقالُ بمعنى الفاعل من كونه غير فاعل إلى كونه فاعلا أو العكس، فهذا من صفة الله تعالى و صفة الخلق، و لا يضرُّ الاشتراك في التسمية كما قدمنا، إذا تباينت المعاني.

و ثالثا: اعتراضكم هذا ليس علينا، و إنما هو على الله تعالى و رسولِه ﷺ، حيث ذكرَا في وصفه سبحانه النزول و الصعود، فجوابهما جوابنا لكم.

فإن قلتم: إننا مُبيِّنون لقولهما و ما أرادا لا معترِضِين.

قلنا: تعالى الله أن يكون عاجزا عن غاية البيان و نهاية الإفصاح بالمراد. و حاشى رسول الله أن يكون عاجزا عن بيان المقصود بلفظ لا يَحتمل لبْسا و لا إبهاما و لا إجمالا. و لا أنهما وكّلا البيان في ذلك إلى أمثالكم، كما قدمنا بعض القول في ذلك. -ص:60-

و إذا وصف الله نفسه بتلك الصفات في كتابه، و على لسان رسوله ﷺ، و أزال اللبس و مشابهة أوصاف العباد بقوله: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } [الشورى11]. فهل من احتمالٍ يبقى و ليس يُتّقى !؟

ورابعا: إن كان الانتقال و الحركة لازمَيْن للنزول الذي أخبر به الله و رسوله، و خبرهما حقٌّ، فلازم الحقِّ حقٌّ. و إن كانا غير لازمين له بطل قولكم.

و خامسا : إن ادعى الجهمي أن النزول يؤدّي إلى خلو العرش عن الله تعالى، و أنّ هذا الخلو يكون دائما، لكون الثلث الأخير من الليل يختلف باختلاف الأقطار الأرضية؛ إذ قد يكون النهار في جانب من الأرض والليل في آخر كما هو معلوم.

يجاب بأن هذا يلائم الأجسام الصغيرة لا الذات الأقدس الأعظم من كل عظيم، المحيط بكل

شيء. فنزوله و صفته ثابتة له و هو على عرشه.

و لقد جاء في الحديث الصحيح أن العوالم كلها بالنسبة إلى عظمة ذاته كخردلة في يد أحدنا.

فكيف يلزم من في يده خردلة أن يستحيل دنوه منها، و نزوله إليها، و علوه [201] من مكانه عند الانتقال إليها؟ هذا بالنسبة إلينا، و أما بالنسبة إليه؛ فالله أعلى و أجلّ من أن يستحيل عليه ما وصف نفسه به.

و سادسا: إذا نفيتم عن الله صفة النزول و المجيء لكونه يؤدي إلى مشابهة الأجسام، وقعتم في أقبح مما فررتم منه؛ إذْ وصفتموه بالسكون و العجز عن المجيء و النزول، و هو أقبح وصف المخلوقين. و إن قلتم لا يوصف بهذا أو ذاك، فقد زعمتم التعطل، و نفي وجوده بالكلية، وهو مذهب الدهرية، و كلُّ مذهب أخفُّ [202] منه.

و سابعا: من لم يسعه و يَكْفِه ما وسِع أهل السنة و كفاهم، لتسليم صفة الله على ما هي [203] عليه من غير مشابهة ولا علم. ما وسعه شيء ولا كفاه إلا الاعتراض على الله، و تقديم الأوهام على كتاب الله و سنة رسوله ﷺ، حتى أنه ربما مات وهو يعتقد موجودا لا موجود، و العياذ بالله !

و قد رأينا تصريحا لأبي الفرج بن الجوزي بأن الله ينزل بذاته لسماء الدنيا، و نظم ذلك بقوله :

أَدْعُوكَ لِلْوَصْلِ تَأْبَى ... أَبْعَثُ رَسُولِي فِي الطَّلَبِ

201 – في (ب) : (علوها) ، و هو خطأ .

202 – في (ب) : (أحق) .

203 – في (ب) : (هو) .



أَنْزِلُ إِلَيْكَ بِنَفْسِي ... أَلْقَاكَ فِي النُّوَّامِ

نقله عنه ابن القيم ([204]) وعن نعيم بن حماد و جماعة.

و هذا يدل على أن الكتاب المنسوبَ لابن الجوزي في نصرة التأويلية و الجهمية مزوَّرُ النسبة أو أنه رجع عنه إلى مذهب أهل السنة، و هذا شأن أمثاله. أو أن هذه المقالة كانت قبل الكتاب، و هو بعيدٌ من أمثاله إذ كانوا على ذلك فرجعوا في آخر أعمارهم كما لأبي المعالي و الرازي. و إلا فالحق ما دل عليه الدليل.

و قد نقل الشيخ عبد القادر في "الغنية " عن بعض السلف – أخاله فضُيلا ([205])– أنه قال:(إذا قال لك الجهميُّ إني كافر برب ينزل، فقل له: إني مؤمن برب يفعل ما يشاء). و هذا ما تيسر من الكلام في السنة .

و أما الإجماع: فقد حكى أبو الحسن الأشعري إجماع أهل الحق ([206])على بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء.

قال في كتاب "الإبانة " :(إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء ؟ قال: نقول له: إن الله عز وجل مستوٍ على عرشه، كما قال:{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه : 5]، وقد قال تعالى: { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكلم الطيب. والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ } [فاطر:10]. و ساق الأدلة على ذلك، ثم

---

[204] – انظر :" مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة "ص 444 ، طبعة دار الحديث، القاهرة .

[205] – نعم ؛ هو الفضيل بن عياض ، وقد نقله عنه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد .

[206] – في الأصل و(ب):(إجماع أهل بطلان ..إلخ). ولعل الظاهر ما أثبته، و سيبينه ما يأتي من كلام أبي الحسن .



قال:(و قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى:{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه : 5]. أنه استولى وملَك وقهَر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة. ولو كان هذا كما قالوا كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة السفلى؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض لله سبحانه [207] قادر عليها، وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء و القدرة ، لكان مستويا على الأرض – ص:61–، و الحشوش والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء كلها، ولم نجد أحدا من المسلمين يقول: إن الله مستو على الحشوش والأخلية، فلا يجوز أن يكون معنى الاستواء على العرش على معنى هو عام في الأشياء)، وهكذا قال في كتابه "الموجز" وغيره من كتبه. فعزوا القولَ بنفي الاستواء إلى الجهمية و المعتزلة. و القول بضده إلى أهل السنة و الحق. دليل على إجماع أهل الحق على ذلك

قال الإمام أبو عمر الطلمنكي [208]، أحد أئمة المالكية، وهو شيخ ابن عبد البر في كتابه الكبير الذي سماه "الوصول إلى معرفة الأصول" ، فذكر فيه من أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأقوال مالك وأئمة أصحابه ما إذا وقف عليه الواقف، علم الحقيقة و مذهب السلف. وقال

---

[207] – في الأصل:(لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض والسماوات و كل شيء في العالم). و بين نقل المؤلف و المطبوع من الإبانة اختلاف ، لأنه ينقل من " مختصر الصواعق "، لكني أثبته كما نقله إلا في هذا الموضع لوجود خلل في المعنى .

[208] – في الأصل و (ب) : الطالمنكي .



في هذا الكتاب:(أجمع أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز).

قال ابن عبد البر في كتاب "التمهيد" بعد أن تكلم على حديث النزول:(وأهلُ السنة مجمعون على الإقرار بالصفة الواردة في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيّفون شيئا من ذلك ولا يحدّون فيه صفة محصورة [209]. وأما أهل البدع الجهمية والمعتزلة والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أقر بها نافون للمعبود).

و قد قال القرطبي في تفسير:{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } [طه : 5] :(كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق في كتابه، وأخبرت به رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول).

و روى البيهقي بسنده عن الأوزاعي أنه قال:(كُنا و التابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته).[210]

و قال عثمان بن سعيد الدارمي في "نقضه على المريسي"، قال في هذا الكتاب:(قَالَ أَهْلُ السُّنَّةِ : إِنَّ اللهَّ بِكَمَالِهِ فَوْقَ عَرْشِهِ، يَعْلَمُ وَيَسْمَعُ مِنْ فَوْقِ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الضُّبَعِيُّ إِمَامُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَلَى رَأْسِ الْمِائَتَيْنِ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ الْجَهْمِيَّةُ فَقَالَ:

---

[209] – في الأصل : (و لا يحيدون فيه صفة مخصوصة) ، و في مختصر الصواعق الذي ينقل منه المؤلف : (ولا يحدون فيه صفة مخصوصة) و التصويب من التمهيد .

[210] – قال ابن القيم : (ورواته كلهم أئمة ثقات.) مختصر الصواعق .



هُمْ شَرٌّ قَوْلًا مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، قَدِ اجْتَمَعَ أَهْلُ الْأَدْيَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ عَلَى أَنَّ اللهَّ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ عَلَى الْعَرْشِ، وَقَالُوا هُمْ: لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ شَيْءٌ).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الزَّاهِدُ أَبُو عَبْدِ اللهَّ بْنُ بَطَّةَ فِي كِتَابِ "الْإِبَانَةِ" لَهُ :(بَابُ الْإِيمَانِ: بِأَنَّ اللهَّ عَلَى عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِخَلْقِهِ: أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ أَنَّ اللهَّ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ).

وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ السِّجزِيُّ فِي كِتَابِ "الْإِبَانَةِ ":(وَأَئِمَّتُنَا كَالثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَابْنِ عُيَيْنَةَ وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَأَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللهَّ فَوْقَ الْعَرْشِ بِذَاتِهِ وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ).

وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ الْحَافِظُ صَاحِبُ الْحِلْيَةِ فِي الِاعْتِقَادِ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ اعْتِقَادُ السَّلَفِ وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، قَالَ فِيهِ:(وَإِنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي [211] ثَبَتَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَرْشِ وَاسْتِوَاءِ اللهَّ تَعَالَى عَلَيْهِ ، يَقُولُونَ بِهَا وَيُثْبِتُونَهَا مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ . وَأَنَّ اللهَّ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلْقُهُ بَائِنُونَ مِنْهُ، لَا يَحِلُّ فِيهِمْ وَلَا يَمْتَزِجُ بِهِمْ، وَهُوَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ مِنْ دُونِ أَرْضِهِ).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْآجُرِّيُّ فِي كِتَابِ "الشَّرِيعَةِ ":(الَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَعِلْمُهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَقَدْ أَحَاطَ بِجَمِيعِ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ، وَبِجَمِيعِ مَا فِي سَبْعِ أَرَضِينَ).[212]

وَكَذَلِكَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ نَقَلَ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّ اللهَّ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ. و قد حكى الاتفاق

---

211 – سقطت (التي) من النسختين معا .

212 – النقول العشرة الأخيرة نقلها المؤلف من مختصر الصواعق .



عنهم ابن حجر وغيره، إلى غير ذلك ممن تركناهم اختصارا.

و أما الفطرة: فإن الله فطر نفوس الخلائق على اعتقاد أنه عالٍ على خلقه. فعقولهم متوجهةٌ دائما إلى جهة العلوّ – ص:62– عند الالتفات إليه و الالتجاء و الدعاء. و قد تقدّم ما للهمداني مع أبي المعالي، لا يصدهم عن هذا صادٌّ ولا يردهم رادٌّ.

و أما أقوال العلماء : فقد قال الْبَيْهَقِيُّ عَنْ مُقَاتِلٍ: قَوْلُه تَعَالَى:{ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ } [الحديد: 3]؛ هُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالظَّاهِرُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْبَاطِنُ أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَإِنَّمَا يَعْنِي بِالْقُرْبِ؛ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ { وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } [الحديد: 3].

وَصَحَّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : بِمَ نَعْرِفُ رَبَّنَا ؟ قَالَ بِأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، وَلَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْجَهْمِيَّةُ : إِنَّا هَاهُنَا، يَعْنِي فِي الْأَرْضِ.

وَصَحَّ عَنْ إِمَامِ الْأَئِمَّةِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ، بائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَجَبَ أَنْ يُسْتَتَابَ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ وَطُرِحَ عَلَى مَزْبَلَةٍ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ عَنْهُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَالتَّارِيخِ .

وَقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ يَسَارٍ: بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى نمْرُودٍ فَقَالَ: هَلْ تَعْلَمُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ قَالَ: لا، قَالَ إِنَّ بَيْنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَغِلَظُهَا مِثْلُ ذَلِكَ، إِلَى أَنْ ذَكَرَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ – إِلَى أَنْ قَالَ – : وَفَوْقَهُمْ يَبْدُو الْعَرْشُ عَلَيْهِ مَلِكُ الْمُلُوكِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ فَأَنْتَ تَطَّلِعُ إِلَى ذَلِكَ ؟! ثُمَّ بَعَثَ عَلَيْهِ الْبَعُوضَةَ فَقَتَلَتْهُ، رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي كِتَابِ الْعَظَمَةِ .

وَقِصَّةُ أَبِي يُوسُفَ مَشْهُورَةٌ فِي اسْتِتَابَتِهِ لِبِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ لَمَّا أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ اللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ – رَوَاهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ –. وَبِشْرٌ لَمْ يُنْكِرْ أَنَّ اللهَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ وَإِنَّمَا أَنْكَرَ مَا أَنْكَرَتْهُ الْمُعَطِّلَةُ أَنَّ ذَاتَهُ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ.

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ فِي الصِّفَاتِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي السُّنَّةِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ الْعَطَّارِ قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُصْعَبٍ الْعَابِدَ يَقُولُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّكَ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تُرَى فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ بِوَجْهِكَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ فَوْقَ الْعَرْشِ ، فَوْقَ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، لَيْسَ كَمَا يَقُولُ أَعْدَاؤُكَ الزَّنَادِقَةُ .

وَفِي وَصِيَّةِ الشَّافِعِيِّ: أَنَّهُ أَوْصَى أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَذَكَرَ الْوَصِيَّةَ – إِلَى أَنْ قَالَ فِيهَا –: وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَأَنَّهُ يُرَى فِي الْآخِرَةِ عِيَانًا، يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ، وَأَنَّهُ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ. ذَكَرَهُ الْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبِ الشَّافِعِيِّ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ : السُّنَّةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا وَرَأَيْتُ أَهْلَ الْحَدِيثِ عَلَيْهَا، مِثْلَ سُفْيَانَ وَمَالِكٍ وَغَيْرِهِمَا؛ الْإِقْرَارُ بِشَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، – إِلَى أَنْ قَالَ – : وَإِنَّ اللهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فِي سَمَائِهِ ، يَقْرُبُ مِنْ خَلْقِهِ كَيْفَ شَاءَ، وَيَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا كَيْفَ شَاءَ. ذَكَرَهُ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ فِي كِتَابِ اعْتِقَادِ الشَّافِعِيِّ.

وَقَالَ حَنْبَلٌ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَهُوَ مَعَكُمْ } [الحديد: 4]، {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ} [المجادلة: 7]، قَالَ: بِعِلْمِهِ مُحِيطٌ بِالْكُلِّ، وَرَبُّنَا عَلَى الْعَرْشِ بِلَا حَدٍّ وَلَا صِفَةٍ. أَرَادَ أَحْمَدُ بِنَفْيِ الصِّفَةِ؛ نَفْيَ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ، وَبِنَفْيِ الْحَدِّ نَفْيَ حَدٍّ يُدْرِكُهُ

الْعِبَادُ وَيَحُدُّونَهُ.

وَقَالَ أَبُو مُطِيعٍ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللهِّ الْبَلْخِيُّ: سَأَلْتُ أَبَا حَنيفة عَمَّنْ يَقُولُ لَا أَعْرِفُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ، قَالَ: قَدْ كَفَرَ، لِأَنَّ اللهَّ تَعَالَى يَقُولُ:{ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] و عرشه فوق سبع سموات. فقلت: إنه يقول:{عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } وَلَكِنْ لَا يدْري الْعَرْشُ فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الْأَرْضِ ؟ فَقَالَ: إِذَا أَنْكَرَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ فَقَدْ كَفَرَ.

وَقَالَ مَالِكٌ: اللهُّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، ذَكَرَهُ الطَّلَمَنْكِيُّ وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَعَبْدُ اللهِّ بْنُ أَحْمَدَ وَغَيْرُهُمْ.[213]

وقد قال هذا و نقله غيرهم ممن تقدم كلامه و ممن لم يتقدم؛ كابن عبد البر والطلمنكي و القرطبي و ابن رشد و كثير من علماء الأندلس والقاضي عبد الوهاب و أبي بكر الباقلاني و ابن أبي زيد و عبد الله بن موهب [214] شارح رسالته، و كثير ممن لا يُحصى من المالكية حسبما ذكره هؤلاء في كتبهم تخصيصا و تعميما.

و قد أوضح ذلك بما لا مزيد عليه الشيخ عبد القادر الجيلي في غنيته. و قد قدمنا أقوال جماعة من أهل التفسير في ذلك، و جماعة من متأخري الأشعرية ممن رجع إلى قول أهل السنة.

فهذه دلائل أهل السنة التي لو انحلت و فُصّلت لبلغت ألف دليل. و قد تضمنت كتبهم ذلك مثل كتاب " الصواعق " لابن القيم .

و أما الجهميةُ و المعتزلة و الرافضة و من استولى عليه فكرُ هؤلاء ووهْمُهم، فلا دليل لهم سوى

---

213 – هذا الفصل من أقوال العلماء منقول من مختصر الصواعق بتصرف يسير جدا .

214 – كذا في النسختين ، و الصواب أن اسمه محمد لا عبد الله ، محمد بن مَوهَب .



العناد و الشقاق و الخلاف – ص:63 – لتلك البراهين، و إبطالها بالتأويلات و المجازات التي من تمسّك بها، وعوّل على محصولها، لم يكن له ربٌّ فوق السماء و لا على العرش إلا العدم المحض، و ليس هناك من تُرفع إليه الأيدي، و يصعد إليه الكلم الطيب، و تعرج الملائكة و الروح إليه، و ينزل الوحي من عنده، و يقف العباد بين يديه، و لا عُرج برسوله إليه حقيقةً، و لا رُفع المسيح إليه حقيقةً ، و لا يجوز أن يشير إليه أحدنا بأصبعه إلى فوق كما يفعل النبيﷺ، و لا يجوز أن يقال " أين هو ؟ " كما قال النبي ﷺ، و لا يجوز أن يسمع من يقول " أين " و يقره عليه كما سمع رسول الله ﷺ من السائل و أقرّه عليه، و لا يراه المؤمنون بأبصارهم عيانا فوقهم، و لا له حجاب حقيقةً يحتجب به عن خلقه، و لا يقرب منه شيء و لا يبعد منه شيء، و نسبته من فوق السموات كلها إلى القرب منه كنسبة من في أسفل سجين كلها في القرب من ذاته سواءً. فهذا حقيقة هذا المجاز و حاصله.

و معلوم أن هذا أشد مناقضة لما جاءت به الرسل منه للمعقول الصريح. فيكون من أبطل الأبطل.

و إذْ أتينا على ما قصدناه، و الله يسّر ما أردناه و أمليناه، و انتهى بنا القول في البحث مع صاحب الرسالة إلى فساد ما اعتقده، و رد ما تأوله و كتبه، مما زعم أنه برهان على ما قاله و ظنه، فلنقتصر على ما كتبناه و ذكرناه.

و نسأل الله لنا و لأحبابنا إلى الصواب الهدايةَ، و إلى التوفيق الرجوعَ والعنايةَ، و أن يمنّ علينا بصالح الأعمال، و حسن الخاتمة، و هو المسؤول الذي لا يخيب من سأله، و المدعوُّ الذي لا يُهمل دعاء من دعاه، و المرجوّ الذي لا يقطع رجاء من رجاه.

اللهم إياك سألنا، و لإحسانك تعرّضنا، و ما عندك من خير طلبنا، فاقبل اللهم بوجهك الكريم علينا، و لا تخيِّب فيك رجاءَنا، و لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا، و لا تحاسبنا بها، أنت رحيمنا و مولانا.

ربِّ أسألك الرضا و العفو عما قد مضى، يا من على العرش استوى.

آمين آمين، يا إله العالمين، آمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد خاتم النبيين و المرسلين، و على آله و أصحابه و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . انتهى

ما احتوى عليه كتاب نَظَرُ الأكياس في الرّد على جهمية البيضاء وفاس[215]

[215] – أبقيت على الفهرست الموجودة بالأصل كما هي في الصفحة 10، و إنما أضفت عليها ما قدمت به للكتاب.



[216] ـ في الأصل : و إن أردتم بالجهة ...إلخ

